

Mugool.com

# الفصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٩٤ - ذو الحجة ١٤٢١ هـ - مارس ٢٠٠١ م  
ALFAISAL MAGAZINE - No. 294- MAR. 2001

■ الشيخ محمد العثيمين  
ومنهاج السلف الصالح

■ القدس في العهد  
العثماني

■ إسلام نابليون

■ ليس الوهم  
احتثانا عربيا

■ الحياة السياسية  
والأدبية في الأندلس  
في عهد بني الأحمر

■ استيطان الحجرة

■ الشاعر أحمد شاملو :  
أربعة عقود من الشعر  
والأدب

فري فمة  
حصن كوكبان

www.ahlaltareekh.com



نتقدم نحو المستقبل

بخطى ثابتة



مطابع هالا  
HALA PRINTING PRESS

[www.ahlaltareekh.com](http://www.ahlaltareekh.com)

هاتف: ٤٨٢ ١٣١٣



# شركة واحدة فقط توفر لك كل هذه الخدمات

REDIAL

DEF

ABC

الخدمات  
المحلية

النقل بين  
المدن

النقل  
الدولي

MNO

خدمات الحج  
والعمرة

JKL



GHI

العقود  
والتأجير

WXYZ

البرامج  
السياحية

TUV

النقل  
المدرسي

PQRS

الخدمة  
المميزة

الشركة الرائدة في مجال النقل البري توفر خدمات  
متعددة لكافة الأغراض ، لمسة واحدة فقط وتحصل على  
الخدمة التي تحتاجها.

اتصل مجاناً على الرقم ٩٩٩٩ ١٢٤ - ٨٠٠



SAPTCO



النقل الجماعي



## المحتويات

الهاتف النقال	٧١
ومعركة الجيل الثالث	٧٦
استيطان المجرة	٧٦
خالص جليبي	
قصائد	
نزوة	٨٢
يحيى الأمير	٨٣
عقم	٨٣
فوزية العلوي	٨٣
أغنية الشاعر الأخيرة	٨٤
أين الوطن العربي	٨٤
إبراهيم السامرائي	
قصص قصيرة	
إعصار ذاكرة	٨٦
فاطمة بلقوصيل	٨٨
قصص قصيرة جداً..	٨٨
فهد العتيق	
شهادة الحب والوفاء:	
فوتيان لين	٨٩
ترجمة: محمد رمضان علي	
تربية	
مدرسة المستقبل	٩٢
علي عبداللطيف خطيب	
ردود وتعليقات	
تعقيباً على:	
مخطوط نادر	
للفيروز آبادي	١١٠
زين الدين بوزيد	
التربية البيئية مقصد	
إسلامي يسائر العصر	١١٠
نعيم نعيم محمود السلاموني	
رحلة في كتاب	
مملكة الكتاب:	
تاريخ الطباعة	
في المغرب	١١٢
مراجعة: عبدالعزيز صالح الصقعي	
المسابقة	١١٩
الملف الثقافي	١٢١

رسانتكم	٤
أعلام	
الشيخ محمد العثيمين	
ومنهاج السلف الصالح	٦
عبدالله بن عبدالحسن التركي	
الشاعر الإيراني أحمد	
شاملو: أربعة عقود مع	
الشعر والأدب: جواد مجابي	٩٩
ترجمة: حيدر نجف	
تحقيق	
القدس في العهد العثماني	١٠
خليل محمود الصمادي	
دين	
صور قرآنية	١٧
جاسر خليل أبو صفية	
مقياس حسن الخلق	٢١
عبدالعزیز الخويطر	
إسلام نابليون	٢٢
سمير عطا	
لغة	
دور التشابه	
في إغناء اللغة العربية	٢٨
محمد الواسطي	
مدن التاريخ	
في قمة حصن كوكبان	٣٣
حمود علي منصور	
تضامياً معاصرة	
ليس الوهم احتكاراً عربياً	٤٩
خير الدين عبدالرحمن	
تاريخ وحضارة	
الحياة السياسية والأدبية	
في الأندلس في عهد	
بني الأحمر	٥٥
بنعيسى بويوزان	
علوم	
منشأ الماء وظهوره	
على الأرض	٦٥
شاهر جمال آغا	



## من الأعماق

إني بعد مطالعة عدد من مجلتكم رأيت فيها نوعاً من الرقة والزوعة في الطرح وعلمية الموضوعات، فاضطرت إلى أن أكتب لكم هذه الرسالة مع الشكر والامتنان، وأريد أن أقتطف ثمرة من ثمار مجلتكم، وأرجو أن ترسلوا إلي مجلتكم باستمرار لأنني بحاجة ماسة إليها، خصوصاً مع عدم توافرها في المكتبات العامة والخاصة. وأنا مشغول بالدراسة في مدينة قم (الحوزة العلمية).

وأخيراً أكرر السلام والتحية لكم من أعماق قلبي مع خالص المحبة والصدقة.

السيد عبدالله البحريني

شهر منا - أصفهان - إيران

خيابان حكيم فرزانه - كوجه شماره ٥، بلاك ١١.

### التحرير:

ننصح الإخوة القراء الذين يودون ضمان وصول المجلة إليهم، ولا سيما في البلاد التي توزع فيها المجلة على نطاق صغير قد لا يتجاوز العاصمة أو تلك التي لا تصل إليها أساساً أن يحرسوا على الاشتراك السنوي الذي يضمن وصول المجلة إليهم فور صدورهما مهما تباعدت المسافات.

وسوف نرسل إليك بعض أعداد المجلة لعلك تجد فيها الفائدة والنفع، ونشكر لك هذا الاهتمام بمتابعة المجلة.

## رابعة الفكر

لقد قرأت مجلات وصحفاً كثيرة، والحقيقة التي لا أبالغ ولا أماري فيها، أنني لم أجد مجلة أروع من «الفصل»، لأنها، بصدق، مجلة رزينة رصينة تدل على رغبة العقل وسمو الهدف، مجلة للعقول الناضجة، رائعة بشكلها ومضمونها وكتابها ومحزريها وكل شيء حولها، ومهما تعددت الكلمات فإنها لا توفيهم حقهم من الشكر وإن في النفس أشياء لا ترضى الكلمات رسولاً، فشكراً لكم على حفظ التراث وتقصي الأحداث، ورعاية الإنتاج الفكري العربي، وتروية المواهب وصقلها، وتحقيق طلبات القراء، وهذا يبرهن أن «الفصل»، بحق، راعية للفكر كما أنها بناء فكري رائع، وما «الفصل» إلا نبع هدار يهدر بالحكمة، ويوجد بالعبطة والمعرفة، وما هي إلا اسم على مسمى: فيصل يفصل بين الحق والباطل، فضلاً عن الفصيل - رحمه الله - وما خلده من أمجاد سامية عظيمة، والحق أقول: إنها كانت عصفورة حلمي التي طار حتى أمسكتها بعد ترصد عجيب وبحث غريب وآلام ونحيب.

واسمحوا لي بذكر بعض الملاحظات البسيطة:

- المجلة لا تذكر جميع الحوادث الفكرية في ملفها الثقافي، فلقد كنت أنتظر نشر خبر تكريم شوقي ضيف في مصر كما ورد في مجلة أكتوبر المصرية العدد (١٢٢٩)، كما انتظرت خبر الاحتفال بعبد الكريم اليافي في سورية وغير ذلك - فضلاً عن ضجة الأزهر حول رواية حيدر حيدر - وإذا قلتم: إن الصحف ذكركم ذلك فأقول إن «الفصل» تبقى مرجعاً محفوظاً لدينا ومحترماً بالفعل.

- رجاء حاراً أن تجري «الفصل» مقابلة مع كل من نجيب محفوظ في القاهرة وشوقي ضيف - وإن عجزت فأوجه الأمر للقراء المصريين، رعاكم الله، وقد أجرت جريدة «نداء الوطن» مقابلة مع نجيب محفوظ في أحد أعدادها لكنني أريد أن أراه على صفحات مجلة الفصل.

وأرجو النظر في طلباتي البسيطة وهي:

- كيف يمكنني الحصول على جميع الأعداد في المجلة منذ أن أنشئت حتى الآن، يرجى الرد مفصلاً، كما أرجو بتزويدي بالعدد الأول وغيره.

## ما رأي القراء؟

يسرني أن أبعث إليكم بهذه الرسالة، وأشكر لكم اهتمامكم بكل رسائل القراء والرد عليها، ولدي مقترحات أثنان أرجو أن ينالا إعجابكم. علماً بأن هذه الرسالة هي الثانية، فأتمنى الاهتمام بها، والرد عليها.

المقترح الأول: عمل موضوع سياحي تاريخي في كل عدد عن إحدى الدول العربية أو الأجنبية فمثلاً يمكن إعداد استطلاع عن المملكة العربية السعودية يشتمل على مقدمة، والموقع، والمساحة، وعدد السكان، والعاصمة، وعدد المدن مع أسمائها، وعلمها، وخطوطها، وأهم المعلومات والأحداث العظيمة التي حدثت فيها، وأعيادها وأيام عطلتها، والمناطق السياحية فيها، وهكذا في كل عدد يتم تناول دولة أو اثنتين، وسوف ترون من القراء رسائل الشكر على هذا الموضوع. فذلك أتمنى منكم الاهتمام به، أو حتى عرضه على القراء لكي يأتي كل قارئ بمقترحاته، فما رأيكم يا أسرة تحرير المجلة؟ وما رأيكم أيها القراء؟

المقترح الثاني: أن تصبح جميع أرقام المجلة باللغة الإنجليزية، فسوف تضيف للمجلة منظرًا لافتاً كما كانت في السابق.

### منيف مطهر الأغبري

ص.ب ٦٧١٥ منطقة بريد تعز - تعز - اليمن

### التحرير:

نشكر لك هذين الاقتراحين، ونفيدك أن رسائل جميع الإخوة القراء تجد منا الاهتمام؛ لأنها تمثل نبض المجلة.

وكما تعلم، فإن هناك استطلاعاً شهرياً عن مدينة من أهم مدن التاريخ، ولعلنا نأخذ باقتراحك الخاص بأن يكون هناك استطلاع عن الدول في مرحلة قادمة.

أما بخصوص الأرقام، فإن المجلة فتحت نقاشاً واسعاً حول الأرقام وهويتها، وانتصر الرأي القائل بأن الأرقام الحالية التي تلتزمها المجلة هي الأرقام العربية الأصلية.. ومن ثم فإنها جزء من هويتنا، لذا كان لزاماً أن نأخذ بها، ثم إن هذه الأرقام لا تقتصر إلى المظهر اللائق الذي تراه في الأرقام اللاتينية!!.





### في قمة حصن كوكبان

شيام مدينة تبدو صغيرة، إلا أنك تجد لها ذكراً في كتب الرحالين والجغرافيين، وذلك لقدمها الذي تنبئ عنه آثار ترجع إلى حضارة حمير، حتى إن مسجدها بني بأحجار عليها كتابات حميرية. ومن يرتق الجبل الذي في نهاية المدينة يصل إلى حصن كوكبان بعد مسيرة ساعة ليجد نفسه على ارتفاع شاهق عن سطح الأرض، وعليه حينئذ أن ينشد مع الشاعر:

هيهات أن لكوكبا

ن شبيهه حسن في الهواء  
من ظن أن له نظير  
رأ فهو عندي في عماء!!

### إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد  
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

### المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

### الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي

للمؤسسات،

أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة

العربية السعودية.

### الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٥٥٤٢

ردمد ١١٤٠ - ٢٥٨

### ضوابط النشر

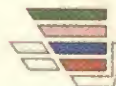
- يفضل طباعة المادة المرسلّة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرّن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تنقل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصتراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتدّ من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وأقية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقديمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعليقات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولا سيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.
- الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

### السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيعة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - باكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

### الموزعون

السعودية - الشركة السعودية للتوزيع - هاتف ٦٥٣٠٩٠٩، فاكس ٦٥٣٣١٩١ (٢)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥، فاكس ٣٣٩١٠٩٦، ٢٠٢... سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٥٣٢٢، ١١، ٠٩٦٣... تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣ نهج المغرب، فاكس ٣٢٣٠٠٤ / هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٠٢١٦... قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦١٢٨٢، فاكس ٤٦١١٨٥ - ٠٩٧٤... الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١، فاكس ٤٦٣٠١٥٢، ٠٩٦٢... البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠، فاكس ٥٣١٢٨١، ٠٩٧٣... الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٣٦٦٥٣٩٤، فاكس ٣٦٦٩٨٢٧، ٤ - ٠٩٧١... الجزائر - مؤسسة E.B.D. PRESSE للصحافة، ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥، ٠٠٢١٣... الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٩١٢٦ / ١١ / ٢٠١٧٨٠٩ فاكس ٢٤١٧٨٠٩، ٠٠٩٦٥... السودان شركة التحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧ / ٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، ٠٧٤٣٣٦ المغرب - SOOH PRESS - CASABLANCA - TEL: 2400223, Fax: 00212-2404041/32 - MOROCCO - PAKISTAN PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS - KARACHI 75400, TEL: 4314981/2 FAX: 0092-21-4554410، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨١٥٠ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٢٢٨



الشركة السعودية للتوزيع

Saudi Distribution Co.



## ردود سريعة

الأخ محمد حمد العامري - ص.ب  
٥٧٦٦ - الرمز البريدي ٨١٩٩٩ - بريدة -

القصيم:

بما أن لديك مجموعة ضخمة من مجلة  
«الفصل» والمجلات والكتيبات الإسلامية،  
فإننا ننشر عنوانك لرغبتك في إهداء من  
يريد بعض هذه المجموعة، شاكرين لك هذه  
الحماسة لفعل الخير ومساعدة طلاب العلم  
والفكر.

الأخ رضوان عمامة - ولاية سطيف -  
الجزائر:

سبق للمجلة أن تناولت موضوعات  
كثيرة تتعلق بالجزائر وبالشمال الإفريقي  
عاماً، وسوف تطالع إن شاء الله في  
الأعداد القادمة استطلاعاً عن هذه المنطقة  
العزيزة إلى نفوسنا جميعاً.

الأخ خليل إبراهيم - دمشق - سورية:

نشيد بمشاعرك الفياضة وحرصك على  
فعل الخير، ولكن ما أشرت إليه خارج  
اهتمام المجلة، لذا نأمل أن توجه رسالتك  
مباشرة إلى الجهات المعنية وهي كثيرة،  
وسوف تجد لديها الاهتمام المنشود إن شاء  
الله.

الأخ صلاح علي محمد أحمد - إب -  
اليمن:

نعم إن المجلات الثقافية عموماً تقل فيها  
الإعلانات بصورة لافتة، و«الفصل»  
ليست استثناء من هذه القاعدة،  
وبخصوص ما تريده من معلومات عن  
المجلة، فإنه قد أسسها في سنة ١٣٩٧ هـ  
صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل،  
ثم أهداها إلى مؤسسة الملك فيصل الخيرية  
بعد ذلك. وبخصوص عرض الكتب  
القديمة، فإن المجلة تهتم بهذا الجانب وتعمل  
على نشر التراث العلمي للحضارة  
الإسلامية وعلمائها الذين أغنوا الإنسانية  
بعطائهم الثمر.

ونرجب بما لديك من مقال أو استطلاع،  
علماً بأن متابعتك لما ينشر في المجلة  
ستساعدك على معرفة سياسة المجلة في  
النشر، وطبيعة الموضوعات التي تهتم  
بتناولها. ونطمئنك بأننا سوف نعلمك في  
حالة الفوز بأي جائزة من الجوائز على  
العنوان الموضح في رسالتك.

- هل يمكن للمجلة مساعدتي على بحث آخر وذلك بإرسال كل ما كتب حول كل أديب أو شاعر  
أو مفكر عربي حديث، أي من عصر النهضة وبعدها - مثلاً كل ما كتب حول أحمد شوقي من  
مقالات - أو مقابلات.

وكذلك إرسال جميع ما كتب عن المدارس الأدبية والمذاهب والصالونات والندوات - مثلاً - ما  
كتب عن أبولو، أو صالون مي. فأرجو الرد مفصلاً ولكم لجين المحبة وخالص الشكر وسأدوم  
صديقاً لمجلتكم الغراء التي أنتظر مجيئها بالدقائق وهي تتأخر في الصدور، ونسيت ذكر هل  
تستقبل المجلة بعض قصصي لنشرها، وشكراً؟.

أنس محمد مرعي جراد  
قرية سان - إدلب - سورية

التحرير:

نشكر لك ما أبديته من رأي في المجلة، أما بخصوص عدم ذكر الأحداث الثقافية في الملف  
الثقافي، فإنه كما تعلم يصعب على المجلة إحاطة الواقع الثقافي كله بما فيه من تفاعلات  
وأحداث مهما بذلنا من جهد، إلى جانب أن طبيعة المجلة الشهرية تجعل كثيراً من الأخبار تفقد  
أهميتها المرتبطة بجديتها، لذا نأمل المعذرة.

وسوف ننظر في اقتراحك الخاص بإجراء حوار صحفي مع كل من الدكتور شوقي ضيف  
ونجيب محفوظ.

وتستطيع أن تحصل على أعداد المجلة من خلال مراسلة قسم الاشتراكات بالمجلة. علماً بأن  
هناك ٦٠ مجلدًا تشتمل على ١٨٠ عددًا من أعداد المجلة وقيمتها ثلاثة آلاف ريال. أما بخصوص  
الأبحاث التي ترمع إعدادها، فإنك تستطيع الحصول على ما يلزمك من معلومات بمراسلة قسم  
خدمات الباحثين بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على العنوان التالي:

ص.ب ٥١٠٤٩ - الرياض ١١٥٤٣

هاتف ٤٦٥٢٢٥٥ تحويلة داخلية: ٦٥٦٣ - فاكس ٤٦٥٩٩٩٣.

## أسرار الكيمياء.. لمن؟

ورد في مسابقة «الفصل» العدد ٢٩١ سؤال عن كتاب أسرار الكيمياء هل هو: لجابر بن  
حيان أم للزهراوي: فأقول عذراً ليس لواحد منهما دليل أنك حينما تتصفح فهرست لابن النديم  
الذي ساق مؤلفات جابر جملة وتفصيلاً لم يرد اسم كتاب «أسرار الكيمياء» كذلك من ترجم له،  
ولا سيما كارل بروكلمان في تاريخه للأدب (العربي ج٤/ ط المعارف، الهيئة) على الرغم من  
علمه وتخصصه في الكيمياء. والزهراوي الطبيب الحاذق لم يؤلف شيئاً في الكيمياء مطلقاً،  
ويمكنك مراجعة من ترجم له، وسرد مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة.. مثل ابن النديم في الفهرست  
(ط رضا نجدوا) وبروكلمان تاريخ الأدب العربي ج٢/ الهيئة المصرية للكتاب، ج٤/ ط دار  
المعارف ١٩٨٣ م، وكذلك فيما يخص هذا الكتاب ومؤلفات الزهراوي دائرة المعارف الإسلامية  
(الطبعة المترجمة). لا تجد ما يسمى أسرار الكيمياء؟!

وبالنسبة إلى جابر فإن السادة معدي دائرة المعارف حينما ترجموا له سردوا كل مؤلفاته وهذه  
عادة المدققين - فسرودوا المطبوع والمخطوط فلم يرد أن له هذا الكتاب. وهذا بلا شك شيء غريب  
حقاً.

طلال السعيد المنفي

كفر الشيخ - مطوبس - الرمز البريدي ٣٣٦٢٥ - عزبة قابل - مصر

التحرير:

نشكر لك هذا التعقيب الذي يدل على الحرص والاهتمام بما ينشر في المجلة، ولكن نود  
إفادتكم أن كتاب الأعلام للزركلي وهو من الكتب الموثوقة في ترجمة جابر بن حيان قد ذكر  
أن «أسرار الكيمياء» من بين كتبه أو الكتب المنسوبة إليه التي بين أيدينا».



# الشيخ محمد العثيمين ومنهاج السلف الصالح

عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الرياض - السعودية

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن  
والاه وبعد: فقد قال الله تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من  
قضى نحباً ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. الأحزاب: ٢٣، وأدعوه تعالى أن يجعل فقيدنا  
العلامة الجليل الشيخ محمد بن صالح العثيمين من هؤلاء المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا  
الله عليه، فقد كانت حياته - رحمه الله وغفر لنا وله - زاخرة بالعلم والتعليم والدعوة إلى الله  
من خلال التدريس في المساجد والجامعات والمعاهد والمؤسسات التي شهدت دروسه  
الكثيرة ومحاضراته القيمة، ومن خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

التعلم وجهاد في التعليم، ونحسب أن ذلك يجعله من  
العلماء العاملين المجاهدين المهيدين الذين قال الله فيهم:  
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين.  
العنكبوت: ٦٩.

وفي سيرته العلمية - رحمه الله - مثال فذ وشاهد كبير  
على أهمية طلب العلم والجد في تحصيله، فقد كان في ذلك  
نفع له أولاً في تقواه وفي روعه وفي خلقه، ومن ثم نفع  
لغيره من طلبة العلم الذين تلمذوا له وأخذوا عنه في علوم  
الشريعة وغيرهم من عامة الناس الذين كانوا يتحلقون في  
حلق العلم التي كان - رحمه الله - يقيمها في المساجد وفي  
الجامعات والمعاهد والمدارس والمؤسسات الإسلامية  
والهيئات الدعوية، وقد استفاد الناس داخل المملكة وخارجها  
من علمه الغزير، إذ كانوا يستمعون طوال عقود من الزمن  
لفتاويه وإرشاده وتوجيهه في المذيع وبقرونها كذلك في  
الصحف والمجلات والنشرات الدعوية ثم في كتبه ورسائله  
القيمة التي كانت من الثمار الطيبة لعلمه ودأبه وجده في  
المبادرة للقيام بما كلف الله به العلماء من دعوة الناس  
وتفقيهم وحثهم على تطبيق الإسلام في حياتهم.

وكان - رحمه الله - متصفاً بأخلاق العلماء في  
التواضع وتجنب التعصب. والحرص على الوقوف على  
الحق واتباعه ومتابعة من سلف من علماء الأمة  
وفقهاءها ودعاتها، ونحن لا نزكي على الله أحداً، بل الله  
يزكي من يشاء. النساء: ٤٩. فالشيخ - رحمه الله -  
اجتهد في التعلم والتعليم، والتفقه والتفقيه، وقد أخبرنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه «من يرد الله به  
خيراً يفقهه في الدين».

ولا شك في أن التحصيل العلمي الذي وفقه الله إليه  
كان له أثر كبير في حياته يحفزه إلى ذلك ترغيب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «من سلك طريقاً  
يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».

## مثال فذ

لقد انتفع الشيخ - رحمه الله - أيما انتفاع بما يسره الله  
له من نهج للعلم، وفهم لمقاصد الشريعة الإسلامية حتى  
صار علماً من علمائها يدرس ويحاضر في علوم القرآن  
الكريم والحديث النبوي والفقه وفروع الثقافة الإسلامية،  
وقد فتح الله سبحانه وتعالى عليه لما بذله من جهد في



أولويات عمل الداعية ومتابعته، ولعله - رحمه الله تعالى - وجد في قضايا الحقوق وتعليمها للناس وتأكيدا في المحاضرات والدروس والكتب والمواظب خير وسيلة لصيانة البنيان الاجتماعي في البيئة الإسلامية وفي حياة المسلمين، ملاحظاً كذلك أن الحديث عن الحقوق يفرض الحديث عن الواجبات لما بين الحق والواجب من اقتران في الشريعة الإسلامية، ويتضح اهتمامه في هذا الجانب الأساسي من حياة المسلمين في كتابه «حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة» الذي بدأه ببيان حقوق الله ورسوله على المسلم، ومن ثم أبان - رحمه الله - الحقوق الأخرى التي تصون البنيان الاجتماعي للمسلمين، مثل:

حق الوالدين، وحق الأولاد، وحقوق الأقارب، وحق الزوجين، وحق الجيران، وحقوق المسلمين بعامه، ثم حقوق غير المسلمين.

لقد انتهج الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - منهج علماء السلف في أعماله العلمية ونهجه الدعوي وطرائق التربية والتعليم الأخلاقي، ومن عرفه عن كثب عرف في منهجه ما كان عليه سلف الأمة، ولعل أبرز الملامح في منهجه، رحمه الله:

- حرصه الشديد على التقيد بما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد علماً وعملاً ودعوة وسلوكاً، وذلك مقترن بالتنفير والتحذير مما يخالف ذلك.

- الحرص على صحة الدليل، وصواب التعليق، ووضوحه ومناسبته.

- الربط بين العمل الدعوي والتقعيد الفقهي ضماناً لسلامة أعمال الدعوة وما يضعه الدعاة بين أيدي الناس من كتب ومذكرات وغيرها.

- العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية، وقواعد الدين؛ لأن ذلك مناط الحكم الإسلامي الذي أمر به الله سبحانه وتعالى.

- الاعتدال والتوسط في المنهاج والسلوك والفهم والتقدير بذلك بما كان عليه السلف الصالح.

- الاهتمام بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج.

- التيسير الذي يبعد الداعية عن التعقيد أو التنفير.

- البعد عن التعصب والتقليد الأعمى والحرص على

التوفيق بين النص والمصلحة.

إن المسلمين الذين ودعوا فضيلة الشيخ محمد بن

لقد كان - رحمه الله - باراً بإخوانه المسلمين، يبذل كل ما في وسعه لتعليمهم وتفتيهم والإحسان إليهم، طاعة لله في تفتيه الناس وأداء لأمانة العلم، إنما يخشى الله من عباده العلماء. فاطر: ٢٨، وكان للجهود التي بذلها - رحمه الله - في الدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي الصحيح بين المسلمين إسهام كبير في توجيه الناس إلى عبادة الله على الوجه النقي والحال الصحيحة بعيداً عن أشكال البدع والضلالات، أو الإفراط والتفريط، فقد كان - رحمه الله تعالى - يحذر من الجنوح إلى أحدهما، وله عدد من المواقف التي انبثقت عن فهم صحيح للإسلام ووسطيته ومنهجه العادل، وعن فهم سليم لمهمة العالم الداعية، وهذا الفهم لمقاصد الدعوة جعل منه العالم الذي يحرص الناس على الاستفادة من علمه، فكان كبيراً في عيونهم، رفيع القدر عندهم: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات. المجادلة: ١١.

### منهجهما الأسوة الحسنة

لم يكن فضيلة الشيخ بالواعظ المرتجل بقدر ما كان - رحمه الله - عالماً وداعية ذا منهج واع استوعب احتياجات المسلمين، وحدد الموضوعات التي تحتاج إلى معالجة بحسب أولوياتها معتقداً أن نشر عقيدة أهل

السنة والجماعة في مقدمة مهام الداعية في هذا العصر لأهميتها في حياة المسلم وآخرته، كما أشار - رحمه الله - في مقدمة كتاب «عقيدة أهل السنة والجماعة» ولا شك أن الجهود التي بذلها في مجال العقيدة في مجموعها كانت تركز على ضوابط الكتاب والسنة وما حدده علماء السلف في ذلك، ملاحظاً خلال جهوده السعي لإصلاح ما فسد من عقائد عملت على نشرها وإشاعتها بين الناس اتجاهات غير صحيحة انحرفت عن الوجه الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة، وهادفاً إلى ربط المسلمين بمنهاج الأسوة الحسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة معتقداً أن ذلك هو طريق صلاح العباد واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم، وهو الطريق الذي ترك النبي صلى الله عليه وسلم عليه أمته.. المحجة البيضاء التي لا يزغ عنها إلا هالك.

### حقوق وواجبات

أما في حياة الخلق فقد حرص - رحمه الله - على صحة البناء الاجتماعي للمسلمين وكان يعد ذلك من



الشيخ العثيمين



ومن أَرْضَى الله كفاه مؤونة الناس وأَرْضاهم عنه؛ لأن القلوب بيد الله يقبلها كيف يشاء.

وأما حقوق الولاية على الرعية فكان يحرص على تعليمها الناس، وهي النصح لهم فيما يتولاه الإنسان من أمورهم، وتذكيرهم إذا غفلوا، والدعاء لهم إذا مالوا عن الحق، وامتنال أمرهم في غير معصية الله؛ لأن في ذلك قوام الأمر وانتظامه وفي مخالفتهم وعصيانهم انتشار الفوضى وفساد الأمور؛ ولذلك أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر؛ فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. النساء: ٥٩.

وكان - رحمه الله، وجزاه خيراً - يردد على مجالسيه

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «على

المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب

وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر

بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

وكذلك ما رواه عبدالله بن عمر رضي

الله عنهما، قال: «كنا مع النبي صلى الله

عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً فنادى

منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه ما من نبي

بعثه الله إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على

خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه

لهم، وإن أمتكم هذه جعلت عاقبتها في أولها، وسيصيب

آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتن يرقق بعضها

بعضها، تجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، وتجيء

الفتنة فيقول المؤمن: هذه، فمن أحب أن يرحز عن النار

ويدخل الجنة فليأتني منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر

وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً

فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن

جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر».

ومما كان يسجله - رحمه الله - في عدد من كتبه أن

رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله

أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا

حقنا فما تأمرنا، فأعرض عنه، ثم سأله مرة ثانية فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسمعوا وأطيعوا فإنما

عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.

وبين - رحمه الله - في كتابه «حقوق دعت إليها

الفتنة وقررتها الشريعة» أن حقوق الولاية على الرعية

مساعدة الرعية لولاتهم في مهماتهم بحيث يكونون عوناً

صالح العثيمين وودعوا قبله سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز وغيرهما من العلماء والفقهاء، مشفقون من هذه الخسارات العظيمة التي تحل بالمسلمين بفقد علمائهم وهم يخشون بذلك انتزاع العلم. أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس بعد أن يعلمهم إياه ولكن يذهب بالعلماء، كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم...».

وأمام هذا لا بد للمسلم أن يحرص على الاستفادة من آثار العلماء التي تتمثل فيما تركوه للناس من كتب ورسائل ومواظ وإرشادات، وأذكر لفقيدينا - رحمه الله -

وصايا كثيرة لطلاب العلم ولسائر الناس، منها:

- الحرص على متابعة تلاوة المسلم للقرآن الكريم وتدبر معانيه والتخلق بأخلاقه والتأسي بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتأمل فيما زخرت به الأحاديث الصحيحة من توجيه وحكمة وخلق كريم، والتقيد بذلك.

- بذل كل ما في وسع المسلم للعمل على نشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وتصحيح العقائد الخاطئة لدى بعض المسلمين.

- طاعة ولاية الأمور والحرص على تأليف القلوب بين الناس، مع قيام العلماء بواجب التأليف المطلوب بين الراعي والرعية.

### علاقة الراعي والرعية

وقد حرص - رحمه الله - على بيان العلاقة بين الولاية والرعية، موضحاً أن الولاية هم الذين يتولون أمور المسلمين سواء أكانت الولاية عامة أم خاصة.

وكان - رحمه الله - يعلم طلابه الحقوق المتبادلة بين الرعية وراعيها معتقداً أن حقوق الرعية على الولاية أن يقوموا بالأمانة التي حملهم الله إياها وألزمهم القيام بها من النصح للرعية والسير بها على النهج القويم الكفيل بمصالح الدنيا والآخرة؛ وذلك باتباع سبيل المؤمنين، وهي الطريق التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن فيها السعادة لهم ولرعيته ومن تحت أيديهم، وهي أبلغ شيء يكون به رضا الرعية عن رعاتهم، والارتباط بينهم، وطاعتهم في أوامرهم، وحفظ الأمانة فيما يولونه إياهم، مؤكداً أن من اتقى الله سلم من الناس،



وحيثما فوتح برر ذلك بأن العالم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله، وما يأتي تبعاً لذلك فلا بأس به.

والأمر الثاني: مفاجأته لي وأنا مدير للجامعة بتقديم ظرف بداخله مبلغ من المال، فسألته عن قصته، فذكر أنه صرف له مقابل محاضرات ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم، وكان - رحمه الله - وقتها على ملاك معهد عنيزة العلمي مفرغاً لإعداد كتب دراسية للمعهد العلمي، وقال: إن وقت هذه المحاضرات اقتطعه من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد العلمية، وبذلك لا أستحق ما صرف لي.

ولا شك أن الموقفين نادران في هذا الوقت.

وتعفف طالب العلم عما فيه شبه، واعتداله في طلب الدنيا صفات محمودة تقر به إلى الناس، وترغب الناس فيه.

ويندر - رحمه الله - أن التقي به إلا وتكون المناصحة والمحاذرة في الشأن العام الذي ينفع المسلمين، ويعالج شؤونهم، حتى في زيارتي له في أيامه الأخيرة.

إن البيئة التي نشأ فيها فضيلته، وهذه الدولة المباركة التي تقدر العلماء وأهل

العلم، وتضع يدها في أيديهم، مؤهلة بحول الله وقوته لإنجاب العلماء العاملين من أمثال الشيخ ابن عثيمين، ولا يزال الناس بخير، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم»، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

رحم الله فقيد المسلمين رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.. وجزاه بما عمل خيراً وجعل ثواب أعماله في ميزانه، فقد انتقل - رحمه الله - إلى الدار الآخرة كما انتقل من سبقه: إنك ميت وإنهم ميتون. الزمر: ٣٠، وسوف يلتحق الناس كلهم بتلك الدار: كل نفس ذائقة الموت. آل عمران: ١٨٥. ولا نقول إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى.. اللهم أجربنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها.. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لهم على تنفيذ الأمر الموكول إليهم، وأن يعرف كل واحد مسؤوليته في المجتمع حتى تسير الأمور على الوجه المطلوب، فإن الولاة إذا لم تساعدهم الرعية على مسؤولياتهم لم تأت على الوجه المطلوب.

وله - رحمه الله - موازنات في مجال الحكم بين حكم الشريعة الإسلامية الذي يوفر الاستقرار الاجتماعي والسياسي في المجتمع المسلم، كما هي الحال في المملكة العربية السعودية، وبين التعدديات السياسية الحزبية، يقول - رحمه الله - في خلاصة له بذلك: «الواجب على الحكومة في أي بلد من البلدان الإسلامية الرجوع إلى الكتاب والسنة، وتوحيد الأحزاب السياسية على حزب واحد، وهو حزب الله، المنفذ لشريعة الله، وهذا الحزب لن يضر بالأمة الإسلامية

مثل ما يحصل من التعدد الحزبي، وقد أشار الله عز وجل في القرآن الكريم إلى أن التعدد الحزبي يورث التنازع والاختلاف، والتنازع هو سبب الفشل، قال سبحانه: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.

الأنفال: ٤٦. وقال أيضاً: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. آل عمران: ١٠٥.

لقد كانت حياته - رحمه الله - حياة جد وكفاح، وعمل دؤوب لمصلحة الإسلام والمسلمين، تعليمًا، ووعظًا، ونصحاء، وتأليفًا.

#### موقفان نادران

لقد كان أول لقاء لي بفضيلته في سنة ١٣٨٢هـ حينما كنت مدرساً في المعهد العلمي بالمجموعة، وكان مدرساً في معهد عنيزة العلمي، وكنت مع رحلة طلابية من معهد المجموعة إلى منطقة القصيم، وفي أثناء زيارتنا للمعهد، كان - رحمه الله - مبرزاً في نصحه وتوجيهه ذا أثر متميز في منسوبي المعهد وطلابه، وازدادت العلاقة به من خلال عملنا جميعاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم بعد انتقاله للعمل في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، حيث الميدان واحد، والمهام واحدة. أذكر لفضيلته موقفين نادرين في عصرنا الحاضر، أحدهما: أنه بعد صدور نظام الجامعة، أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب (الكادر) الجامعي، وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقديم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص، فلم يتقدم بأي بحث،



# الفدھر ففي العهد العثماني

خليل محمود الصمادي

الرياض . السعودية

بعد أن انتصر العثمانيون على المماليك في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، دخل السلطان سليم البلاد الشامية كلها دون مقاومة تذكر، وكانت مدينة القدس ضمن هذه البلدان، وكان السلطان سليم الأول هو أول من اتخذ لقب خليفة المسلمين من العثمانيين، وهو السلطان التاسع للدولة العثمانية.

كما جدد عمارة بركة السلطان الواقعة في الجنوب من باب الخليل، وقام بترميم القلعة وعمارة السبيل في (طريق الواد).

وقامت زوجته الروسية الأصل (روكسيلانة) بإنشاء التكية المعروفة بتكية

(خاصكي سلطان)، وقامت التكية بدورها الحضاري في إيواء طلاب العلم، وتقديم وجبات الطعام للفقراء من مدينة القدس حتى أواخر العهد العثماني، وكانت نفقات التكية تدفع من ريع الأوقاف التي أوقفتها زوجة السلطان، وكان من أهمها عدة قرى مثل بيت جالا وباميون والغامرية وبيت اكسبا وغيرها، وكذلك خان واسع وأربع طواحين وبعض العمارات تجاه المسجد، وخمس وخمسون حجرة حول المسجد.

كما أنشأ السلطان سليمان المدرسة الرصاصية التي



لوحة تصور مدينة القدس قديماً

وقسمت بلاد الشام عدة ولايات أهمها (ولاية دمشق) التي كانت تشمل سناجق دمشق، والقدس، وصفد، وغزة، وعجلون، ونابلس، وتدمر، وصيدا، واللجون، والكرك.

وبعد وفاة السلطان سليم

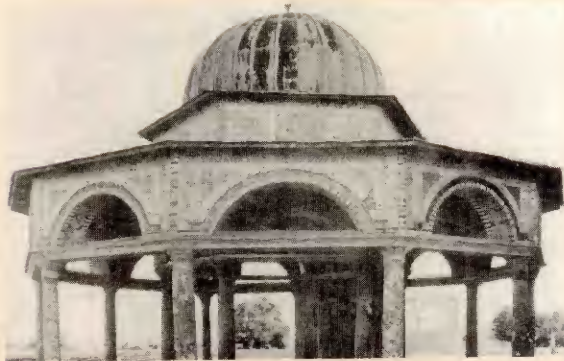
الأول عهدت الخلافة وأمر السلطنة إلى ابنه السلطان سليمان الملقب بالقانوني، وتمت في عهده الإنشاءات الكثيرة في مدينة القدس وغيرها.

فكان نصيب مدينة القدس من اهتمام السلطان أن قام بتجديد سور القدس، وتجديد عمارة قبة الصخرة وإعادة تبليطها، وعمر جدران الحرم وأبوابه، وسد الباب المعروف بالباب الذهبي في الحرم وفتح باب مريم، وعمر الباب الغربي لقبة الصخرة، وجدد القيشاني في قبة السلسلة.





منظر عام للقدس



قبة السلسلة

كنج أحمد آغا قناة السبيل التي تجري فيها المياه من العروب وبرك سليمان إلى بيت المقدس.

وفي سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٦م) قام والي صيدا سليمان باشا بترميم المسجد الأقصى على نفقته الخاصة، وكذا تجديد مسجد النبي داود بعد أن أخذ موافقة السلطان محمود.

ووقعت القدس في قبضة جنود إبراهيم باشا بن محمد علي؛ وذلك سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١م) بضع سنين.

كانت مركز إشعاع لطلاب العلم والمعرفة.

وفي سنة ٩٣٦ هـ حول السلطان سليمان مقام النبي داود عليه السلام - بعد أن كان محطة للمشعوذين والبدعيين - إلى مسجد تقام فيه الصلوات الخمس، وقد جاء في نقوش البلاطة المعلقة على المسجد: «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بتطهير هذا المكان وتنظيفه من المشركين وعمله مسجداً يذكر فيه اسم الله تعالى: سلطان الأنام، ناصر دين الإسلام خادم البيت الحرام منشىء العدل والأمان السلطان ابن السلطان سليمان من آل عثمان. أيد الله الإسلام في حياته؛ على يد مولانا الشيخ أحمد الدجاني والساعي الشيخ محمد الواعظي العجمي أجرى الله على يديه وذويه الخير. تاريخ ٥ ربيع الأول ٩٣٦ هـ. والحمد لله وحده».

وفي سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨م تم إنشاء (محراب النبي) غرب الصخرة إلى الشمال بينها وبين قبة المعراج.

وفي سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢م) جدد متسلم القدس



## العثمانيون

### والهجرة اليهودية

حاول اليهود منذ القدم الهجرة إلى بيت المقدس، ولكنهم كثيراً ماكانوا يصطدمون بموقف السلطات التي كانت حائلاً دون أطماعهم. ويرجع السبب في ذلك إلى وثيقة (العهد العمرية) التي يرجع تاريخها إلى سنة ١٥ هـ. عندما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة القدس، كتب وثيقة لأهلها نصت صراحة «أن لا يسكن فيها معهم أحد من اليهود.....»، وقد ظلت هذه الوثيقة متبعة ومحترمة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى عهد محمد علي باشا والي مصر إذ تمكنت عشر عائلات يهودية في عهده

بوسائلهم المعروفة من دفع (الرشي) واتصالهم بالدول الغربية للضغط على محمد علي للسماح لهم بالإقامة بالقدس. وفي وقتها تعاضم نفوذ الجمعيات والمؤتمرات اليهودية التي كانت تدعو إلى إقامة اليهود في فلسطين، ولكنهم اصطدموا بموقف السلطة العثمانية بعد أن آل إليها حكم بلاد الشام. وكان موقفها حازماً وحاسماً، وقد قامت قائمة اليهود في شتى أنحاء العالم للعمل ضد الدولة العثمانية.

ويرى كثير من المؤرخين أن موقف الدولة العثمانية من هجرة اليهود إلى فلسطين عجل في نهايتها، ومن المعروف أنه حدثت اتصالات بين هرتزل رئيس (الجمعية الصهيونية) والسultan عبد الحميد بهدف إقناع السلطان بالهجرة اليهودية نظير مبالغ طائلة يدفعها اليهود للسلطان وللدولة، إلا أن محاولات هرتزل لم تنجح، وصار السلطان في نظره «ماكراً جداً خبيثاً جداً ولا يثق بأحد» (\*).

وعمل اليهود بعد هذا الموقف على إسقاط دولة الخلافة حتى يتسنى لهم التدفق على فلسطين. وانتقلت المعركة بعد ذلك بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية التي تبنت مواقف اليهود.

وبسبب خطورة الوضع في القدس قامت الدولة العثمانية بسلخ متصرفية القدس عن ولاية الشام وارتباطها مباشرة بوزارة الداخلية في استانبول. يقول السلطان عبد الحميد عن القدس: «لماذا نترك القدس؟ إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان وستبقى كذلك، فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية، لا بد أن تظل القدس لنا».

إلا أنه، ومع الموقف المتصلب



الجانب الغربي من منبر برهان الدين





باب داود بالواجهة الجنوبية للصور



من الشوارع القديمة بالقدس



حي قديم في القدس

موسى» ١٨٨٠م و«أهل موسى» ١٨٨٣م و«سكوت شلوم» ١٨٨٧م و«بيت يهوذا» ١٨٨٨م و«شعرفنا» و«بيوت تيمن» ١٨٩٠م.

وإزاء هذه المشكلة العظيمة، وخوف الدولة العثمانية من وقوع مدينة القدس تحت سيطرة اليهود قاموا بوضع حد للهجرة اليهودية، فقد صدرت قوانين الباب العالي عام ١٨٨٢م، وكان مضمونها ألا يسمح لليهودي بالدخول إلى فلسطين إلا في حالة واحدة هي الحج والزيارة المقدسة ولمدة أقصاها ثلاثة أشهر، على أن يحجز جواز سفر الزائر، ويودع في مراكز الشرطة حيث يتم استبدال الجواز الأحمر به مؤقتاً، ولكن اليهود اخترقوا هذه القوانين بمساعدة قناصل الدول الأوروبية وصار عدد اليهود يزداد يوماً بعد يوم، مما أحدث صدامات بين الفلسطينيين واليهود عام ١٨٨٦م، إذ هاجم الفلاحون الفلسطينيون المطرودون من قراهم المغتصبة المهاجرين اليهود؛ ودفعت هذه الصدامات الدولة إلى

للدولة العثمانية، فقد قام في القدس الشريف عدد من المستعمرات، منها مستعمرة (بيت ناثان) وقد خصصت ليهود شمال أوروبا (الأشكنازيم) ومستعمرة (يمين موسى) وقد خصصت ليهود جنوب أوروبا (السفارديم)، بالإضافة إلى عدة أحياء صغيرة في المدينة منها «نحلة سبع» ١٨٦٩م و«ابن يعقوب» ١٨٧٠م و«مساكن إسرائيل» ١٨٧٦م و«مذكرة



الأراضي والاستيطان في فلسطين.

وتوالت القوانين العثمانية الكثيرة، ولم يكن مفعولها كثيراً بسبب المشكلات التي دبت في جسد الرجل المريض، وكذلك بسبب هيمنة اليهود على معظم الدول الأجنبية التي وقفت معهم وشجعتهم على الهجرة، وحاول العرب حث الحكومة العثمانية على تطبيق القوانين بشكل فعال، وكان منهم نائباً القدس في مجلس المبعوثان سعيد الحسيني وروحي الخالدي الأديب المعروف صاحب كتاب «فكتور هوجو وعلم الأدب عند الإفرنج والعرب» وهو أول كتاب في الأدب المقارن بين العربية والإفرنج. قام هذان النائبان مع ستين نائباً عربياً بحث الباب العالي على متابعة قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع اليهود من شراء الأراضي، وفرض رقابة حكومية على مدارسهم وبرامجهم الدراسية وغيرها. إلا أن هذه الاقتراحات لم يؤخذ بها، وذلك بسبب خلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٨م، الرجل الذي وقف سداً في وجه الأطماع اليهودية. وبعد عزله أقام اليهود الأفراح والمظاهرات في أماكن وجودهم، وصارت الهجرات اليهودية تتدفق على القدس وغيرها من فلسطين، واخترق اليهود جمعية الاتحاد والترقي التي لم تكتفِ بالأعداد المتزايدة من اليهود المهاجرين، وعلى الرغم من وجود السلطان العثماني محمد رشاد الذي صار رمزاً فقط للعثمانيين.

### سقوط القدس

في عهد السلطان محمد رشاد الخامس دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى ضد إنجلترا وحلفائها، فأوعز رجال الحكم التركي من جمعية الاتحاد والترقي إلى السلطان بإعلان الجهاد ظناً منهم أن الأوضاع الاجتماعية والعسكرية للبلدان تستطيع الوقوف أمام قوة الحلفاء آنذاك.

وكان السلطان عبد الحميد في منفاه، فلما علم بإعلان أخيه السلطان محمد رشاد للجهاد حزن وقال: «ليس الجهاد نفسه، ولكن اسمه فقط كان سلاحاً في أيدينا، وكنت أحياناً كلما أردت تهديد سفراء الدول

اتخاذ إجراءات جديدة، إذ طلبت من متصرف القدس إجراء اتصالات مع قناصل الدول الأجنبية لإبلاغهم استياء السلطان والسلطات العثمانية لعدم قيام القنصليات الأجنبية في القدس بخطوات من جانبها لتسهيل إخراج رعاياها من اليهود الذين انتهت مدة إقامتهم. وكان رد القناصل على المتصرف أنهم لم يقبلوا بتنفيذ الأمر حتى يتلقوا تعليمات من سفاراتهم في إسطنبول.

وكانت الدول الأجنبية لا تذكر عقيدة رعاياها، مما ساعد ذلك على إخفاء عقيدة اليهود الزائرين وتحاييلهم على القوانين؛ وفطن الباب العالي إلى هذا الموضوع فأصدر قوانين جديدة عام ١٨٨٨م نصت على ضرورة حمل اليهود الأجانب جوازات سفر



باب يافا

توضح عقيدتهم اليهودية، كما أوعزت الدولة العثمانية إلى جميع قناصلها في البلدان كافة عدم التأشير على جوازات اليهود إلا بداعي الزيارة ولمدة محدودة.

وقد احتجت الدول الأوروبية على هذه الإجراءات الجديدة، واحتجت أمريكا على قوانين ١٨٨٣م الجديدة التي تطلب من موظفيها القيام بحملات تفتيشية في القدس وغيرها لتجميع اليهود وتسفيرهم مباشرة عن طريق ميناء يافا. وكان احتجاج أمريكا أن اليهودي الأمريكي هو أمريكي أولاً وقبل كل شيء، وأنه لا يحق للدولة العثمانية منعه من شراء





باب دمشق حالياً

ولكن السلطان محمد رشاد لم يستعمل الجهاد للتهديد بل أعلن (الجهاد الأكبر) وجرى احتفال مهيب عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة إذ أخرجت راية النبي بما يليق بها من التبجيل والاحترام، وتم نقلها إلى دمشق بالقطار في ١٥ ديسمبر/كانون الأول ١٩١٤م، وقد استقبلها الدمشقيون بمظاهر الحفاوة والتكريم، ثم نقلت الراية إلى بيت المقدس ووصلت في ٢٠ ديسمبر/كانون الأول من العام نفسه، فأقيم لها احتفال كبير في الساحة المحيطة بقبة الصخرة برئاسة جمال باشا والي سورية، وختم الاحتفال بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى ووضعت الراية هناك



باب دمشق قديماً

الأجنبية أقول لهم: إن بين شفتي خليفة الإسلام كلمة واحدة، لا قدر الله أن تخرج. إننا لا نملك من الجهاد إلا الاسم فهو قوة بلا بدن.....».



باتت مهددة، ولكنها، أي الدولة، كانت تنتظر مساعدة الألمان لحماية بيت المقدس ولتجهيز جيشها إلى مصر لمقارعة الإنجليز. وانتظر الفيلق العشرون العثماني بقيادة اللواء علي فؤاد باشا صهر السلطان عبدالحميد المساعدات من الألمان، ولكنها لم تصل، وأعد اللواء خطوطه الدفاعية عن القدس بمساعدة أحد الضباط الألمان الذي كان يمّني المدافعين بالعود والأحلام، وكان من بين الضباط الأتراك ابن السلطان عبدالحميد العقيد عبدالرحيم، ولكن هذه الدفاعات لم تنجح، فلم يستطع هذا الفيلق الصمود أكثر من أربع وعشرين ساعة أمام قوات الجنرال اللنبي صاحب مقولة: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

وهكذا دخلت القوات البريطانية مدينة القدس في الثامن من ديسمبر/كانون الأول ١٩١٧م، وغادرها كبار الأتراك طلباً للنجاة بعد أن دام حكم العثمانيين فيها أربعمئة عام (١٥١٧ - ١٩١٧م)

وبعد خروجهم ينتهي الحكم العثماني للقدس لتبدأ مشكلة القدس الكبرى مع جيش الاحتلال البريطاني والتدفق اليهودي عليها، وبعدها الاستيلاء عليها من قبل اليهود عام ١٩٦٧م وفي يومنا هذا معركتهم مع المسلمين أجمعين في جعلها عاصمة أبدية لهم. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يوسف: ٢١.



سبيل بركة السلطان وهو سبيل عثماني بني عام ١٥٣٧م

ليتم إخراجها في اليوم الذي سيزحف فيه الجيش على مصر.

كانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت في وضع لا يسمح لها بالقيام بحروب على جهات متعددة، وكانت الدولة كما شبهها بعض المؤرخين بالرجل المريض تتآكل رويداً رويداً، حتى إن إسطنبول عاصمة الخلافة

#### الهوامش والمراجع

١. سجل هرتزل في يومياته عام ١٩٠١م عن رد عبدالحميد: «انصحوا الدكتور هرتزل بأن يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، أنا لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه. فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت إمبراطوريتي يوماً فإنهم يستطيعون أنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبعض في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي فهذا أمر لن يكون».
٢. بلادنا فلسطين الجزء العاشر القسم الثاني، مصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٦م.
٣. موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، حسان حلاق، بيروت، ١٩٧٨م.
٤. والذي السلطان عبدالحميد، مذكرات ابنة السلطان الأميرة عائشة، دار البشير عمان، ١٩٩١م.
٥. تاريخ فلسطين الحديث، عبد الوهاب الكياني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠م.
٦. عصر السلطان عبدالحميد وأثره في الأقطار العربية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٩م.
٧. القدس إيمان وجهاد، عرفان نظام الدين وعلي طاهر الدجاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧١م.
٨. مذكرات السلطان عبدالحميد، محمد حرب عبدالحميد، دار الوثائق الكويت، ١٩٨٦م.



# صور فرآنية

جاسر خليل أبو صفية  
عمان - الأردن

في هذه المقالة صورتان قرآنيتان توضحان ما في كلام الله المنزل من جمال التعبير ودقة المعنى والإعجاز البلاغي، وذلك كله على الرغم مما بين الصورتين من تناقض، فأولاهما عن النور الإلهي، والثانية عن المنافقين.



## النور الإلهي

النور الإلهي، صورة باهرة لا يستطيع القلم، مهما أوتي من فصاحة وبلاغة وبيان، أن يعبر عنها، ويفيها حقها، لأنها تتصل بنور الله، سبحانه وتعالى، وهو النور الذي قال فيه: الله نور السماوات والأرض. النور: ٣٥.

ولكني، على عجزتي وقلة حيلتي، سأحاول تخيل هذا النور الذي يعلم الله أن العقل البشري المحدود لا يقدر على تخيله، ولهذا رسم لنا معالمة بصورة تقربه من أذهاننا.

قال سبحانه وتعالى: الله نور السماوات والأرض. مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء. النور: ٣٥.

والنور في كلام العرب: الأضواء المدركة بالبصر، واستعمل مجازاً فيما صح من المعاني والإح، فيقال: كلام له نور. ومنه: الكتاب النير. ومنه قول أبي تمام:

بقوله تعالى في آخر الآية: «يهدي الله لنوره من يشاء».

هذا النور الإلهي الذي يغمر السماوات والأرض والكون كله، ويفيض على مشاعرنا وجوارحنا، وينسكب في حنايا قلوبنا فيملؤها سكينته وأماناً وأطمئناناً. هذا النور الإلهي هو الذي يضيء للإنسان المؤمن حياته وطريقه، فلا يتعثر ولا يتلثب، بل يستمر في سيره واثقاً مطمئناً، إلى أن يلقي الله، فتكون جائزته الكبرى أن يشاهد هذا النور معانية كما وعده الله،

نَسَبَ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نورا، وَمِنْ فُلُقِ الصَّبَاحِ عموداً والنور من أسماء الله، سبحانه وتعالى؛ لأنه المنور، قال ابن الأثير: هو الذي يبصر بنوره ذو العماية، ويرشد بهداه ذو الغواية. وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور، والظاهر بنفسه، المظهر لغيره، يسمى نوراً؛ فهو نور السماوات والأرض. ومعنى ذلك أن الله هو هادي السماوات والأرض، ومنور السماوات والأرض. واستدل العلماء على ذلك



سبحانه وتعالى، في قوله: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. القيامة: ٢٢-٢٣.

وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا قام من الليل يتهدج يقول: «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض».

ولما رجع رسول الله من الإسراء والمعراج سئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت نوراً».

### التقريب بصور حسية

ولما كان الله، سبحانه وتعالى، هو الذي خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، ويعلم مقدار عجزه عن إدراك حقيقة هذا النور الإلهي، قرب لذهنه

جدار البيت ليست بنافذة، لتعمل على تجميع الضوء لئلا يتشتت وتضعف الإضاءة، ويخفت النور.

ومن المعروف أن المشكاة تكون بلون الجدار، والجدار أبيض؛ لأنه مطلي بالنورة، وهي مأخوذة من الحجر الكلسي، واسمها يدل على الإنارة لبياضها، واللون الأبيض يزيد في قوة الإنارة.

وتزداد قوة النور سطوعاً إذا كان المصباح داخل زجاجة مصقولة شفافة بيضاء، تعمل على تجميع النور ومنع الريح من تفريقه، ولهذا قال، سبحانه وتعالى «المصباح في زجاجة».

ولكن هذه الزجاجة ليست كأى

**كلما تأمل الإنسان القرآن ملأ قلبه بشراً، وبعث قريحته عبيراً ونشراً؛ فهو حافل بصور ملونة متحركة ذات إيقاع موسيقي متنوع أخاذ، فتتحرك معها القلوب والعقول مفتونة بألوانها وموسيقاها وجرس كلماتها**

وعقله وتصوره بصور مرئية مُحسنة، يستطيع الإنسان أن يبصرها ويدرك ما وراءها. فالله سبحانه يقرب لنا صورة نوره الذي لا يدرك ولا يجد علناً نهدي لهذا النور.

وقد تضافرت عدة ألوان لتكون لنا صورة أخاذة بديعة للنور وهو يزداد قوة على قوة ليصل في النهاية إلى الحد الأعلى في الإنارة الدنيوية التي يستطيع الإنسان إدراكها. وتراوحت هذه الألوان بين البياض والصفرة والحمرة والزرق الباهتة، وهي أهم عناصر اللون المكونة للنور.

فقوله تعالى: «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح» يجعلنا نتخيل هذه المشكاة التي وضع فيها مصباح يستضيء بنوره الناس في بيوتهم. والمشكاة عند العرب: كوة صغيرة في

زجاجة، إنها تشبه في صفاتها وبياضها كوكباً ثاقباً مضيقاً، منسوباً إلى الدر الذي يمتاز ببياضه ولعانه وتألقه وشدة صفائه، مما يضاعف قوة الإنارة، فتزداد قوة على قوة. وهذا الكوكب الدر الذي قال فيه الله سبحانه «الزجاجة كأنها كوكب دري» يعد من أعظم الكواكب عند العرب. وذهب بعض المفسرين إلى أنه الزهرة الذي يمتاز بقوة إشراقه وبياضه.

وبعد هذا البيان الإلهي للعناصر التي تعمل على تجميع النور وتقويته، بطلنا على مادة هذا النور، ومن أين يستمد المصباح وقوده، فيقول عن المصباح: «يوقد من شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار».

فمصدر الإنارة في المصباح من

زيت الزيتون، بل هو أفضل أنواع زيت الزيتون؛ إذ يمتاز بلونه الذهبي الصافي، الذي إذا وضع في إناء أبيض أضياء وأشرق ولو لم تمسسه نار. وهذا النوع من الزيت تكون إضاءته بيضاء مشربة حمرة جميلة، لا كدورة فيها.

وفي غضون حديث الله، سبحانه وتعالى، عن نوره المقرب إلى الدهن البشري، يقدم لنا صورة جميلة لشجرة دائمة الخضرة، مباركة فيها من المنافع للإنسان ما لا يعلمه إلا الله. إنها شجرة الزيتون التي أقسم بها الله في قوله تعالى: «والزيتون». التين: ١. ثم ذكرها في موضع آخر مبيناً ما فيها من فوائد على الجملة فقال: «وشجرة تخرج من طور سيناء، تنبت بالدهن وصيغ للأكلين. المؤمنون: ٢٠.

وتتصف شجرة الزيتون بالكمال في القرآن، فيما يتصل بالمكان الذي تنبت فيه، فهي لا شرقية ولا غربية؛ لأنها بحاجة إلى شمس النهار في كل ساعاته، وفي كل اتجاهاته، فلا هي من الأشجار التي تحتاج إلى الشمس صباحاً، ساعة الشروق، ولا من الأشجار التي تحتاج إلى الشمس ساعة الغروب. وتعرضها للشمس طوال النهار يجعل ثمارها ناضجة شبيهة مملوءة بأفضل أنواع الزيت.

### منافع الزيتون

قال ابن عباس، رضي الله عنه: «في الزيتون منافع: يسرج بالزيت، وهو إدام ودهان، ودباغ، ووقود يوقد بحطبه وتقله (أي بذوره). وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة، حتى الرماد يغسل به الإبريسم» أي الحرير.

وقال ابن القيم معقلاً على قسم الله بالزيتون: «أما الزيتون ففيه من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر؛ فإن عوده يخرج ثمرأ يعصر منه هذا الدهن الذي هو مادة النور، وصيغ للأكلين، وطيب



الله على كل شيء قدير. البقرة: ١٧-٢٠.

تصور لنا هذه الآيات الكريمة فئة من الناس يدعون الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولكنهم في حقيقة الأمر ليسوا إلا مخادعين كاذبين. ويتضح من سياق الصورة أن هذه الفئة تفسد في الأرض تحت ستار الإصلاح فيها. فإذا قيل لهم: آمنوا، قالوا مترفعين: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ ثم يكشف الله نواياهم من حوارهم مع شياطينهم بقولهم: وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون. البقرة: ١٤.

يرسم الله لهذه الفئة صورتين، إحداهما: كمثل ذاك الذي استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم.

والصورة الثانية: مثلهم كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق. وتتحد الصورتان معاً للتعبير عن معنى ذهني يتمثل في حقيقة موقف هؤلاء من الحق، وعن حالة نفسية تتمثل في عنادهم وطغيانهم في الباطل، وفي خوفهم واضطرابهم وحيرتهم.

وهذان الموقفان: الموقف الذهني والحالة النفسية يرسمان صورة لنموذج بشري جاء مفعماً بالحياة والحركة.

ففي الصورة الأولى نرى شخصاً ما في مكان ما، ولكن لنا أن نتخيل مكاناً واسعاً لا حدود له يكتنفه الظلام من كل جانب، فيحس هذا الشخص بحاجة إلى نار تضيء له المكان، وتدفع عنه أذى الحيوانات المفترسة، ويفيد منها في طهو طعامه، فيستوقد هذه النار، ويبدأ بتغذيتها ليزيد من اشتعالها.

ولنا أن نتخيل ما يحدثه البطء في اشتعال النار، والصوت واللون

وهذا النور يهدي له الله من يشاء من عباده ممن يحب النور ويفتح قلبه له، ويتعشقه، هذا النور هو رسالة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم.

### صورة المنافقين

قال الشاعر في صفة القرآن الكريم: يزيد على طول التأمل بهجة كأن العيون الناظرات صياقل فكلما تأمل الإنسان القرآن ملأ قلبه بشراً، وبعث قريحته عبيراً ونشراً؛ فهو حافل بصور ملونة متحركة ذات إيقاع موسيقي متنوع أخاذ، فتتحرك معها القلوب والعقول مفتونة بألوانها وموسيقاها وجرس كلماتها حتى كأنها

لما كان الله، سبحانه وتعالى، هو الذي خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، ويعلم مقدار عجزه عن إدراك حقيقة النور الإلهي، قرّبه لذهنه وعقله وتصوّره بصور مرئية محسنة، يستطيع الإنسان أن يبصرها

مرئيات تتملأها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان كما ذهب إلى ذلك أحد العلماء.

ومن هذه الصور الأخاذة في القرآن صورة المنافقين كما في قوله تعالى: ومن الناس من يقول: آمنا بالله وباليوم الآخر، وما هم بمؤمنين. البقرة: ٨. إلى قوله تعالى: مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، وتركبهم في ظلمات لا يبصرون. صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون. أي كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت، والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم، كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن

ودواء. وفيه من مصالح الخلق ما لا يخفى. وشجره باق على ممر السنين المتطاولة، وورقه لا يسقط».

وقد أفاضت كتب الطب العربي القديمة في ذكر فوائد الزيتون وزيته في معالجة كثير من الأمراض والجراحات. وجاء الطب الحديث ليؤكد ما ذكره القدماء؛ فزيت الزيتون يحتوي على نسبة عالية من فيتامين E لتعرض الشجرة للشمس طوال النهار، وهذا الفيتامين مفيد في حالات الإخصاب وعلاج الآفات الجلدية ومذيب للكولسترول، ويدخل في تركيب مواد التجميل النسائية. وزيت الزيتون مغذ وملين ومدر

للصفراء، ويعمل على تفتيت الحصى المتكونة من الكلس، ومحارب للإمساك، كما يفيد مرضى السكر. أما الأدهان بالزيت فيفيد في حالات الخراجات والدمامل وفقر الدم والأكزيما وتشقق الأيدي من البرد، والقوباء.

ومع قوة هذا النور الدنيوي الذي صورته الله لنا في أعلى درجاته، لتقريب نوره الإلهي، فنور الله يظل في مرتبة لا تدرّك؛ ولهذا أضاف الله سبحانه إلى النور التقريبي نوراً آخر يعمل على مضاعفة قوة الإنارة أضعافاً مضاعفة فقال: «نور على نور».

فهو نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض، وهو النور الذي لا يدرك كنهه الإنسان ولا يدرك مداه.



الناجان من ذلك من أثر في نفس المستوقد. وتبدأ الإضاءة في طرد الظلام تدريجياً، وعلامات البشر والسرور بادية على محيا المستوقد، إلى أن تتكامل الإضاءة وتتطاوّل السنة اللهب في النار فتهدأ نفس هذا الشخص وتطمئن إلى ما حققه لنفسه من دفة وطعام وإنارة.

وفي غمرة هذه السعادة تنطفئ فجأة هذه النار، ويختفي النور، ويعم الظلام المكان، ويشيع في نفس المستوقد جو من الخوف والرعب. فأصبح لا يبصر شيئاً من حوله.

وهذه الحال المفاجئة من انعدام الرؤية وعودة الظلام والاضطراب بعد الراحة والاطمئنان، تحدث في نفس المستوقد حالة من الشلل الكامل في الحواس، فيصاب بالصمم والبكم والعمى لا يقدر على شيء.

بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم، كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير».

في هذه الصورة انتقل إلى مشهد آخر من مشاهد الحياة، وما زال المثل مضروباً للفئة نفسها، وحالة التمادي في الطغيان، والقلق عند نزول المصائب خوفاً من لقاء الله، سبحانه وتعالى، العالم بحقيقة نوايا هذه الفئة من الناس.

#### صورة تنبض بالحياة

نرى في هذا المشهد انتقالاً إلى جو آخر حافل بالسحاب والمطر والبرق والرعد والصواعق والظلمات. كلما نلمح حركة سير وتوقف، ثم سيراً وتوقفاً؛ فهي صورة حافلة بالحركة، نابضة بالحياة في عناصر الطبيعة

### نور الله يظل في مرتبة لا تدرك؛ ولهذا أضاف الله سبحانه إلى النور التقريبي نوراً آخر يعمل على مضاعفة قوة الإنارة أضعافاً مضاعفة فقال: «نور على نور»

التي يفترض أن تكون جامدة، لا تحس.

ولكننا نرى في هذه الصورة من هم أشد إلقاء لحواسهم من عناصر الطبيعة الجامدة، إنهم المنافقون الذين ضرب لهم صورة تعد غاية في التناسق والانسجام، صورة تكشف حقيقة مشاعرهم وخوفهم الذي لن يبرحهم. هذه الصورة تضعا أمام لوح فني حافل بالحياة والحركة والظلال، وتجعلنا نقف مبهورين أمام الإعجاز القرآني المصور.

يبدأ المشهد بعرض صورة لسماء مظلمة، ينهمر المطر فيها غزيراً، يتخلله صوت الرعد وميض البرق الذي يخطف الأبصار.

وتتضح الصورة شيئاً فشيئاً، كأن أحداً يسلط الإضاءة عليها جزءاً فجزءاً، لنرى ما يختفي في تضاعيف هذه الأجزاء، وتزداد قوة صوت الرعد، ونرى من خلال وميض البرق أناساً يخيل لنا أنهم يسرون بسرعة مضطربين، وأحياناً تتوقف حركتهم فيثبتون في أماكنهم، فزاهم يجعلون أصابعهم في آذانهم لعلهم يخفون من شدة صوت الرعد الذي يكاد يقتلهم بصواعقه: «يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت».

وتزداد حدة لمعان البرق فيكاد يخطف أبصار المنافقين، ويتلمسون طريقهم كلما أضاء لهم، ثم يتوقفون عن الحركة إذا اختفى البرق: «يكاد البرق يخطف أبصارهم، كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا».

صورة متكررة تكشف عن اضطراب هؤلاء المنافقين وحيرتهم وخوفهم وارتباكهم، فهم في ترقب دائم لمصيرهم: أين سينتهي ومتى؟ وهذا المصير معلق بمشيئة الله، سبحانه وتعالى؛ فهو قادر على أن يسلبهم سمعهم وأبصارهم.

ومما يلاحظ في هذه الصور تلك الظلال التي تراوح بين النور والظلمة، وبين البياض والسواد، ووجود الأصوات والحركات المتتالية، وتصويرها لحالة التناقض. ثم المراوحة بين مشاعر الراحة المؤقتة والاضطراب الذي لا يبرح نفوسهم. ونحس في هاتين الصورتين إيقاعات صوتية وحركية، كحركة اشتعال النار وصوت الرعد المدوي، وصوت المشي، ووجيب القلوب المضطربة، وصوت المطر المتساقط والصواعق. كل ذلك قد صيغ في تناسق فني يأخذ بالألباب.

وهذا الصمم والبكم والعمى قد يكون على الحقيقة؛ لأن الإنسان في مثل هذه الحالة يتبدل حسه فلا يعود قادراً على الكلام أو الحركة. وقد يؤخذ على المجاز؛ لأن هذه الفئة وصفها الله تعالى بأنها ممن يحدون عن الحق ويصممون آذانهم عن سماعه، ويغلقون أعينهم عن رؤيته والتخلي به.

ويرسم الله - سبحانه وتعالى - صورة أخرى لهذه الفئة التي يأتيها الحق فتصم آذانها عن سماعه، هذه الصورة هي قوله تعالى: «أو كصيب من السماء، فيه ظلمات ورعد وبرق، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت، والله محيط



# مفياسر حسن الخلق

عبدالعزیز الخویطر

الرياض - السعودية

وباب آخر من حسن الخلق يرسم القرآن حدوده بقوله تعالى: يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر، واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور. لقمان: ١٧.

وباب آخر أيضاً من أبواب الخلق المضيئة التي تحمي الإنسان من نفسه، وهي عدوه الأول، الأمانة بالسوء، يقول الله عز وجل: ولا تصغر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحاً، إن الله لا يحب كل مختال فخور. لقمان: ١٨.

حتى أصغر الأمور في الحياة، ينبه عليه، لأنه سوس نخر، قد يخفى لصغره على الناس، مع أن أثره كبير، إن روعي جاء بالخير العميم، وإن أهمل جاء بالشر المقيم، يقول الله عن هذا التصرف اليومي الذي يغيب عن ذهن المصلح الاجتماعي: واقصد في مشيك، واغضض من صوتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير. لقمان: ١٩.

## نور الحقيقة

هذا هو الإسلام، يريد للمسلم أن يكون بأبهى صورة، ويبعده عن أي مجال للانتقاد، وينبئه على ما قد يخفى عليه.

ثم تأتي آية جامعة، تلمس كبرى الأمور في حياة الناس فيضع الله - سبحانه وتعالى - الإنسان في النور، نور الحقيقة، الذي يجب ألا يغيب عنه، لأن فيه صلاحه، وبعده عن المجتمع البدائي، مجتمع الغريزة الجامحة، يقول الله تعالى: قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إِملاق، نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون. الأنعام: ١٥١.

وكانوا يأتون كل هذه الموبقات، ويظنون أنهم يحسنون، وهذا هو البلاء الأكبر، والسفاهة المتناهي.

ثم يتطرق إلى خلق آخر يبين فيه حكمه، وما يطلبه من المسلمين فيه، يقول بين، وتوجيه واضح، يقول تعالى: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل، والميزان بالقسط، لا تكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قُلتُم فاعدلوا، ولو كان ذا قرى، وبعهد الله أوفوا، ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون. الأنعام: ١٥٢.

هذا كله في سورة واحدة، وكل آية في القرآن فيها هدى، ونور، يهدي لتي هي أقوم. وحق للمسلم أن يفاخر بدينه، وأن يرفع رأسه، وهو يحمل كتاب الله في يده، ويتدبره في قلبه، ويعمل به في جوارحه.

في المجتمعات التي لا دين لها، أو تركت دينها، وأبعدت عنه، ولم يعد يحكمها إلا صدى ضعيف من تعاليم دينها، تتبلور عندها عادات وتقاليد، ترتضيها قواعد لسيرها، وأساساً لتصرفها، وتكون هي المحور الذي تدور عليه حياتها اليومية، وقد يصبح بالتعود والألفة ما ليس حسناً حسناً، وما يعده مجتمع مخجلاً يصبح لهؤلاء محل رضا وارتياح.

وكان في الجاهلية شيء من هذا، فعملت العادات عملها، وأبقت بعض الحميد، وتبنت بعض القبيح، ولم ير ذلك المجتمع فيما يأتي من ذلك أي بأس، أو يشعر بأي نيب، حتى جاء الإسلام، فهدب أخلاق الناس، ونبذ ما كان قبيحاً، وأبقى ما كان مشعراً مضيئاً، وزاد أموراً أخرى، ولم يترك القرآن والسنة أمراً من أمور الناس دون أن يرسم له الطريق المنير، ويحذرا من الطريق المظلم المضل فيه.

## دين واف

ولأن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد جاء ما فيه بيناً واضحاً، منيراً مشعراً، ولمس الناس، من تطبيق مافيه، الفائدة، وأحسوا برقي المجتمع في ضوء تلك التعليمات، فتمسكوا بها، ودعوا إليها، وألف علماءهم فيها من البيان، والتفسير، وما وضع فيها من النفع ما جعل مجتمعهم يبرز بين المجتمعات، ويقبل الناس على هذا الدين طمعاً في خيره، وتقديراً لنهجه.

والسنة المحمدية الهادية جاءت مفسرة، ومبينة لبعض الأحكام، مما جعل الدين الإسلامي وافياً بكل ما يحتاج إليه المسلم في حياته، وما يجب عليه لآخرته. وشمل ذلك حسن الخلق، وسلامة التصرف، وصحة السير في كل جانب من جوانب الحياة، فلم يبق القرآن، ولا السنة زيادة لمستزيد، لا في الإحاطة بالأمور، ولا في نوعها وكنهها؛ أكبر الأمور وضحت، وأصغرهما بين؛ وليس هذا مقام تتبع كل ما جاء في هذا المجال، فقد حملته مجلدات ومجلدات، ولكن ضرب بعض الأمثلة يري نافذة من الإشعاع البهيج، والإيضاح المبين.

ثبت عن بعض الشعوب البدائية، وروي عن بعض قبائل العرب، أنهم إذا كبر الرجل، أو المرأة، وأصبح أحدهما عبثاً ثقيلاً على القبيلة في رحيلها، رحلوا وتركوه خلفهم لموت بطيء، أما الإسلام فخالف ذلك فمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: الجنة تحت أقدام الأمهات، قال الله - تبارك وتعالى: ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك، إلي المصير. لقمان: ١٤.



# إسلام نابليون

سمير عطا

دنهاج . هولندا

لم يكن إسلام نابليون يثير الباحثين في تاريخه إلا من زاوية خداعه للمصريين وتظاهره بالإسلام، حتى نشرت دار «أنوين» في لندن عام ١٨٩٥م كتاباً عنوانه «كيف أخذ نابليون إلى جزيرة سانت هيلانة» يضم مذكرات جون كلوفر الذي كان أمين سر الأدميرال كوكيرن في أثناء سفر نابليون إلى جزيرة سانت هيلانة عام ١٨١٥م، ورافقه على السفينة تشيمبرلن، وجاء كشف هذا الكتاب نفسه والإشارة إليه في إحدى فقرات «صدق أو لا تصدق» لرابلي.

واطسون، و«القاهرة والقدس ودمشق» لمارجليوث، و«نابليون ورفاقه في السفر» لكليمنت شورتر، و«حياة نابليون» لأبوت، و«أيام نابليون الأخيرة» لروزيري، أشارت إلى ما رده نابليون في سنواته الأخيرة عن «القرآن الجديد» الذي كان في نيته أن يضعه ليحقق به أهدافه ويحملة بيمينه وهو يغزو بلاد الشرق.. وقوله: «إن المسيح لم يتمرد قط على القوة الحاكمة، ومات على الصليب بين لصين تنفيذاً لحكم موظف وثني، وإنه شخصياً لا يؤمن بالوهمية المسيح»، وأنه قبل موته في سانت هيلانة أملى على مرافقه الجنرال كورجوا إشارات تدل على إسلامه منها قوله: «نحن المسلمون».. وقوله في حديثه عن الإسلام: إنه دين يوحد الله.. ودفاعه عن تحديد الزوجات بأربع في الشرق؛ لأن ذلك أفضل من



كثيرة عن تفضيله لها على العقيدة المسيحية لبساطة الإسلام وملاءمته لبداي الأخلاق الأولية».. وهناك كتب ذات شأن مثل «تاريخ نابليون» للانجري، و«نابليون» لتوماس

## موقف نابليون من الإسلام

لعلها كانت البداية لكي تثير اهتمام كاتب أو أكثر للبحث عن حقيقة إسلام نابليون من خلال مقتطفات مما كتب عن موقفه من الإسلام أو صدر عنه من أقوال، ومما أمكن حصره من بعض هذه المصادر:

ما جاء في كتاب وليام هاينمن «منفى جزيرة هيلانة» على لسان نابليون من قوله: «لو كان الدين المسيحي دين العالم الوحيد لآمنت بالمسيح كما يؤمن به البابا بيوس السابع، ولكنني بماذا أؤمن وأنا أرى المسلمين يتبعون دين البساطة؟، والإسلام أدنى إلى عادات الناس وتقاليدهم؟.. وما أورده لورد آلتون في كتابه «التاريخ الحديث - كمبردج ١٩٠٧م مجلد ١٨» من قوله: «لقد شغف نابليون بالعقيدة الإسلامية شغفاً عظيماً حتى إنه أعرب مرات





نابليون يزحف بجيشه مقتحمًا إحدى المعارك

مالطة، فليصدّقنا المصريون إذا قلنا حقًا: إننا مسلمون. وفي بيان خاص موجه إلى العلماء في ديسمبر/كانون الأول ١٧٩٨م قال: «ليعلم الكل أنه كتب لي منذ بدء العالم أنني لم أت من أقاصي الغرب لأخدع أو أخدع، بل لأقهر أعداء الإسلام، ولأثبت أن القرآن الكريم تنبأ عما كان وعما سيكون».

لقد انحسر الإسلام عن أوروبا في واقعيتين شهيرتين هما واقعة «بلاط الشهداء»، سنة ٧٣٢هـ عندما هزم شارل مارتل القائد الأندلسي عبدالرحمن الغافقي بين «تور» و«بواتيه» جنوب فرنسا، وواقعة فيينا عام ١٦٨٣م عندما أوقف الغرب زحف الأتراك العثمانيين.. ولو كانت نتيجة هاتين المعركتين جاءت في مصلحة الإسلام لتغير وجه التاريخ.. ولو كان نابليون قد أسلم وعاد بدين الإسلام إلى

صاحب صحيفة «كوكب الشرق» أول من أثار هذه القضية. وكتب عن إسلام نابليون ضمن ما كتب عن الحملة الفرنسية من وجهة نظر صحفية تتميز بالإثارة.. غير أن أهم ما كتب في هذا المجال، جاء في كتاب الجنرال جورج شبيلمان «نابليون والإسلام» الذي صدر عام ١٩٦٩م، وكانت فرنسا وأوروبا كلها تحتفل بمرور ٢٠٠ عام على مولد ذلك القائد الذي سيطر على تاريخ أوروبا كلها فترة من الزمن. يتحدث شبيلمان في كتابه عن «سياسات» نابليون الإسلامية، وليس عن «سياسة» واحدة؛ لأن مواقفه كانت تمليها الظروف والاحتياجات.

وعندما جاء نابليون إلى مصر أصدر أول بيان له في الثاني من يوليو/تموز ١٧٩٨م أشار فيه إلى أن الفرنسيين هم أنصار النبي، وقد قهروا البابا وفرسان

الإباحية الغربية.. وأنه كان يكره لحم الخنزير، ويحرم جميع أنواع المقامرة.

### مسلمون قهروا البابا

كما تشير هذه الكتابات إلى أن نابليون قد أباح لمن شاء من جنوده اعتناق الإسلام، وأنه قد رحّب بإسلام مينو أحد كبار قواده، كما رفع علم أمير المؤمنين العثماني إلى جانب العلم المثلث الألوان - علم الثورة الفرنسية - وجاهر بأنه هو وجيشه «مسلمون»، كما جاهر باعتزاز بأنه قهر البابا، وأباد فرسان القديس يوحنا عندما استولى على جزيرة مالطة، وهو في طريقه لغزو مصر. وفي كتاب «حملات مصر وسورية» الذي كتبه الجنرال برنار الذي نفي مع نابليون إلى سانت هيلانة فصل عن الديانات في مصر، وأهمها الدين الإسلامي، وتوضح منه اهتمامات نابليون الإسلامية.. وفي الثلاثينيات ربما كان أحمد حافظ عوض



فرنسا لكان قد عوض الإسلام عن نتيجة هاتين المعركتين. وتاريخ الحضارة البشرية يشير إلى ملوك وقيصرة اعتنقوا ديانات جديدة فتبعتهم دولهم وتغير وجه التاريخ في بلادهم.. فلماذا لم يحدث ذلك في فرنسا على يد نابليون؟ وإذا كان قد أسلم فلماذا لم يدع إلى دينه بصورة واضحة وظاهرة؟ هل اكتفى بما يحس به في صدره وبما يخفق به قلبه أو يوعز به ضميره؟ أم إن الأمر كله لم يعد أن يكون مظهرًا «تكتيكياً» أو «إستراتيجياً» اقتضته الظروف من هذا الفاتح الذي كان يحاول أن يقلد الإسكندر المقدوني؟

### أول منشور

في الثاني من شهر يوليو/ تموز ١٧٩٨م، أي بعد وصول نابليون إلى الإسكندرية وزع منشوراً على الشعب المصري هذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه.. من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية. السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنسية بونايرته.. يعرف أهالي

مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك الجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض مثلها؛ فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على

انقضاء دولتهم. يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمغترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم. وقولوا أيضاً لهم: إن جميع الناس متساوون عند الله، وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل



نابليون يستعرض مع بعض المشايخ موكب الاحتفال بالمولد النبوي بالقاهرة

والعلوم فقط، وبين المماليك والعقل والفضائل تصارب، فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شيء حسن فيها من الجواني الحسان والخيال العتاق والمساكن المريحة.. فإن كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم، ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم؛ ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعداً لا يلبس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب

السامية، وعن اكتساب المراتب العالية، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها.. وسابقاً كان في الأراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر، وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من المماليك. أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجرجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم: إن الفرنسيات هي أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين.. ومع ذلك فإن الفرنسيات في كل وقت من الأوقات صاروا محبين لمخلصين لحضرة السلطان العثماني، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه، ومع ذلك فإن المماليك امتنعوا عن طاعة السلطان غير ممتثلين لأمره، فما أطاعوا أصلاً إلا لطمع أنفسهم. طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم.. ثم يورد المنشور فيما بعد ذلك تحذيرات للمصريين من الإقدام على مساعدة المماليك، وينظم العلاقة بين المصريين والفرنسيين في أثناء عملية الغزو ويعدها.

كتب المنشور باللغات الثلاث الفرنسية والتركية والعربية.. ولوحظ وجود خلافات طفيفة بين النصين العربي والفرنسي، إذ روعي في النص الفرنسي أن تكون عباراته بصورة



لست مشركاً ولا وثنيًا.. فاعتنق الإسلام إذن، لأنك لو فعلت لبادر إلى الانضواء تحت لوائك مئة ألف عربي من بلاد العرب ومن مكة والمدينة، ولا استطعت وأنت قائداهم ومنظمهم أن تفتح بهم الشرق وتسترد وطن الرسول بكل أمجاده.. فدهش الجنرال..

جاء هذا في وصف بونايرت في مذكراته لهذه المقابلة في حين لم يذكرها الجبرتي في تاريخه.. وهناك شك في أن

المصريين بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصه بالرعاية، وإلا: كيف هزم أولئك المماليك الشجعان؟.. إنه هزمهم بتوفيق الله ومحبة رسوله.

وقد علق نابليون في سانت هيلانة على ذلك بقوله: إن المشايخ قد نظروا إليه عندئذ بأنه «مقدر من عند الله».. وهو وصف فيه الكثير من المبالغة أو الاعتزاز، فإنه لم يقدر تماماً أن المشايخ المقربين منه كانوا يداهنونه، أما غالبية



نابليون يستعرض إحدى المومياءات التي كشف عنها علماء الحملة الفرنسية

تكون هذه الرواية قد حدثت على وجه عكسي، فإن من المرجح أن نابليون هو الذي اقترح أن يعلن إسلامه هو وجيشه وسط دهشة المشايخ، ولعل مما يؤيد ذلك شائعة سرت عقب وصول الفرنسيين إلى القاهرة - مصدرها فرنسي - بلا شك - تصرّح أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ظهر للجنرال وطلب منه أن يجهر بإسلامه حتى تخضع آسيا كلها لسلطانه.. وأن الجنرال قد رد على النبي - في الحلم - بأن يعطيه مهلة عام واحد

الوعاظ فقد انطلقوا من على المنابر يهاجمون الفرنسيين. فجمع نابليون أعضاء الديوان الذي أنشأه كهيئة استشارية له وقال لهم: «أريد من الأزهر فتوى تأمر الناس بحلف بيمين الولاء والطاعة لي»، فوجم المشايخ وبهتوا لهذا الطلب.. ثم تشجع الشيخ الشرقاوي وقال: «إنك تطلب رعاية الرسول الذي يحبك، وتريد العرب المسلمين أن ينضووا تحت رايتك، وترغب في استرداد أمجاد العرب وأنت

مخففة؛ لأنه - أساساً - مجرد تسجيل للفرنسيين وغير موجه للمصريين.. ومن أمثلة هذه الخلافات: في النص العربي «وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأخدم نبيه والقرآن العظيم».. وفي النص الفرنسي «وإنني أخدم الله ورسوله والقرآن أكثر من المماليك».. كما أن هناك عبارة ذات أهمية قصوى وهي: في النص العربي «إن الفرنسيانية هم أيضاً مسلمون مخلصون».. وفي النص الفرنسي «إن الفرنسيانية أصدقاء مخلصون للمسلمين».. ولعل هذه العبارة بوضوحها في النص العربي مع مظاهر المشاركة الإسلامية لنابليون في احتفالات المسلمين هي التي أثارت قضية إسلام نابليون.

وواضح أن بونايرت كان يحاول استغلال الدين ورجاله إلى أقصى حد.. كتب لكليبر في الإسكندرية يقول له - ونابليون في القاهرة -: «إننا إذا كسبنا تأييد كبار شيوخ القاهرة كسبنا الرأي العام في مصر كلها. فليس بين زعماء الأمة كلهم من هو أقل خطراً علينا من الشيوخ فهم جبناء عاجزون عن القتال، يوحون - كجميع رجال الدين - بالتعصب دون أن يكونوا هم أنفسهم متعصبين»..

ولم يكن نابليون أو بعض قواده يتركون مناسبة لا يعلنون فيها أنهم «مسلمون» أو «غير مسيحيين» أو أنهم لا يؤمنون إلا بالكائن الأعظم.

وحين يأتي له المشايخ في قصره بالأزكية يجلس وسطهم على الأريكة ويحاول كسب ثقتهم بالناقشة في القرآن، ويطلب تفسير الآيات المهمة ويبيدي إعجابه العظيم بالرسول.

وحاول بونايرت أن يوهم رجال الدين





لكي ينظم فيها أمور جيشه لتقبل هذا التحول العظيم.. أما هو نفسه فإنه يعد نفسه مسلماً بشهادة الشيخ السادات والشيخ البكري!!.

### مسلمون عصاة

ولا شك أن دهشة المشايخ من هذا الطلب كان مرجعها أن الفرنسيين كانوا يعلنون أنهم لا يمكنهم أن يقبلوا عمل الختان «كالمسلمين واليهود» أو أن يكفوا عن شرب الخمر.. ويدور نقاش بين نابليون والمشايخ للوصول إلى حل وسط.. ورأى بعض المشايخ المائلين إمكان إصدار فتوى بأن الختان نافلة وليس فرضاً، وأن المسلم يمكن أن يشرب الخمر ولكنه يصبح مسلماً عاصياً.

وكان من السخرية أن يعلن الفرنسيون إسلامهم ثم يدمغون أنفسهم بأنهم عصاة، ولا يسعون إلى دخول الجنة كما يفعل المسلم الحق.

وأياً كان الأمر فقد أصدر العلماء بياناً بأن الجنرال أو «السلطان الكبير»: «يحب المسلمين، ويعز الرسول، ويذهب نفسه بقراءة القرآن كل يوم، ويريد بناء مسجد لا نظير له في بهائه وفخامته، ويود اعتناق الإسلام».

نجحت سياسة التراضي مع المشايخ المسلمين أول الأمر نجاحاً خداعاً ولا سيما بعد أن قتل محمد كريم لمقاومته السلطة الفرنسية.. وكان نابليون على إدراك واسع بنوازع المصريين الدينية في عصورهم التاريخية، وقد كان متأثراً إلى أبعد حد بما فعله الإسكندر المقدوني في مصر.

كانت رحلة الإسكندر إلى واحة سيوة وتظاهره بأنه ابن آمون وما لقيه ذلك من ترحاب في نفوس المصريين

الأمير في مجاملته أو تظاهره بالإسلام.. حتى ألجأته الظروف إلى الكشف عن نفسه كغاز ذي أغراض سياسية محددة.. وأهم هذه الظروف شعوره بالحصار في مصر وضرورة تطوير أسلوب الحياة فيها بما يتفق مع المصلحة الفرنسية، الأزمات المالية المتعاقبة، وإعلان السلطان العثماني الحرب على الفرنسيين.. وهكذا عرف المصريون أن السلطان «صديق الفرنسيين» يحاربهم.. وقرأ المشايخ ورجال الدين منشور السلطان على الشعب فكانت ثورة القاهرة الكبرى.

يضاف إلى ذلك ما شاهده المصريون من تصرفات الفرنسيين في الحكم أو

المتدينين ماثلة في ذاكرة بونايرت، فأراد أن يفعل الشيء نفسه مع المصريين. ويعلق بونايرت على نجاح الإسكندر بقوله: «لقد حقق بعمله هذا من حيث تثبيت دعائم فتحه للبلاد أكثر مما كان يحققه لو بنى عشرين حصناً، وعزز جيشه بمئة ألف من المقاتلين المقدونيين». ويضيف نابليون في معرض إعجابه بالإسكندر: «كان منتهى حسن السياسة منه أن يذهب لزيارة معبد آمون فهو بهذا فتح مصر.. ولو أنني مكثت في الشرق لأقيمت على الأرجح دولة كدولة الإسكندر بذهابي إلى مكة للحج».

والملاحظ أن بونايرت قد اشتط أول



ونواحيه، وكل من صادفوه به وعروه  
ومن ثيابه أخرجه».

وكان خليقاً بهذه الأحداث أن تؤثر  
تأثيراً سيئاً في نظرة المصريين إلى  
ادعاءات نابليون الإسلامية فحاول أن  
يلجأ إلى سياسة مكيفيلية بالعفو عن  
المشايخ والعلماء فيما عدا قلة منهم، ثم  
قطع رؤوس من اشترك في الثورة سراً،  
ووجه منشوراً تحذيرياً لم يخل من  
أسباب التمسك بادعاءاته الإسلامية  
منها:

«أعلموا أمتكم أن الله قدر في الأزل  
هلاك أعداء الإسلام على يدي، وقدر  
في الأزل أنني أجيء من الغرب إلى  
أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها،  
وإجراء الأمر الذي أمرت به.. ولا يشك  
العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته  
وقضائه. وأعلموا أيضاً أمتكم أن القرآن  
العظيم صرح به في آيات كثيرة بوقوع  
الذي حصل، وأشار في آيات أخرى إلى  
أمر تقع في المستقبل، وكلام الله في  
كتابه صدق وحق».

لكن ذلك لم يأت بالأثر المطلوب بعد  
أن شاهد المصريون عياناً القوة القاهرة  
السيطرة للفرنسيين كغزاة وليسوا  
مسلمين ولا أصدقاء للمسلمين. وقد  
أشار الجبرتي إلى ما يفيد تشكك  
المصريين بعد ذلك بقوله عن هذا  
المنشور أنه «تمويهات على العقول  
بفاسد التخيلات التي تنادي على  
بطلانها بديهة العقل فضلاً عن النظر».  
ومن الغريب أن يتطابق ما أشار إليه  
الجبرتي بما ذكره كريستوفر هيرولد  
مؤلف كتاب «بونابرت في مصر» من  
أن نابليون وهو في سانت هيلانة  
اعترف بأن هذا المنشور كان قطعة من  
الدجل «ولكنه دجل من أعلى طراز».



الفرنسيين ونابليون الإسلام بعد ثورتهم،  
وبعد أن وجهت المدافع إلى الأزهر  
وانتهك الفرنسيون حرمة فيما وصفه  
الجبرتي بقوله: ثم دخلوا إلى الجامع  
الأزهر وهم راكبون الخيول وبينهم  
المشاة كالوعول، وتفرقوا بصحنه  
ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبيلته،  
وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا  
القناديل والسهارات، وهشموا الخزائن  
الخاصة بالطلبة والمجاورين والكتبة،  
ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني  
والقصاع والودائع والمخبات بالدواليب  
والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف،  
وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم  
ونعالهم داسوها، وأحدثوا بصحنه

الحياة الاجتماعية على السواء، ومن  
حاول أن يقلدهم من المصريين الذين  
«ضربت زوجاتهم مثلاً سيئاً بالخروج  
سافرات وتقليد العادات الأوربية»..  
ومجاهرة الفرنسيين بشرب الخمر، إلى  
جانب بعض الرسميات أو الشكليات  
الفرنسية. وتذكر المراجع منها محاولة  
منح الشيخ عبدالله الشرقاوي رئيس  
ديوان القاهرة طيلساناً مثلث الألوان  
كالعلم الفرنسي تكريماً له، فغضب  
الشيخ وألقاه أرضاً، وحين أفهم أن هذا  
تكريم له ليرفعه في عيون الفرنسيين  
صاح: لكن قدرنا يضيع عند الله وعند  
إخواننا المسلمين.  
فقد المصريون الثقة في ادعاءات



# دور النشابة في إغناء اللغة العربية

محمد الواسطي

فاس - المغرب

يعرّف بعض العلماء اللغة بأنها «أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم». وأما تصرّيفها فهي فُعْلَةٌ من «لَعَوْتُ» أي تكلمت (١)، أو من «لَغِيَ» من باب رضي إذا لهج بالكلام، وقيل: من لَغَى يَلْغَى (٢).

إذا أطلقها لا يقصد إلا ما وضعت له في اصطلاح التخاطب.

وحين تطور الإنسان العربي، وترعرعت معارفه وثقافته، رأى صفات مشتركة بين كثير من الكائنات، فتصور الإنسان الكريم بحراً وغيثاً وسحاباً، وتصور الشجاع أسداً وسيفاً وحيةً وأتياً وموتاً.. وتصور صاحب المنزلة العالية في المجتمع شمساً ونجماً وكوكباً، وتصور المخادع المحتال ذئباً وثعلباً وعقرباً وكنباً، وتصور أموراً كثيرة غير هذه يصعب تتبعها وحصرها.

## مولود جديد

وعند وصول العربي إلى هذا النوع من التفكير ولد المجاز، وانتقلت العربية بميلاده إلى مرحلة جديدة في أسلوب التعبير، ونحن لا نعلم متى ظهر هذا المولود الجديد، ولكن يمكن القول بأن تاريخه يتصل بأول إبداع عربي في مجال فن القول (٦).

والمجاز بجميع ألوانه وضروبه يرجع

بعضها بعضاً، فالله: خَلَقَ الإنسانَ علّمه البيان. الرحمن: ٣ و٤. وأوحى إليه أن يضع أسماء لما حوله من كائنات مسموعة وغير مسموعة ليتم التواصل والتعارف بينه وبين أفراد جنسه، ويشيد حضارته وتاريخه.

وقد رأى الإنسان في عهوده الأولى حاجته إلى التعبير عن مختلف المعاني والكائنات التي تحيط به، فعين لكل منها لفظاً خاصاً يدل عليه، فسمى النجم المشرق في النهار شمساً، والكوكب الذي ينير في الليل قمرأ، والماء الواسع الكثير بحراً، والكوكب الذي نسكنه أرضاً، وما يقابل الأرض سماء، والكائن الحي المفكر إنساناً، والذكر من بني آدم رجلاً، وأنثاه امرأة.. وهكذا.

ويكون هذا العمل الذي استغرق قروناً طويلة مرحلة أساسية من حياة اللغة العربية، حفظ خلالها المتكلم بها هذه المسميات، واستعملها في تواصله وخطابه استعمالاً واضح القصد، بين المراد، فصار

وقد اختلف في نشأة اللغة العربية، فذهب قوم إلى أنها توقيف ووحى؛ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا. البقرة: ٣١. أي علمه هذه الأسماء التي يتعارفها الناس، من دابة وأرض، وسهل وجبل، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها (٣).

وذهب قوم إلى أن اللغة اصطلاح وتواطؤ، وهذا رأي أغلب علماء اللغة، يقول ابن جني: «أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح» (٤).

وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الرعد وحفيف الريح، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيبي، ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وقد علق ابن جني على هذا الرأي بقوله: «وهذا عندي وجه صالح ومذهب مقبّل» (٥). والواقع أن هذه النظريات يكمل



العادية، ومستوى اللغة الأدبية: فأما المستوى الأول فيظهر فيه إغناء التشابه أول ما يظهر في النظرية التي تقول بأن أصل اللغة أصوات مسموعة، ذلك أن الألفاظ التي استشهد بها أصحاب هذه النظرية ليست إلا محاكاة ومشابهة صوتية للمسميات والمعاني التي أطلقت عليها. ويكفي أن نتأمل - إلى جانب الألفاظ السابقة الذكر - ألفاظاً أخرى مثل: نقيق الضفدع، وشقشقة العصفور، وزقزقة الطائر، لتؤكد من قوة المشابهة الصوتية في هذا الجانب اللغوي الذي اعتمد فيه الواضع على الأذن اعتماداً كبيراً.

ويظهر أثر التشابه أيضاً في المعجم العربي إذ نجد ألفاظاً كثيرة كان كل منها يشكل مجازاً، ثم شاع الاستعمال المجازي واشتهر، ونسي المعنى الحقيقي، وانتشر المعنى المجازي على أنه حقيقة.

ويدخل في هذا الباب الألفاظ المجردة التي انتقلت من الحس إلى ما وراء الحس مثل: العقل، والحقيقة، والعاطفة، والذهن، والفكر... فجميع هذه الكلمات الذهنية لها أصل حسي، إذ لا «نجد كلمة ميتافيزيقية لم تكن مستعملة فيما هو طبيعي مادي... ولا شيء في العقل لم يدخل بادئ الأمر من سبيل الحواس بوجه ما، وليست حالاتنا الروحية في متناول التفكير بمعزل عن ذلك الحسي الأسر» (١٠).

وبعض هذه الكلمات يمكن إلى الآن ملاحظة التشابه الحسي الذي سوغ لها الانتقال من عالم الحس إلى عالم التجريد الذهني: فأصل «العقل» ربط البعير بالعقال ثم انتقل إلى إدراك الأشياء على حقيقتها، وهذا أيضاً ربط، ولكنه ربط

التشبيه والاستعارة والرمز، فهذا التشكيل الأدبي الفني هو الذي أوجد التشابه، وجعله موجوداً فعلاً، أما قبل ذلك فقد كان في حكم المعلوم، لأنه خارج نطاق التواصل ونطاق اللغة التي تمنحه الحياة.

فالتشابه إذن قديم، ولكن الإنسان لم ينتبه إليه في العصور الأولى من تاريخه، وإنما اكتشفه في عصور لاحقة، اكتشفه



الألفاظ محاكاة أو مشابهة صوتية للمسميات والمعاني التي أطلقت عليها كزقزقة الطائر

يوم تفتحت مداركه واتسع خياله، وقد كان هذا الاكتشاف فتحاً كبيراً أفادت منه اللغة العربية، إذ هيأ لها سبل الرقي، وأغناها وأمدّها بأساليب جديدة جعلتها تستوعب كثيراً من المعاني النفسية، وتعبر عنها وتعرب عن كنهها.

### مستويان

ويمكن رصد هذا الثراء اللغوي وتتبعه على مستويين: مستوى اللغة

إلى علاقيتين هما: علاقة التشابه؛ وينضوي تحتها التشبيه والاستعارة، والتمثيل والرمز، وعلاقة التجاور ويندرج تحتها المجاز المرسل والكناية، والعلاقة الأولى أساسية في خلق اللغة كما في الصور السابقة التي تشكل قسماً كبيراً من اللسان العربي، ولهذا سينصب كلامي على هذا الجانب بحيث أحدد معنى التشابه، ثم أبين دوره في تنمية اللغة وإخصابها، ثم أشير إلى طريقة حصوله خلال العمل الأدبي.

والتشابه في اللغة: التماثل، تقول تشابه الشيئان: تماثلاً وأشبه كل منهما الآخر (٧). والتشابه: التماثل، قال تعالى: وأتوا به متشابهاً. البقرة: ٢٥. أي يشبه بعضه بعضاً لونا لا طعماً وحقيقة (٨). والمشابهة الماثلة، تقول: أشبه الشيء الشيء: مثله، وشابهه: أشبهه، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم (٩).

والمشابهة والماثلة تكون من جهة الكيفية كاللون والطعم وكالعذالة والظلم... وهكذا فالتشابه لغة هو التماثل والتقارب بين اثنين من جهة دون جهة.

أما في الاصطلاح فالتشابه علاقة يلمحها الإنسان بين موجودات كثيرة، فتسوغ له الجمع بين كائنات متباعدة والتأليف بينها في تصوير أدبي.

وعلاقة التشابه موجودة بين الكائنات قبل فن القول، وقبل اللغة نفسها، لأن اللغة إنما هي ألفاظ وأسماء يضعها كل مجتمع لتدل على المعاني والمسميات التي تملأ الوجود حوله من أجل تواصل أفرادهم وقضاء أغراضهم.

ولكنه مع هذا فإن الذي أبرزه في الواقع هو التصوير والتشكيل اللغوي في عمل



معنوي؛ لأن العقل يختزن كل ما يمر به لوقت الحاجة إليه، وأصل لفظ «الحقيقة» أحكام الأشياء المادية، يقال: ثوب محقق، ونسج محقق (١١)، ثم انتقل إلى البحث في كنه الشيء كحقيقة الإنسان والوجود، وأصل لفظ «العاطفة» ميل الأم وانحنائها على صغيرها لإرضاعه أو ضمه إلى صدرها، ثم انتقل إلى معنى الشفقة والرحمة.

وأكثرها كنحو الذهن والفكر والنفس.. يصعب فيه ملاحظة الجانب الحسي، لأن اللغة «تعاقبت الأطوار على كلماتها، حتى عاد من العسير - أحياناً - أن يلتقط الوجه الحسي منها وأصبح هذا رهينا بالخبرة، بل بالإحساس الشعاعي الدفين» (١٢).

وأما المستوى الثاني فإن إغناء التشابه فيه أقوى وأكثر ثراء، إذ كان على رأس العوامل التي أدت إلى إبداع الشعر الجاهلي بمعلقاته وقصائده الطوال، وجعلت العربية تنتقل من لغة عادية عارية إلى لغة أدبية فنية. وكان امرؤ القيس أكثر من تنبه لعلاقة التشابه وأحسن استغلالها في شعره، فقد «سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء فاتبعوه فيها؛ لأنه قيل: أول من لطف المعاني.. ووصف النساء بالظباء والمها والبيض.. وقرب مأخذ الكلام فقيّد الأوبد وأجاد الاستعارة والتشبيه» (١٣).

وفي العصور الآتية اغتنت العربية بألفاظ وأساليب جديدة، فانتسعت بذلك لكثير من المفاهيم الحديثة، وأصبحت لغة الدين والثقافة والحضارة، فإذا الهدى نور، والضلال ظلام، والحجة شمس، والجهل موت، وإذا الحلم برد، والثناء عطر، والقدر غصن، والبشر حرير، ورجع الحديث سحر.. وإذا مئات الكلمات قد جدت في

فوالله ما أدري إذا أنا جئتُها  
أأبرئها من دأبها أم أزيدُها  
إذا جئتُها وسطَ النساءَ منحتُها  
صدوداً كأنَّ النفسَ ليسَ تريدها  
ولي نظرةٌ بعدَ الصدودِ من الجوى  
كنظرةٌ تكلّي قد أصيبَ وحيدُها  
وكنْتُ إذا ماجئتُ ميّاً أزورها  
أرى الأرضَ تطوى لي ويدنو بعيدُها  
من الحفرياتِ البيضِ ودَّ جليسيها  
إذا ما أنقضتْ أحداثُها لو تُعيدُها

من ديوان ذي الرمة

إلى ذلك الصراع الدائم بين اللغة والإنسان، فهو أبداً عاجز أن يلم بأسرارها وطرائقها، ويحفظها حفظاً شمولياً، وهي عاجزة عن أن تستوعب مختلف المعاني وتحيط بحقائقها، وتستجيب لكل أغراضه في نقل ما يريد نقله من القوة إلى الفعل، أو من النفس إلى الواقع، لأن حكم المعاني - كما يقول الجاحظ - خلاف حكم الألفاظ «فالمعاني مبسطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة» (١٤). وهنا يصبح التشابه والمجاز عامة بمنزلة «احتيال الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معاً» (١٥).

وأقدر من يزاوون هذا الاحتيال الفني، ويمارسون الضغط على اللغة، ويجمعون بين الأشياء المتباعدة في إطار أدبي واحد هم الشعراء، ولهذا كان «الشعر لغة، أو هو حياة اللغة، فلولاه لا تتجدد اللغة ولا تنمو ولا تبقى، فهو دائماً يخلقها «كتائياً» ويخلقها المتكلمون بها

آداب العربية وعلومها وفنونها، وما زالت إلى اليوم، فنحن كثيراً ما نسمع أو نقرأ في الصحف عبارات حديثة كنحو: خرج من النفق المسدود، وأشعل فتيل الحرب، وتجاوز سقف الإنتاج، ووضع القطار على السكة، وغيرها كثير، وكلها عبارات تكمن وراءها علاقة المشابهة والمماثلة.

### القلب النابض

على أن التشابه إنما يجري كثيراً في ميدان الشعر، فهو القلب النابض لهذا الفن، وإدراكه والتنبيه لأسراره، وحسن إخراج شيء أساسي في الإبداع الشعري، والشاعر إنما يتميز من الإنسان العادي الذي ينظر إلى الأشياء نظرة سطحية خارجية بهذا الإدراك الدقيق، فهو يحس بما حوله من كائنات، وينفذ إلى أعماقها، ويحاورها ويدرك ما بينها من تقارب وتشابه، فيتخطى الحدود الموجودة بين الأشياء، ويبعد تنسيقها وتشكيلها من جديد، بحيث يجمع بينها في تصوير جميل وفق مشاعره وأفكاره الخاصة. ومعنى هذا أن التشابه في عمقه يشير



كلامياً» (١٦).

وقد ذكر أن الفرزدق لما قال:

وَعَضُ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ  
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَسْحَاتٍ أَوْ مَجْلَفًا  
فرفع آخر البيت ضرورة، سأل بعض  
اللغويين عن رفعه إياه، فشتمه وقال:  
«علي أن أقول وعليكم أن  
تحتجوا» (١٧).

وهذا جواب فيه انفعال قوي، وهو  
يشير إلى أن إبداع الشاعر حقه الصدارة،  
لأنه يخلق اللغة وينشئها، أما عمل  
اللغوي فيأتي بعد ذلك ليحتج به، ويبحث  
في طلب العلة لما جاء في قول الشاعر.

وقد ذهب ابن الأثير إلى شيء قريب  
من هذا إذ قال: «إن من اللغة حقيقة  
بوضعه، ومجازاً بتوسعات أهل الخطابة  
والشعر» (١٨)، فالشاعر يتجاوز التعبير  
الشائع ويلجأ إلى التغيير والمخالفة من  
أجل إخصاب اللغة وتوسعتها، وجعلها  
تقوم بوظيفة فنية جمالية بدل الوظيفة  
العملية في اللغة العارية.

وعلى الرغم من أن الشعراء أقوى  
الناس على اكتشاف التشابه، فإنهم  
يتفاوتون في هذا المجال، إذ منهم من  
يعسر عليه ملاحظة العلاقة الخفية  
الكامنة بين الأشياء، ومنهم من يسهل  
عليه ذلك لما لديه من يقظة عقلية وخيال  
خصب، وهذا أقدر من غيره على الإبداع  
واختراع اللغة وابتكارها. فالشاعر الفذ  
هو الذي يتأمل الأشياء ويتدبرها،  
ويكتشف التشابه الموجود بينها من قبل،  
ومن هنا يكون كالعناصر على الدر، يكدر  
ويجهد نفسه ليصل إلى المحجوب  
المكنون، وفي هذا يقول عبد القاهر  
الجرجاني: «ولم أرد بقولي: إن الحذف  
في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في  
الأجناس أنك تقدر أن تحدث هناك

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَعِمُ  
أَهْلُ الْحَفِظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ  
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمْتُ  
لَيْسَ الْجَمَالُ لَوْجِي صَمَّ مَارْنُهُ  
أَطْرِمُ الْمَجْدَ عَنْ كَتْفِي وَأَطْلُبُهُ  
وَالْمَشْرِفِيَّةَ لَا زَالَتُ مَشْرِفَةً  
وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّنْتُ قَوْفَرَهَا  
فَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِي قَلْبُهُ قَلَنْ  
بِالْجَيْشِ تَمْتَنِمُ السَّادَاتُ كُلُّهُمْ  
قَادَ الْمُقَاتِلِ أَقْبَى شَرِيحًا نَهْلًا  
لَا يَمْتَنِي بِلَدِّ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ  
حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْضِ خُرَشَنَةِ

إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَمُوا  
وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَزَمُّ  
أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَمِي طَبْعُ  
أَنَّ الْعَزِيزَ يَقْطَعُ الْمَرْ يُجْتَدَمُ  
وَأَتْرَكَ الْغَيْثَ فِي عَمْدِي وَأَنْتَجِمُ  
دَوَاءَ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هَيَّ الْوَجْمُ  
فِي الدَّرْبِ وَالْحَمَّ فِي أَعْلَافِهِ دُفْعُ  
وَأَغْضَيْتُهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قُدْعُ  
وَالْجَيْشُ بِابْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَمْتَنِمُ  
عَلَى الشُّكِيمِ وَأَدْنَى سَيْرِي سَرْمُ  
كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شَيْبُ  
تَشَقَّى بِمِ الرُّومِ وَالطَّبَّانِ وَالْبَيْعُ

من شعر المتنبي

أجد وأحسن فقطع الله لساني» (٢١).  
وأجاد فيه المحدثون أيضاً، وتقدم عليهم أبو  
تمام، لأنه ركب سبيل التشابه ركوباً لم  
يسبق له نظير، ففجر اللغة واقتصرها  
لتستجيب لمكوناته الفكرية، ورغباته  
النفسية، مما أغضب النقاد المحافظين،  
وجعلهم يقولون بخروجه على عمود  
الشعر، وينعتون شعره بالباطل.  
وفي العصر الحديث احتل الشعراء  
ببعض مظاهر التشابه وهو «الرمز» أكثر  
من احتفالهم بمظاهره الأخرى المعروفة  
لدى القدماء، وهي: التشبيه والاستعارة  
والتمثيل، فرجعوا إلى المعجم اللغوي،  
وإلى التاريخ والأسطورة والدين، واستقوا  
من ذلك كله مادة غزيرة، مثل كلمة  
«مطر» التي اعتمدها بدر شاكر السياب  
في إبداع قصيدته «أنشودة المطر» ورمز  
بها إلى التجديد والتطور والأمل والقضاء  
على الفقر (٢٢).. ومنها شخصية خالد  
بن الوليد التي بنى عليها عمر أبو ريشة  
قصيدته «خالد» وحملها رموزاً بطولية  
وقومية ودينية (٢٣).

مشابهة ليس لها أصل في العقل، وإنما  
المعنى أن هناك مشابهات خفية يدق  
المسلك إليها، فإذا تغلغل فكرك فأدركها  
فقد استحققت الفضل، ولذلك يشبه المدقق  
في المعاني بالعناصر على الدر» (١٩).

فالشاعر البارع في نظر هذا الناقد  
يكتشف علاقة التشابه ولا يخلقها، وهذا  
ما يشير إليه تشبيهه المبدع بالمدقق بالعناصر  
على الدر، يقول: «فإنما استحققت الأجرة  
على الغوص وإخراج الدر لا أن الدر كان  
بك، واكتسب شرفه من جهتك، ولكن لما  
كان الوصول إليه صعباً، وطلبه عسيراً،  
ثم رزقت ذلك وجب أن يجزل لك ويكبر  
صنيعك» (٢٠).

والواقع أن اكتشاف علاقة التشابه  
بمنزلة خلقها؛ لأن ذلك الاكتشاف هو  
الذي يخرجها من الخفاء إلى التجلي،  
ولولاه لبقيت موجودة في معنى معدومة.  
وقد أجاد القدماء في اكتشاف التشابه،  
وحاز فيه امرؤ القيس قصب السيق،  
فاقتدى به الشعراء واتبعوه كما تقدم،  
وكان ذو الرمة يقول: «إذا قلت كأن فلم



ويظهر من هذا أن الرمز يفتح المجال واسعاً أمام الخيال والتذوق الفني، ويعطي المتلقي حرية أكبر في تخيل المعاني المرموز إليها، ومن هنا كان أقدر من كثير من الاستعارات على خلق المعاني، فهو «يحطم أطر اللغة ويسمح بكل أنواع الانتقال، بينما تبقى الاستعارة داخلها» (٢٤).

والتشابه في حقيقته قياس دقيق يحتاج إلى عقل مدرك، وخيال خصب، يخلق في سماء الموجودات، ويقس بعضها على بعض، ويرد الشيء إلى نظيره، لما بينهما من ترابط واشتراك في صفة معينة. وهو أيضاً أحد العوامل الأساسية التي تؤدي إلى تداعي المعاني خلال عملية التفكير أو التخيل (٢٥)، فالشاعر إذ يبدع قصيدة يهتدي إلى بعض المعاني بمساعدة معانٍ أخرى، ويجد عناصر الصورة يستدعي بعضها بعضاً ويطلبه، وقد قيل: إن الشيء بالشيء يذكر، وما ذلك - في الواقع - إلا لقيام تشابه بينهما واتصالهما في الذهن بسبب من الأسباب، وكفي أن نقرأ قول أبي تمام (٢٦):

رعته الفياقي بعدما كان حقة  
رعاها وماء الروض ينهل ساكبه  
لنجد أنه قاس فعل «أضعف» على  
فعل «رعى» أو أن «أضعف» قد

استدعى «رعى» لما بينهما من تشابه وهو «النقصان» في كل منهما، وفي قوله: «رعاها» علاقة أخرى، هي علاقة التجاور، وهي من باب تجاور المحل بالحال حيث أطلق الفياقي وأراد نباتها وعشبتها.

وهذه العملية بما تحتوي عليه من قياس وتداع للمعاني إنما يقوم بها الخيال المعطاء، فهو الذي يمتح مما تختزنه ذاكرة الأديب الفنان، ويؤلف من ذلك أفكاراً وصوراً منتظمة ومتناسقة يأخذ بعضها بحجز بعض في مجال العمل الأدبي.

ويرى جاكبسون أن التجاور علاقة خارجية والتماثل علاقة داخلية؛ وهذا رأي صحيح، وهو واضح في بيت أبي تمام وفي غيره، فالتشابه في قولنا «فلان أسد» وهو «الشجاعة» داخل في الطرفين معاً، ولا يمكن تصوره منفصلاً عنهما، بخلاف قولنا: «جلت يده عندي» حيث استعمل لفظ «اليد» في معنى «النعمة» لما بينهما من تجاور وارتباط، وهو ارتباط السبب بالمسبب أو النتيجة، لكنه ارتباط خارجي لأن طبيعة كل منهما تختلف عن الأخرى.

ومن خلال هذه الموازنة يتضح أن التجاوز يترك الأشياء - غالباً - منفصلة

متباعدة، أما التشابه فيخلق تفاعلاً قوياً بين الأشياء التي يجمع بينهما لدخوله وحلوله فيها بحيث يؤثر كل منها في الآخر، فتتولد من ذلك معان جديدة تختلف عن المعاني الأولى قبل عملية التفاعل.

### كم وكيف

وهكذا نجد التشابه رافداً ثراً من روافد خلق اللغة ونموها، فهو يغنيها كما وكيفاً: فأما الكم فيظهر على مستوى المعنى العام أو المعنى المعجمي إذ تحول كثير من المجاز إلى حقيقة. وأما كيف فيظهر على مستوى المعنى الخاص، أو اللغة الأدبية والصورة المنمقة، إذ يمارس المبدع الضغط على اللغة من أجل السيطرة على المعاني المتخلجة في أعماق النفس، وإخراجها إخراجاً جميلاً، وكل هذا أكسب العربية توسعاً وثراءً، وأهلها لتصبح لغة الوحي، ولغة الأدب والعلوم والفكر، وستبقى مؤهلة لكل ذلك إذا وطّد أبنائها العزم على خدمتها، وصدق شاعر النيل إذ قال حكاية عنها:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية  
وما ضقت عن أي به وعظايت  
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله  
وتتساق أسماء لمخترعات.

### المراجع الهوامش

١. الخصائص ٣٣/١، والمزهر ٧/١.
٢. المزهر: ٨/١.
٣. المصدر والصفحة نفسهما، ومن الذين قالوا بالتوفيق: أحمد بن فارس، وأبو علي الفارسي، وابن جني، والأشعري.
٤. الخصائص: ٤٠/١.
٥. الخصائص: ٤٧/١، المزهر: ١٥/١.
٦. راجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد ٧١ وما بعدها.
٧. لسان العرب مادة (شبه).
٨. معجم مفردات ألفاظ القرآن مادة (شبه).
٩. لسان العرب مادة (شبه).
١٠. الصورة الأدبية للدكتور مصطفى ناصف: ١٢٨ - ١٢٩.
١١. المزهر: ٣٣٥/١.
١٢. الصورة الأدبية: ١٢٩.
١٣. العدة: ٢٠٣/١.
١٤. البيان والتبيين: ٧٦/١.
١٥. الأسلوبية والأسلوب للدكتور عبدالسلام المسدي: ١٠٦.
١٦. الحداثة في الشعر ليويسف الخال: ٩١.
١٧. الشعر والشعراء: ٨٩/١.
١٨. المثل السائر: ٨٧/١.
١٩. أسرار البلاغة ١٣٩ تحقيق هـ. ريتز.
٢٠. المصدر والصفحة نفسهما.
٢١. الحيوان: ١٦٤/٧.
٢٢. الصورة الشعرية في الكتابة الفنية للدكتور صبحي البستاني: ١٨٦.
٢٣. المرجع نفسه ١٩٣.
٢٤. الصورة الشعرية في الكتابة الفنية: ١٨٨.
٢٥. من العوامل التي تؤدي إلى استدعاء المعاني: التجاور والتشابه والتضاد.
٢٦. ديوانه: ٣٢٢/١.





مدن التاريخ

# فِي فُهْمَةٍ حَصْرَ كُوكَبَانِ

حمود علي منصور

صنعاء - اليمن



مرات كثيرة زرت فيها  
مدينتي شبام وكوكبان. وقد  
لفت نظري تلك الأعمدة  
الضخمة التي تساهم في رفع  
بوابة شبام المكتوبة بخط  
المسند وحملها.

كما لفت نظري أحجار  
الجامع الكبير بشبام، وروعة  
البناء على قدمه، ومع الأيام  
تجمعت في ذاكرتي بعض  
المعلومات التاريخية عن  
المدينتين.

وعندما بدأت بالكتابة  
جمعت ما أملك من مراجع  
فيها معلومات عن شبام  
وكوكبان فوجدتها أربعة  
وعشرين مرجعاً، إضافة إلى  
عدد من البحوث والمقالات  
الصحفية.. وهناك مراجع  
أخرى ليست في حوزتي.



### أربع مدن

حتى عهد قريب كنت أظن أن في اليمن مدينتين تحملان اسم «شباب»، والحقيقة أن أربع مدن تحمل اسم «شباب»، وكلها شيدت قبل الإسلام، ثلاث منها قريبة من «صنعاء»، وجميعها حصينة، وكان القرامطة يتخذونها قلاعاً لهم، ولا يزالون ممسكين بإحداها - شباب حراز - وتسمى شباب اليعابر.

وفي ذلك يقول شاعرهم (١):

أنصار مولانا الإمام الطيب  
من كل ليث شـمـري أغلب  
فتحت شباباً بالمواضي جهرة  
وسمت لذروته بكل مـشـطـب  
لله درُ عـصـابة يمنية  
فيها اليعابر كل عالي المنصب

### قوم لهم في المكرمات أوائل

مشهورة وشجاعة لم تغلب  
ويوجد فيها عدد من قبور زعمائهم تزار من اليمن ومن خارجها - بهرة الهند -، وإليها ينتسب عدد من كبار التجار المقيمين في صنعاء وفي غيرها.

وقد ورد ذكرها في صفة جزيرة العرب (٢): «مخلاف حراز وهوزن: وهو سبعة أسباع أي سبع بلاد حراز المستحرة وهوزن وكرار (...) وصعقان ومسار ولهاب ومجيج وشباب ويجمع الجميع اسم حراز وهوزن وهما بطنان من حمير الكبرى».

وعن شباب حضرموت يقول (٣): «وأما شباب فهي مدينة الجميع الكبيرة، وسكنها حضرموت، وبها ثلاثون مسجداً ونصفها خراب خربت كندة، وهي أول بلاد حمير».



جانب من السوق القديم (داخل المدينة)





منارة مسجد صغير وقديم في شبام

ويقول (٤): «فلما احتربت حمير ومذحج خرج أهل شبوة من شبوة فسكنوا حضرموت، وبهم سميت شبام، وكان الأصل في ذلك شباه، فأبدلت الميم عن الهاء».

والثالثة: شبام الغراس، وهي الأقرب إلى صنعاء (شمال شرق صنعاء ٢٧ كم).

قال عنها الهمداني (٥): «شبام سخيماً فيها من المآثر الحميرية ما فيه عبرة لمن اعتبر. (١٠٠) فإنه يوجد فيها إلى زماننا أحجار مئمنة عظيمة، ووجد في أساسها صورة لإنسان من نحاس يساعده وكتف وأصابع، ولعله من صنم كان في زمن الجاهلية والله أعلم».

وتسمى شبام ذي مرمر نسبة إلى الحصن الذي يعلوها، وتسمى شبام القصة، وفي هذه المدينة تم استخراج جثث محنطة دفنت قبل الإسلام في مقابر صخرية (٦).

وكان الرحالة اليهودي هالي في قد وصل إلى هذه المدينة، وقال عنه الدكتور أحمد فخري (٧): «وأخيراً وصل إلى

شراع حيث لاحظ نقوشاً كثيرة في المدينة، وعلى صخور الجبل المجاور (شبام سخيماً)، ورأى هناك أيضاً آثار معابدة كثيرة هامة من أيام الحميريين في المدينة نفسها، حسب زعم هالي في، وكان هناك بالقرب من قمة الجبل كهف يعتقد الأهالي أن الجن يسكنونه، ولكن هالي في يعتقد أنه كهف طبيعي استخدم بعد توسيعه كمقبرة لأحد الحكام

القدامى الذي ذكر اسمه وألقابه بالمدخل». أما المدينة الرابعة فهي المعنية بهذا الاستطلاع.

### مناظر جميلة.. ولكن

على قصر المسافة بين صنعاء وشبام (٣٤ كم) إلا أن قطعها يشكل مشقة لمن لم يتعود ذلك.. فالسائق العاقل يفضل أن يسير عشرة أضعاف هذه المسافة في طريق



## آثار حميرية

من بُعد نرى حصن ثلاً ومدينة ثلاً، ونرى بيوت كوكبان.. ومع اقترابنا من جبل (ذُخر) نرى مدينة شبام بوضوح وكأنها فرخة صغيرة بين أقدام أمها!.

صغيرة الحجم لم تكبر على الرغم من عمرها المديد!.. بيوت قليلة بنيت خارج السور ومنها المدرسة، وبعض المباني الحكومية.

أما المحلات التجارية فيبدو أنها تحررت مع تحرر التجارة في اليمن، فخرجت من حبسها داخل المدينة إلى

خارجها.. ولم يبق في الداخل شيء يذكر.

علينا أن نترك السيارة خارج أسوار المدينة، ونقترب من البوابة الرئيسة التي تصيبك بالسحر.. فتكون مسروراً، وحزيناً في آن واحد: تُسر لأنك اكتشفت أثراً ضخماً من آثار حضارة حمير.. ورأيت كتاباتهم وإبداعهم في ذلك، وتشعر بالحزن وبالألم.. وبالاكتئاب.. عندما ترى الإهمال.. لا ليس إهمالاً فقط، بل ترى الاعتداء الصارخ.. ومن؟.. من موظفي الحكومة!.

فهذا يكتب عليها بيانات رسمية! وذاك يلصق صورة مرشح حزبه!.

وتتجاوز البوابة لتري أن شباماً تشارك العاصمة في محدودية النظافة، بيوت مهجورة.. محلات كانت تجارية، بعض أعمدتها من صخور، بقايا قصور حميرية كانت هنا.

ونقترب من المسجد.. متانة بنائه جعلته صامداً مئات السنين، فقد بني في أواخر القرن الثالث الهجري.. وإن كان العثمانيون قد عملوا على تجديده، وأبدعوا في ذلك.

سألت القاضي إسماعيل بن علي الأكوع لماذا اهتم الفرنسيون بتجديد مسجد العباس في خولان، وأصدروا مجلداً ضخماً يحكي ذلك الإنجاز على الرغم من صغر حجمه وقلة رواده، بينما مسجد شبام أضخم منه بكثير

واسعة آمنة، على أن يسير في مثل هذا الطريق الذي يواجه فيه مخاطر كثيرة.. تبدأ بمفاجآت السيارات المسرعة التي تسير عكس سيرك أو التي تتجاوزك وتهرب منها قدر ما تستطيع وإلا أصابتك بمكروه.

قلق الطريق يجعلك لا تستمتع بالمناظر الجميلة المحيطة بك، فبعد سقوط الأمطار نمت الحشائش والشجيرات في كل مكان، إضافة إلى أن كثيراً من الحقول زُرعت ونبت زرعها، ومع هبوب الريح تشم رائحة طيبة زكية.



طريق خاص بقصر (استراحة) غيل علي





مدخل مدينة كوكبان قبل السفلة

والعمل، وبلغني أنها تكون في صحاري فيها حصى ملون تلتقط من بينها».

ويقول الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت: ٣٣٤هـ) (٩): «شباب أقيان إنما هو يحبس، وسميت شباب بسكنى شباب بن عبدالله بن أسعد بن جشم بن حاشد، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

تيممت همدان الذين هم هم  
إذا ناب أمر جنتي وسهامي  
وناديت فيهم دعوة فأجابني  
فوارس من همدان غير لئام  
فوارس ليسوا في العجاج بغزل  
غداة الوغى من شاكر وشباب  
ومن أرحب الشم المعاطس بالقنا  
ونهم وأحياء الشبيع ويام

وأقدم؟ قال: إن مسجد شباب كبير، ويحتاج إلى إمكانات مالية كبيرة، وسيظل المسجد مهملًا إلى أجل غير مسمى.

أحجار بناء المسجد ليست بعمره.. بل أقدم منه.. وقد رأينا أحجاراً سوداء شبيهة بأحجار قصر غمدان في صنعاء التي بني منها الجامع الكبير.. بل رأينا وصورنا أحجاراً رخامية عليها كتابات حميرية نجهل معناها على الرغم من تعلمي لقراءة حروف المسند قبل ثلاثين سنة على يد الأستاذ زيد علي عنان رحمه الله.

#### أقوال قدماء الجغرافيين

يقول ابن حوقل (٨): «وشبام جبل عظيم منيع أيضاً فيه قرى ومزارع وسكان كثير، وفيه جامع، وهو متميز من جبال اليمن، يرتفع منه العقيق والجزع والحجر المعروف بالجمست، ويصيبها المطالبون بالناحية غشما كسائر الحجارة، فإذا عملت ظهر جواهرها بالنار



ويقول (١٠): «وفيه من البيوت المنحوتة في الصخر في جوانب القلعة ما ليس في بلد، وكأن هذه البيوت خروق: نواويس لموتاهم وهم فيها إلى اليوم، وقد رأيت جثثهم، ففيها ما يزيد على أهل عصرنا وما هو مثلها، وأكثرهم قد صاروا عظاماً متناصلة إلا أنها صلاب، فما كان منها حدث فعظمه «ودك»، وما كان قديماً فعظمه أبيض، وقد بقي من أكفانهم ما كان من جليل الكتان».

ويقول (١١): «شباب أقيان والمصانع وتخلي حميرية محضة».

ويقول ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) (١٢): «شباب بكسر أوله (٠٠) وهو جبل عظيم فيه شجر وعيون (٠٠) وهو جبل صعب المرتقى ليس إليه إلا طريق واحد وفيه غيران، وكهوف عظيمة جداً، ويسكنه ولد يعفر، ولهم فيه حصون عجيبية هائلة، وذروته واسعة فيها ضياع كثيرة وكروم ونخيل، والطريق إلى تلك الضياع على دار الملك، وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك فمن أراد النزول إلى السهل في حاجة دخل على الملك فأعلمه ذلك فيأمر بفتح الباب».

### لطمة زعزت دولة

تمكن الأمير يعفر بن عبدالرحمن الحوالي في سنة ٢١٣ هـ من الاستقلال بحكم ما تحت يده عن الدولة المركزية في بغداد ولم يبق للخلافة العباسية سوى الدعاء لهم في خطبة الجمعة، وضرب السكة (العملة) باسمهم (١٣).

وتسلم الملك عند شيخوخته ولداه محمد وأحمد اللذان عملا على توسيع ملكهما حتى شمل معظم اليمن الطبيعية (١٤)، وفي جو الملك هذا نشأ إبراهيم بن محمد بن يعفر، عزيزاً لا يذل، أمراً لا يعصى، ثرياً لا تنتهي ثروته.. تقدم أبوه في السن فولاه السلطة.. واعتزل عمه أحمد للسبب نفسه، فانفرد إبراهيم بالحكم.. ولم يكتف بذلك بل قتل أباه وعمه (سنة ٢٧٠ هـ) ليخلو له الجو تماماً!!.

ولم يكتف بأخذ أموال الرعية دون حق وسفك دماء المعارضين.. بل غضب من أخلص المقربين إلى أبيه ولطمه عندما عاتبه لقتله أباه وعمه، لقد كان المظوم هو

ويقال: هو شبام بفتح الشين. وبها أعماد حجارة جاهلية تسمى أعماد سبال عليها عرش، وليست أعماد مثل مأرب في العتق والنفاضة.

وشبام مملكة آل يعفر الحواليين، وهي إحدى جنان اليمن، وهي في أسفل جبال ذخار، مشتق منه نهران في وسط الغولة».



مدخل كوكبان بعد السفلة



المدخل الرئيس لمدينة شبام.. هنا يباع الثقات





قصر غيل علي موقع متميز جداً طريقه من أعلى الجبل

شيخ مشايخ أرحب: الدعام  
ابن إبراهيم العبدى الهمداني  
(كانت أرحب أوسع مما هي  
عليه اليوم إذ كانت تشمل  
حاشد وبكيل وهمدان) خرج  
الدعام - الذي قال عنه لسان  
اليمن الحسن الهمداني: (سيد  
همدان في عصره) والزائد  
على من تقدمه نجدة  
وفروسية وجوداً وحلماً ودهاءً  
وثباتاً وصبراً وصوناً - من  
قصر الملك كاظمًا غيظه..  
ممسكاً لأعصابه، واجتمع  
بقبائله التي هبت للدفاع عن  
كرامة زعيمها، خاف الملك،

وحاول استرضاء الدعام لكنه أجاب عنه بقوله: «لن ترفع  
كرامة اليوم هوان أمس، ولن تعلق قادمة الخير بذنابي  
الشر».

وتحركات القبائل بقيادة زعيمها - الملطوم - للاستيلاء  
على ملك إبراهيم بن محمد بن يعفر، وبدأت بصنعاء..  
وواصلت المسير حتى استولت على عدن، والمسكين قابع  
في شبام في حالة ذهول يتلقى أخبار تساقط أجزاء  
مملكته، وقد جاء المثل «لأفعلنه لو قام فيه ما قام في العتاة  
وما قام في لطمة الدعام».

### الطريق إلى كوكبان

عندما تكون واقفاً أمام ناطحة سحاب مكونة من مئة  
وعشرين طابقاً ومطلوياً منك أن تصعد إلى سطحها على  
الأقدام.. كيف ستكون حالتك النفسية؟.

معظمنا يستكثر أن يصعد خمسة طوابق على قدميه،  
فكيف بمئة وعشرين طابقاً (١٥)..  
ولكن هذا هو الواقع..  
بل إنها فرصة وممتعة أن تصعد على قدميك تاركاً السيارة  
في أسفل الجبل تنتظر عودتك على الرغم من قدرتها على  
إيصالك إلى القمة في دقائق وبيسر... ولن تكون وحيداً  
في صعودك الجبل (خاصة أيام السوق) بل ستجد  
رفقاء.. من اليمن ومن خارجها.. ومن البشر ومن

غيرهم!! ستجد الفقراء والميسورين، تجد الشباب  
والشيوخ والأطفال يشاركونك في صعود الجبل، ولكل  
غاية من صعوده..

فهذا يصعدها لأنه لم يجد إيجار السيارة... وآخر  
يصعدها لتوفير إيجار النقل.. وآخر يصعدها بقصد  
الاستمتاع (ورفع درجة الحرارة) ليتمتع بطعم وجبة  
الغداء، وبعدها مباشرة تناول القات، فيكون له لذة خاصة  
لا يشعر بها من يتناولوه وهو خامل ساكن لم يبذل جهداً  
بدنياً.

ورابع يصعد الجبل لهدفين.. أولاً رياضة لجسمه  
وثانياً للتمتع بمشاهدة ما لم يتعوده.. ومن هؤلاء السياح  
القادمون من الغرب.. وأكثرهم من ألمانيا وفرنسا وإيطاليا  
والنمسا.. ولن تجد زائراً واحداً من أبناء بقية الجزيرة  
العربية (١٦)، ويندر الزوار من العرب والمسلمين.

### كهوف مسكونة

تبدأ الطريق من بوابة شبام الرئيسية وتسير في وسط  
المدينة بجوار مسجدها المتميز.. ثم يبدأ الصعود مع نهاية  
المدينة حيث يعترضنا خزان المياه العمومي الذي يغذي  
ثلاث مدن (شبام، كوكبان، ثلا)، بعدها مباشرة نشاهد  
شبام تحتنا ثم نشاهد الكهوف المنقورة على جوانب



تلك الأسر لم تتخذ القبور مساكن لتوفير الحماية من قصف الطائرات كما حدث في أثناء وجود القوات المصرية في اليمن لتثبيت النظام الجمهوري، ولا لجمال موقع تلك الكهوف، بل للضرورة ولعجزها عن البناء أو الاستئجار، مثل غيرها من البشر!

عن هذه الكهوف وغيرها جاء في الإكليل (١٧) «ثم مات شداد بن عاد بعد أن عمّر خمسمئة سنة فثُبت له مغارة في جبل شبام وكان غير متوج متواضعاً لله تعالى».

وجاء على لسان علقمة (١٨):

«عمرت حمير تشيد قصوراً

من رخام ومرمر وسلام

صعدت في ذرى الهواء إلى النجـ

م فنطّقن بالعمام (١٩) والغمام

نحتوا الصخر في الجبال بيوتاً

بهموها بقوة وعرام

الجبل.. تشاركنا في الطريق أنابيب المياه الصاعدة إلى قمة جبل كوكبان.

لم تكن تلك الكهوف تلفت نظري كثيراً؛ لأنني قد ألفت مشاهدتها.. ولكن بما أن القارئ مرافق لي في هذه الزيارة فيستحسن المرور ببعض تلك الكهوف واستطلاع حالها.

كانت المفاجأة أن بعض الكهوف مسكونة.. لا أقول مسكونة بالجن كما كان معتقداً من قبل، بل هي مسكونة بالإنس!! إنسان القرن الحادي والعشرين يسكن في مقابر إنسان القرن العاشر قبل الميلاد!!.

إنها مفارقات عجيبة وغير متوقعة.. ولكنه أمر واقع.. اليمني القديم عاش في القصور واليمن المعاصر يعيش في القبور!

لقد وجدنا ثمانين أسر تتخذ قبور القدماء سكناً وملجأ بعد أن (طُرد) منها سكانها الأصليون (الموتى) الذين ظلوا فيها مئات السنين.



عمود أثري مهم عليه كتابة حميرية وعبث معاصر!



محراب مسجد شبام



وإذا توقفنا والتفتنا إلى الخلف  
رأينا المدينة وقد صغر  
حجمها.. وظهرت مساحات  
واسعة من الأراضي  
الخضراء.. نسمات هواء نقي  
عليل تهب علينا لتذكرنا بأننا  
في منطقة ريفية تقل فيها  
نسبة التلوث كثيراً، وتشعرك  
بالبارق بينها وبين غيرها مما  
تجده في المدن.

### العثمانيون مروا من هنا

الجبل شاهق ومخيف.. إن  
تدحرج أي حجر من الجبل  
فقد يصيب بعض المشاة  
بالخطر.

وهنا نتذكر حالة الجيش  
العثماني الذي جاء من قلب  
أوروبا ومن شرقها ومن بلاد  
الشام.. جاء ليواجه الزحف  
النصراني بقيادة البرتغال ضد  
جزيرة العرب ومعقل الإسلام  
ومحضر مقدساته (الحرمين  
الشريفيين).. لقد كان الجيش  
العثماني يمر في هذا الطريق  
ليلاً.. أفرادهم يحملون أثقالاً من  
الأسلحة والذخائر والمؤن..  
يؤملون الوصول إلى قمة  
الجبل لاحتلال كوكبان..  
ولنقرأ وصفاً لإحدى تلك

الليالي كما جاء على لسان أحد أهم كتّاب التاريخ العثماني.  
«فعينٌ حضرة الوزير جماعة انتقامهم (...) واختارهم  
ليميلوا إلى أخذ هذه القلعة كل الميل (٠٠٠) فوصل ليلاً  
إلى ذيل كوكبان، ولم ير فيه غير نجوم الثور والسرطان،  
وصعدوا في الجبل ما أمكنهم (٠٠٠) وتشبثوا بالأحجار  
وصعدوا في أثناء الجبل بين الصخار إلا أنهم لم يجدوا



السوق القديم أصبح أطلالاً



هكذا تبدو المزارع وبعض شبام من قمة كوكبان

### فلماذا ما رأيت آثارهم قلـ

ست أراني رأيت ذا في المنام»  
ونستمر في صعود الجبل على طريق صخرية  
أصلحت لهذا الغرض، وعلى الرغم من الجهد الذي نبذله  
لصعود بعض الدرجات، إلا أن ما حولنا يشغلنا وينسينا  
التعب.. أمامنا كتل صخرية تبرز منها شجيرات متنوعة،





مدخل جامع شبام

هذا الحصن الذي ظل ملجأ لعدد من الطامحين في حكم اليمن أو التمرد على الحكام القائمين.

ومنهم: أمير كوكبان أحمد بن محمد بن حسين بن عبدالقادر شرف الدين (١١٢٢ - ١١٨١ هـ) الذي أعلن الدعوة لنفسه عند وفاة المنصور حسين والد المهدي عباس، ولقب نفسه (المؤيد بالله) فجهز المهدي عباس جيوشاً جرارة وبعد حروب وقتلى من الجانبين تم الصلح (٢٣).

وفي أواخر أيام المنصور علي بن المهدي عباس (ت ١٢٢٤ هـ)، وعند ضعفه الشديد قام أمير كوكبان شرف الدين بن أحمد (١١٥٩ - ١٢٤١ هـ) يطلب البيعة لنفسه، ولم يكتف بالدعوة لنفسه، بل بادر إلى سك عملة باسمه (٢٤)!

وبعد أربع سنوات من خضوعه للمتوكل أحمد (حفيد المهدي عباس) تجددت آمال شرف الدين بن أحمد في حكم اليمن وظن أنه أصبح في مركز قوة مادية ومعنوية فأعلن عن نفسه إماماً لليمن، إلا أن المتوكل أحمد قاد حملة عسكرية بنفسه ضد كوكبان سنة ١٢٢٨ هـ وعاد

طريقاً للصعود لغلبة الظلام (٠٠٠) فصبروا إلى أن أصبح الصباح (٠٠٠) وفطن لهم أهل القلعة (٠٠٠) الذين انتشروا خلف الصغار كالخنافس والجعل، وصاروا يدحرجون الصغار ويدفعون الأحجار الكبار، على من تحتمهم من العسكر الكرار، وصار الحجر الواحد يدحرج معه عدة من الأحجار فتحطم ما تصادف من الخيل، والرجال، وتطحن ما تمر عليه من العسكر الأبطال».

وكانت النتيجة: «فتراجع العسكر المنصور، ولواء السلامة على رؤوسهم منشور ورجعوا مع حضرة الوزير المعظم إلى المخيم المكرم» (٢٠).

وفي ليلة أخرى يقول: «وتوجه (الوزير) مع جيشه ليلاً إلى أن وصل إلى ذيل الجبل، وتعلق العسكر السلطاني وتشبثوا بالحجارة، وتسلقوا إلى أن قاربوا ذروة الجبل، فوجدوا بعض الطرق التي كانوا يعهدونها قبل في المرة الأولى قد سدت بالبناء، وجعل عليها الحرس والمحافظون، ففطنوا إليهم فصاروا يدحرجون الأحجار من فوق، وقد هيؤوها على شفير ذروة الجبل، بحيث لا يحتاج في دحرجتها إلى أسفل إلا إلى أدنى حركة، فإذا دحرجوا الحجر الواحد من فوق دحرج معه عدة أحجار بقدر ما يصادف، فيتحطم من كان في ممر هبوطه، كائناً من كان، (...) وكثرت في تلك الليلة الأصوات الهائلة أعظم من الرعود والصواعق النازلة، نشأت عن درجة هذه الصغار، ومن قدح الأحجار بالأحجار، (...) فإذا أصابت أحداً في طريقها حطمتها، وإذا صدمت شيئاً وهي نازلة عليه كسرتة وطحنته» (٢١).

والنتيجة: «ولم يقترن بحركتهم هذه حصول المراد (...) عاد حضرة الوزير بمن معه إلى المخيم الكريم، (...) بعد التعب طول النهار بمقاسات الحرب التي هي أشد من العذاب الأليم، مترجياً من الله الفتح والنصر بكرمه العميم» (٢٢). كان هذا سنة ٩٧٧ هـ أي قبل نحو أربعمئة وخمسين عاماً من يومنا.

### ملجأ للطامحين

ومع صعودنا الجبل نشاهد عدداً من المباني القديمة التي كانت تستعمل لحراسة الطريق، وخطاً أول للدفاع عن حصن كوكبان.





قصور تقليدية (قديمة) في كوكبان

### من طرائف الحرب

على الرغم من جدية المعارك وما يحصل فيها من مأس إلا أنها لا تخلو من النوادر والطرائف.. وننقل هنا طرفة حصلت مع المطهر في أثناء قيام العثمانيين بدورية قوية حول كوكبان بغرض الاستطلاع.. فقد خرج القائد العثماني من شبام ومعه معظم قواده وجنده يبحثون عن طريق مناسبة لغزو كوكبان.. وعندما ابتعد الموكب عن شبام أطلق أهل كوكبان المدافع وأشعلوا النيران لإشعار (المطهر) في حصن (ثلا) القريبة من شبام، أن شبام خالية من الحامية وعليه أن يبادر باحتلالها.. فقد سبق للقائد العثماني سنان باشا أن احتلها بطريقة ذكية جداً. فعندما وجدها مسورة ومُحكمة الحراسة.. وجدوا مجرى الماء الخارج من المدينة إلى الحدائق المجاورة وهو تحت الأرض.. دخلوه ليلاً وتمكنوا من قتل حراسه والتسلل إلى كافة المدينة والاستيلاء عليها (٢٦).

تجهز المطهر لغزو شبام ومعه أولاده وأتباعه وقادته وأسلحته، ولأن به عرجة فإنه لا يستطيع ركوب الخيل بل ركب حمراً.

إلى صنعاء ومعه أمير كوكبان وكبار آل شرف الدين، وعين المتوكل أميراً على كوكبان من غير ساداتها (آل شرف الدين).

وفي ذلك يقول العلامة محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) الذي كان مرافقاً للإمام، وكان قد نصحه بعدم غزو كوكبان (لأنه لا سبب شرعياً يقتضي ذلك) (٢٥).

ويوم شبام قد رأيت مواعظاً  
تخبرنا أن الحياة غرور  
رأيت ملوكاً طأطأ الدهر منهم  
ودار بهم والدوائر تدور  
وأنزلهم من معقل شامخ الذرى  
وعطّل منهم منبر وسرير  
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض  
دُخاناً وإمساك الدخان عسير  
وقد أطلق المتوكل آل شرف الدين بعد عام من إقامتهم الجبرية في صنعاء بناءً على وساطات قاضي قضاة اليمن وعلامتها محمد بن علي الشوكاني.



لم يكن بقاء القائد العثماني للحصار فقط، بل حاول اقتحام هذا المدخل دون فائدة.. إذ: «توجه حينئذ إلى أخذ قلعة «كوكبان» وهي في غاية الإحصان والإتقان، ونهاية القوة والمتانة والإمكان، يحيط بها خندق عميق عتيق، لا يركبه جسر لطول عرضه ولا إليه طريق، ولأهل القلعة نقب ينزلون منه إلى عمق هذا الخندق ولهم طريق واحد من أعلاه لا يسلك لغيرهم ولا يطرق، (...) فإذا قصد طم (ردم) ذلك الخندق بالأحجار نزل أهل القلعة إليها من النقب ورفعوها فلا تمتلئ بتلك الصخر» (٢٩).

«فحصل اليأس من ملك الخندق وفكروا في أن يجعلوا جسراً من الخشب ويوضع على الخندق ويمر عليه العسكر إلى أن يصلوا إلى السور فيصعدون إليه بالسلالم ولا يبالون بالقتل والرمي من أهل القلعة عليهم (...) فتكلفوا إلى حمل الأذقال الطوال من صنعاء (...) ورتبوا جسراً على طول عرض الخندق (...) وحملوه إلى الخندق ليلاً وأرادوا وضعه عليه (...) فشعر أهل كوكبان



أشجار نبتت في قلب الصخر!

وفي ذلك يقول المؤرخ العثماني: «فلما خرج من داره، واستوى على حماره، ضرت الحمار فاتخذته فألاً لانكساره وعلامة على هزيمته، فتقهقر ورجع وأدركه الجبن والهلع، وأرعبه الخوف والفرع، وظن أنه إذا خرج من جحره لا يعود إليها، (...) فاعتذر إلى العسكر بعض الأعدار، منها التفاؤل (التشاؤم) بضرت الحمار» (٢٧)، ولم يذهب بنفسه، بل أرسل عددًا من فرسانه وجنده وأوصاهم إن وجدوا المعسكر خاليًا غنموا، وإن وجدوه محميًا عادوا.

وفي ذلك يقول المؤلف «فانظروا إلى هذا الملك الضليل، الذي يرده وجيشه ضرطة حمار ضئيل» (٢٨).

### مدخل حصن كوكبان

وننتهي من صعود الجبل بعد مرور أكثر من ساعة... وتوقف للاستراحة، أمامنا بناء عسكري محكم ليس له نوافذ، وإن كانت فيه بعض الثقوب الخاصة بالقنص من الداخل إلى الخارج.. ثم بوابة تدخلها بدوران!

الوصول إلى هنا لا يعني الوصول إلى كوكبان.. فهي مسورة من هذه الجهة.. أما الجهات الأخرى فلا تحتاج إلى أسوار لأن تسلقها - للمتخصصين - فيه مغامرة كبيرة جداً.

أمام هذا المدخل وقف سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بن شادي (أخو صلاح الدين الأيوبي) ستة أشهر (في سنة ٥٩٣هـ) محاصراً لمن في الحصن يقذف سوره بالمنجنيق.. وعندما استسلم من في الحصن سأل عن السبب، حيث رفضوا الاستسلام من قبل، فقيل له: نقص الماء هو السبب.

فقال من العيب أن تستسلم مثل هذه المدينة وهؤلاء الرجال بسبب الماء، وأمر بتجهيز سدود لخزن مياه الأمطار لا تزال تستخدم حتى يومنا.

أما القائد العثماني حسن باشا فقد وصل فعلاً إلى أعلى الجبل.. ولكنه لم يدخل المدينة!!

وظل محاصراً للمدينة عارضاً الصلح على أهلها دون فائدة. حتى أصابه الملل وكذلك جيشه، ولم يكن حال المحاصرين أفضل، فقد ضاقوا ذرعاً وبدؤوا يعرضون الصلح بعد مرور سبعة أشهر من الحصار.





جانب من الطريق إلى شبام

فتح الله بالهنا كوكبانا  
لإمام أحيا الهدي وأبانا  
إن خير الفتوح ما سكن الشر  
ر وأطفأ الحروب والنيرانا  
بارك الله للإمام وهنا  
ه وبوآه للمعمالي مكانا  
ولا تزال كوكبان خاضعة لآل شرف الدين حتى يومنا.  
وياسم الله ندخل المدينة وعلى يميننا غرف الحراسة  
العسكرية تراقب الداخل والخارج.. وبصعوبة تدخل  
سيارة واحدة أما الشاحنات فلا تستطيع ذلك. مباني

بذلك (...). فقتل كثير من الجانبين بالمدافع،  
فلما قربوا الجسر ووضعوه على طرفي  
الخنق انكسر أحد طرفيه ووقع في الخندق  
(...) وخسروا في ذلك أموالا كثيرة وأنفساً  
عديدة، ورجعوا إلى المحطة وصمم حضرة  
الوزير أن ينشئ جسراً آخر، ولو أصرف  
عليه ما أصرف ولا يترك فتح كوكبان (٣٠).  
ما تراه في الصورة هو المدخل الذي  
عجزت الجيوش تجاوزه، وإن كان المبنى  
القائم حالياً قد شاده العثمانيون بعد استيلائهم  
على المدينة.

### في مدينة كوكبان

أصبح مدخل كوكبان معبداً (مسفلتاً) بعد  
أن كان ترابياً، ومن ثم رُدم الخندق الذي أعاق  
تقدم العثمانيين.. الطريق الإسفلتي نفذته  
الشركة الألمانية التي نفذت طريق (شبام -  
المحويت)، ويبدو أنها واجهت صعوبات  
ومخاطر كبيرة في شقه.

ولكنه سهل وصول الراغبين إلى كوكبان  
التي هجرها معظم أبنائها فأصبحت شبه  
خالية من السكان على الرغم من توافر  
الخدمات فيها من مياه وكهرباء وهاتف  
وخدمات تعليمية.

لقد فضل أبناء كوكبان السكن في صنعاء  
بعد أن أصبحت منطقة الجراف جزءاً من

العاصمة، وفي هذه المنطقة يمتلك آل شرف الدين أراضي  
كثيرة ورثوها عن جددهم الإمام شرف الدين (يحيى بن  
شمس الدين بن المهدي) الذي استغل فرصة قدوم  
الجراكسة إلى اليمن لمطاردة البرتغاليين فحثهم على  
محاربة حكام اليمن الطاهريين، وتمكن من الانتصار  
على أنصاره الجراكسة، وأصبح شرف الدين إماماً  
لليمن!.

ومن ثم استولى على حصن كوكبان من يد عامل  
السلطان عامر الطاهري دون مقاومة، وفي ذلك قال أحد  
الأدباء (٣١):



كوكبان (منازلها ومساجدها وأسواقها) مبنية بالحجر والطين.. إلا ما ندر، ومعظمها قديمة، والتطور العمراني فيها محدود جداً للسبب السابق ذكره.. ليس في السوق ما يغري.. هنا محلات صغيرة لصناعات يدوية خفيفة.. حدادة.. تغليف كتب.. صناعة جلدية بسيطة.. حتى معروضات السوق لا تتجاوز المتطلبات اليومية لسكانها الذين يغلب عليهم الفقر، وإن كانوا يحاولون إخفاء ذلك. ونشاهد أمامنا أوسع مبنى في كوكبان.. إنه المعهد العلمي الذي يقصده التلاميذ والطلاب من المناطق الريفية

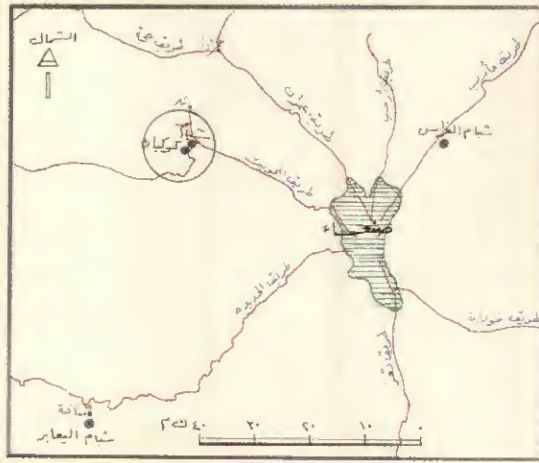
القريبة، وبجواره مسجد ومدرسة الإمام شرف الدين، مساحات كبيرة خالية، بعضها استغلّت كبساتين تفصل البيوت بعضها عن بعض.

برك حفظ المياه تشهد على روعة التصميم ومثانة التنفيذ، مئات السنن مرت عليها وهي متماسكة لا تزال تعمل وتشكل رصيذاً احتياطياً من المياه لسكان المدينة.

الهدوء يخيم على المدينة مع سماع حركة بعض السيارات.. أو صياح الأطفال في أثناء لعبهم أو اختلافهم بعضهم مع بعض، جميع النساء محجبات ومستقرات في بيوتهن ولا يخرجن إلا للضرورة. تقترب من إحدى حافات المدينة.. الاقتراب مخيف.. والذي لم يتعود مثل هذه المناظر قد يصاب بالدوار.. لا توجد حواجز حديدية - مثلاً - تحمي الزائرين أو من يقترب من تلك الحافات.

نقف على ارتفاع ٣٦٦ متراً عن الأراضي التي تحتنا ونراها وكأننا على طائرة.. ماذا عن الأطفال.. هل يتساقطون من هذه الحافات الشاهقة؟ الجواب: لا. فالأطفال يتعاملون معها بحذر شديد.

هذه الحافات شكلت حماية طبيعية للمدينة بحيث لم تكن في حاجة إلى تسوير.. ولذلك كان التحصين في الشمال الغربي فقط حيث المدخل الوحيد للمدينة.



موقع كوكبان على الخريطة

أينما ذهبنا نرى تحتنا الخضرة على امتداد البصر.. نحن في موسم زراعي، فقد من الله بسقوط بعض الأمطار بعد جفاف شديد ضرب معظم اليمن، ولجأ الناس إلى الله بالدعاء.. وأقيمت صلاة الاستسقاء في معظم أنحاء البلاد. هنا تشعر ببرودة الجو وأنت في حاجة إلى ملابس شتوية مع أننا في صميم الصيف.. ليس هذا فحسب بل عندما تنام في كوكبان ستجد أن بطانية واحدة لا تكفي وأنت في حاجة إلى المزيد، وفي صنعا لا تحتل الملاية القطنية الخفيفة وقد تؤجل استعمالها إلى قرب الفجر.

هنا ستشعر بالجوع!! وستأكل أكثر.. وبعد الأكل سيقدمون لك كعكاً محلياً مع القهوة، وتظن في البداية أنك لا تستطيع أكل شيء أكثر، وتبدأ في الأكل من جديد، إنها تحلية ما بعد الأكل!.

### في مدح المدينتين

تغنى بمدينتي شبام وكوكبان  
عدد من الأدباء والشعراء،  
منهم الأديب أحمد بن محمد  
الحيمي (١٠٧٣ - ١١٥١ هـ)  
الذي يقول (٣٢): « مدينة شبام

كوكبان (...) التي هي غادة تلج وجهها عن عيون  
النرجس وطرر الريحان، وتدبجت حلها بنظار البهار  
ولازوردي البنفسج، ويبسم ثغرها بثنايا الأقحوان المفلج.  
فالروض يلقاك بابتسام

والريح تلقاك بالقبول

ويقول:

هَمَّتْ في ذراها أدمع الطل والندي

وقد بات زهر الروض مبتسم الثغر

يفوح أريج المسك منها إذا انتثت

مدبجة الأرجاء من بلل القطر

وبات بها شادي الهزار مردداً

أفانين تغريد على فنن نضر

أما الشاعر الحسن بن عبدالرحمن بن عبدالقادر

(١١٧٩ - ١٢٨٥ هـ) فقد بالغ في مدح مدينته قائلاً (٣٣):





جانب من تحصينات مدينة كوكبان

جلت محاسن وصفه  
وصفات ساكنه أجل  
همم الملوك لهم، وهم  
خدم إذا ضيف نزل  
يتوسلون إلى مسر  
رته بأنواع الحـ  
ويقول الشاعر حمود محمد شرف الدين (٣٥):  
إذا طلعت شمس الصباح وأشرقت  
ففيه من الإجلال هبة راهب  
وإن أظلم الليل البهيم تخاله  
كدرة عقد طرزت بالكواكب  
وإن نزل الضيف الحبيب تضمه  
سويداؤه بين الحشا والترائب  
أما العلامة أحمد محمد قاطن (١١١٨ -  
١٩٩١ هـ) الذي تربى وعاش في شبام فيقول (٣٦):

هيهات أن لكوكبا  
ن شبيهة حسن في الهواء  
جبل على كل الجبا  
ل علا وتاه بلا امـ  
متمنع سامي الذرى  
متمهد فوق الثراء  
لم يرتق إلا لتـ  
لم عنده نار القـ  
من ظن أن له نظـ  
رأ فهو عندي في عماء  
ويقول عن كوكبان أيضاً:  
رسا أصله تحت الثرى ونما به  
إلى النجم فرع لا يزال يطول  
ويقول الأديب عبدالكريم إسحاق عن كوكبان  
وساكنيه (٣٤):



«شباب وما أدراك ما شباب؟. تروق النواظر وتكل عن وصفها الألسن والمحابر، لا أطيب من هوائها ولا أرق من أرضها وسماها، لا يشبهها في الطيب محل، ولا يضاهيها شيء من المدن وإن عظم وجل، قطعة شردت من صنعاء فالتقاها جبل كوكبان، وغرفة من غرف الجنان لم يسكنها إلا أولو اللطف من نوع الإنسان، حوراء لا ترتضي إلا من لطف طبعه، غيداء رداح (...)، لا ترى فيها ما يكدر الطباع إلا ما تلتذه القلوب والأسماع، أنهارها متدفقة، وأشجارها مغدقة مونقة، ومزارعها عجيبة (٠٠٠)، ليس بينها وبين كوكبان فارق، (٠٠٠) يصعد منها إليه اللطف والظرافة فاتصف أهله لأجلها باللطف والتحافة، هي له روضة يشتم شميم أزهار لطافتها، ويفتكه ببذائع ريقات سماتها وصفاتها».

ثم يقول:

زادني حب شباب أرقا  
فرعاها الله عني وسقى  
نشأتني فيها وأحبابي بها  
وبها الأتراب لي والأصدقا

ويقول:

ذائب الدر جرى من تحتها  
جدولاً يكسو رباه رونقا  
فرعا الله شباباً إنها  
تركت قلبي عميداً موثقاً  
أختتم هذا الاستطلاع وأنا أشعر بالتقصير نحو القارئ  
ونحو المدينتين وعذري أن ما تسمح به ظروف المجلة لا  
يتسع للمزيد.

#### المراجع والهوامش

١. صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٣، ١٩٨٣م، ص٢٠٩.
٢. المرجع نفسه، ص١٦٩.
٣. المرجع نفسه، ص١٧١.
٤. الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، حسن فيض الله الهمداني اليعبري، منشورات المدينة، صنعاء، ص٣، ١٩٨٦م، ص٢٧٥.
٥. الإكليل، الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ج٢، ص٣٨٤.
٦. مجله معين، د. عبدالحليم نور الدين، عدد مايو/أيار ١٩٨٦م، وتم الكشف عنها في ١٣ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٣م.
٧. رحلة أثرية إلى اليمن، د. أحمد فخري، وزارة الإعلام اليمنية، ١٩٨٨م.
٨. صورة الأرض، محمد بن علي الموصلي (ابن حوقل)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٤.
٩. الإكليل، ج٨، ص١٥١.
١٠. المرجع نفسه، ص١٢٥.
١١. صفة جزيرة العرب، ص٢٥٠.
١٢. البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الجيل الجديد، صنعاء، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٦٠.
١٣. المغيد في أخبار صنعاء وزيد، نجم الدين عمارة، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية، ط٣، ١٩٨٥م، ص٥٨ (الخاصية)، اليمن في عيون الرحالة، ص٤٧.
١٤. المرجع نفسه، حاشية، ص٥٨، اليمن في عيون الرحالة، ص٤٩.
١٥. ارتفاع كوكبان عن سطح البحر ٣٠٠١ متر وشباب ٢٦٣٥ متراً.
١٦. السياحة الخليجية اليمنية في حكم المدومة.
١٧. الإكليل، ج٨، ص٢٥١.
١٨. المرجع نفسه، ص١٢٧.
١٩. العما: السحاب الرقيق.
٢٠. البرق اليمني في الفتح العثماني، قطب الدين محمد النهزواني، منشورات المدينة، بيروت، ط٢، ص٣١٧.
٢١. المرجع نفسه، ص٣٢٠.
٢٢. المرجع نفسه، ص٣٢١.
٢٣. مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، د. حسين عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ص٢٣ - ٢٥.
٢٤. المرجع نفسه، ص١٧٢، ١٧٣.
٢٥. المرجع نفسه، ص١٧٣، ١٧٤.
٢٦. البرق اليمني، ص١٩٢ - ٢٩٣.
٢٧. المرجع نفسه، ص٣٤.
٢٨. المرجع نفسه، ص٣٤.
٢٩. المرجع نفسه، ص٣٤٤.
٣٠. المرجع نفسه، ص٤١٥.
٣١. المقتطف من تاريخ اليمن، عبدالله عبدالكريم الجرافي، مؤسسة الكتاب الحديث، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص١٤٨.
٣٢. عطر نسيم الصبا، أحمد بن محمد الحيمي، الدار اليمنية للنشر، ١٩٨٦م، ص٢٤٦ - ٢٤٧.
٣٣. ٣٤، ٣٥ - مجلة اليمنية، مارس ١٩٨٧م.
٣٦. هجر العلم، ج٢، ص١٠٠٦.



# ليسر الوهم احثكارة عربياً

خير الدين عبدالرحمن  
حلب - سورية

نتفق مع الرؤية التي تعدّ المجتمع بناءً حياً متحركاً، يتطور من خلال تفاعلاته الداخلية وتفاعلاته مع المجتمعات الأخرى. يفرز تطور المجتمع أنماط تفكير وقيماً وعملاً تتسجم مع ما يستجد من حاجات وتحديات راهنة ومتوقعة، وتعيد إنتاج الثقافة الذاتية عبر وعي تاريخي فاعل يتصدى للسلبيات والمعوقات الداخلية والخارجية، ولكن تختلف فاعلية هذا الوعي وقدرته على التصدي للسلبيات والمعوقات، وفقاً لنسبة إسهام التفاعلات الداخلية في تطور المجتمع بالقياس إلى التفاعلات الخارجية من ناحية، وكذلك وفقاً لمدى مناعة هذا المجتمع إزاء الأمراض الذاتية والوافدة ومستوى جديته في الأداء، وتفجير طاقات الإبداع، وحسن موازنته بين الأهداف والوسائل من ناحية، والطاقات المؤهلة لتحقيقها من ناحية ثانية.



يبدو الوهم هنا عدواً شديداً للخطر  
للإنسان وللمجتمع؛ فالوهم يدفع إلى  
الضياع والتهيه، ويشوش القدرة على  
التحديد السليم للأهداف، ويعطل اختيار  
النهج الملائم لتحقيق الهدف المنسجم مع  
الاحتياجات والطموحات، بحيث يحسن  
توظيف القدرات والطاقات المتاحة. إذا  
كان الوهم يؤدي بهذا إلى هدر طاقات  
الفرد وتبديد وقته، ومن ثم تخلفه عن  
الآخرين، فإنه يمارس تدميراً أعظم  
عندما يتجاوز حالة الفرد ليهيمن على  
مسار مجتمع بأسره، أو حتى أمة  
بأكملها. بل إنه في حالة فعله الجمعي  
يعصف حتى بالأفراد المتحصنين ضده  
على المستوى الفردي، ومن ثم فإن  
تدميره يكون شاملاً تقريباً.

## اجتزاء تشويهي

لقد ركز المهتمون بالشأن العربي،

بنيتهم المجتمعية والنفسية والفكرية  
والعقدية. شدد بعض هؤلاء على صورة  
سلبية تعج بالمثالب والأمراض ومواطن  
الخلل والقصور، ادّعوا أنها تشخيص

والمكلفون به، من مستشرقين  
واستخباراتيين وبعثيين وغزاة  
وأصحاب مصالح، على دراسة طباع  
العرب وأحوالهم وأساليب النفاذ إلى



## بات مصطلح «الواقعية السياسية» موظفاً توظيفاً ذرائعياً شديداً السهولة والخفة للتوصل من الالتزامات المترتبة على الانتماء، والحقوق المستباحة، والمصير المهدد



ت. أ. لورانس (لورانس العرب)

الصهيوني الذي كان دايان على رأسه آنذاك: «يعيش العرب في عالم غير حقيقي. وهم يفعلون ذلك غالباً مثل شخص يحتاج إلى الحشيش لكي يحس أنه يعيش في جنة عدن. فالحقيقة بالنسبة إليهم هي الجحيم. والعلاج هو ابتلاع حبة من حبوب الكذب التي تعطيهم الإحساس بالجنة. غالباً ما يبدو لي أن كل العرب - وعلى المستويات كافة - يتصرفون كما لو كانوا تحت تأثير المخدر. الحقيقة أن الوهم أسوأ من الكذب.

للبنية العربية، ومخطط لتكوين العرب النفسي والفكري والحضاري والسلوكي. جعل هؤلاء من الزعم بأن الوهم محرك رئيس للعقل العربي ولسلوك العرب وأدائهم، جوهر تلك الصورة التي رسموها.

وقد استخدم هؤلاء الاجتزاء التشويهي من بعض ظواهر الحياة والعادات والتقاليد والتراث العربي، ليقدموا ما اجتزؤوه، مما يتضارب مع الجوهر المادي للحضارة الغربية المعاصرة، محدداً كلياً شاملاً للبنية الثقافية والاجتماعية والسلوكية العربية. أي إنهم تعمّدوا استثارة العداء للعرب وامتهانهم.

أدى الاحتكار اليهودي لكتابة التاريخ، وصياغته على نحو يخدم أهواء اليهود وأطماعهم ومصالحهم، إلى تعزيز تلك الصورة الشوهاء عن العرب. وهكذا التقى توماس إدوارد لورنس، رجل المخابرات البريطانية الذي أدى دوراً نشيطاً في استخدام العرب لتقويض الدولة العثمانية، ومن ثم الغدر بهم والنكوص عن الوعود والتعهدات التي قدمها ونقلها لهم، مع موشيه دايان الذي أدى دوراً مهماً في قيادة التنظيمات المسلحة للغزوة الصهيونية في فلسطين، عندما وصف كل منهما العرب. قال لورنس: «يمكن ربط العرب بفكرة مثلما يربط حصان بحبل، وبهذه الفكرة يمكن أن تقودهم إلى أربعة أرجاء الدنيا. إن عقلمهم غريب وغامض. غني.. وغني أكثر بالانخفاضات والارتفاعات» (١). أما دايان، فقد قال في مطلع عام ١٩٦٨م، بعد شهور قليلة من الهزيمة الكارثية للجيش العربية أمام جيش العدو

فأنت تكذب عامداً وتسيطر على كذبتك، أما بالنسبة إلى الوهم فهو الذي يسيطر عليك في النهاية.. إن عقلية العرب تقف كأنها حاجز بينهم وبين الواقع، وتمنع عيونهم من أن ترى الواقع كما هو. إنهم يفضلون تجاهل الواقع مادامت المفاهيم الخيالية التي يعيشون على هديها لم تتحطم بعد» (٢).

لم يبتعد حايم وايزمان، أول رئيس للكيان الصهيوني لدى زمره على أرض فلسطين المحتلة وإعلانه دولة في عام ١٩٤٨م، عن تقويم لورنس ودايان، فقد قال بدوره: «إن إسرائيل وجدت في منطقة تعيش حالة من الضياع العقائدي بسبب الارتجاجات الطويلة التي تعرضت لها. أي إنها تفتقد الكثافة النفسية التي تمكنها من استيعاب أية حالة تقابلها» (٣).

كذلك، نجد تقويم رافائيل بتاي في كتابه «العقل العربي» مماثلاً لما اقتطفناه من استشهادات، فهو قد قرر أن السلوك الفردي العربي متضارب، وأن ثقافة العربي تتضمن مخارج لكبته الشديد، لذلك يتسامح المجتمع مع حالات فقدان السيطرة على المزاج وثورات الغضب والعدوانية، ويرتبط هذا بالفجوة بين الأفكار والأقوال والأفعال في المجتمع العربي، «مما يجعل العقلية العربية لا واقعية، وأقل قدرة من العقلية الغربية». حتى في مرحلة متأخرة، وبعد الزلازل التي ضعفت البنية النفسية والسياسية والمجتمعية العربية، وذروتها حرب الخليج الثانية وتلاحق اتفاقيات التسوية مع العدو الصهيوني، وما ارتبط بهذه الاتفاقيات من انهيارات هددت بإلغاء الإرث الحضاري والثقافي العربي - الإسلامي، وما ترسخ في





تصديق الآخر من غير تمحيص يؤدي إلى مزيد من الإنزلاق

بحقائق الواقع - سواء تعلق هذا الواقع بالذات أو بالآخر - مما عزز الشلل في استشراف التوجهات والاتجاهات، ورسخ الإحساس بالدونية والهزيمة والاستسلام والإحباط إزاء التجسيدات المادية لتفوق الآخر. قادت هذه التفاعلات إلى استشراف الانسلاخ عن الذات، والانقطاع عن الجذور، والتحلل من القيم المتوارثة، والغرق في التيه والتبعية للآخر، والاستلاب والتشترق في قشوره وفتاته، توهماً أن هذا أقصر طريق إلى العصرية، بينما هو خروج من العصر ومن التاريخ ومن المستقبل، نتيجة الخروج من الذات.

رد بعض المفكرين العرب ما رأوه سقوطاً أصلاً على امتداد القرون التسعة الأخيرة، إلى تربية مدمرة هي أقوى عوامل تكوين الشخصية العربية وتوجهاتها، تربية تدفع إلى «مسلكية انتحارية» بعد «سجن الذات العربية والعقل العربي في قمقم التاريخ العربي

عن تفسيرات بيزنطية الطراز للتصريحات الأمريكية، سواء ما كان رسمياً منها أم غير رسمي. فإذا ما قيل لهم: إن ما يصدر عن واشنطن من كلمات قلماً يكون مهماً أو مدروساً أو حتى مقصوداً، يظنون غير مقتنعين» (٤). لقد تبين أن الكثير من تلك التصريحات المفتقرة إلى المصادقية كانت متعمدة لتشجيع العرب على مزيد من الانزلاق، ولغوايتهم بمزيد من الغرق في اصطلياد الوهم.

#### الثابت والمتحول

تأثرت المحاولات العربية للتقويم والنقد الذاتي والمراجعة المؤسسية للتصويب بالتركيز الشديد - الذي طبع معظم تقويمات الآخر للعرب - على الزعم من أن الوهم احتكار عربي بامتياز. زاد في تسهيل هذا التأثير ما استشرى في الحياة العربية المعاصرة من انهيار الحوار الداخلي، وقمع له، مما أدى إلى كثير من فقدان الإحساس

سياقه من انتماء وعلاقات داخلية وخارجية لمصلحة تنصيب كيان الغزاة الصهاينة سيداً للمنطقة تحت ستار الشرق - أوسطية، حتى في هذه المرحلة المتأخرة، وجدنا من يفسر كل ما انهار وشارف على الانهيار بأوهام تحكمت بالعقل والفكر والعمل العربي طويلاً.

#### توظيف ذرائعي

تكررت الدعوة إلى نبذ تلك الأوهام طريقاً إلى «الواقعية السياسية». لقد بات مصطلح «الواقعية السياسية» موظفاً توظيفاً ذرائعياً شديداً السهولة والخفة للتوصل من الالتزامات المترتبة على الانتماء، والحقوق المستباحة، والمصير المهدد. أكثر من هذا وجدنا في صفوف «الآخر» من يأخذ على العرب تصديق ما يخرج عن ذلك «الآخر» من تصريحات ومواقف، وكأنما الأصل أن يكذب الناس، وأن تكون تصريحاتهم لغواً فارغاً، فاحترار المتابع لتقويمات «الآخر» في تحديد مكن العلة: أعندنا أم عنده!

كتب صمويل لويس، مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، وسفير الولايات المتحدة لدى الكيان الصهيوني سابقاً، وأحد أبرز وجوه النفوذ الصهيوني الذي انتشر في مواقع القرار والفعل والتحكم في الولايات المتحدة، بحثاً مشتركاً مع كينيث ستاين، الأستاذ الجامعي ومدير برامج الشرق الأوسط في مركز كارتر بأطلانطا، عن «صنع السلام بين العرب والإسرائيليين».

انتقد البحث نزوع القادة السياسيين والخبراء والصحافيين العرب إلى فحص «كل كلمة، وتقليب كل معني يصدر عن واشنطن، سواء أكان رسمياً أم غير رسمي.. والميل أيضاً إلى البحث



الذي لم نتعلم حتى الآن كيف نتحرر منه ولا كيف نفهمه نسباً وليس منهجاً للحياة.. هذه العلاقة بيننا وبين التاريخ.. رجحت كفة «الثابت» على كفة «المتحول» من مقومات حياتنا المعاصرة، واحتسبنا أسرى أمراض تاريخية لم يكن لنا يد في صنعها ولم يعد لنا - على وجه التحديد - نفع في دوامها...» (٥). على نحو ما كتب د. محمد جواد رضا، الذي أضاف إلى ذلك السبب في تواتر السقوط وما نجم عنه من كره للذات سبباً آخر هو «النمط البطرقي للدولة السائد في المجتمع العربي المعاصر»، لتعسف هذا النمط



موشى دايان

وغشتم سلطته بغموضه العارض والمتعمد. قبل ذلك التحليل بربع قرن، وصم د. صادق جلال العظم الشخصية العربية بالمغالاة في تأكيد الذات، والميل إلى إزاحة المسؤولية عن النفس وإسقاط تلك المسؤولية على الغير، وشدد على مرض عربي شديد التخريب هو تحاشي المثابرة والجد والعمل المنظم، والنزوع إلى التقليد، والتقيّد بالقوالب الجاهزة، والابتعاد عن الابتكار والمبادرة، والإفراط في البطء، كما رأى أن العرب «عاجزون عن تقبل الحقيقة والواقع،

وفقاً لما تفرضه الظروف الحرجة من تصرف سريع، وتضطربنا لإخفاء العيوب والفشل والنقائص، بغية إنقاذ المظاهر والحفاظ على ماء الوجه» (٦). شدد د. هشام شرابي بدوره على أن المجتمع العربي بطرقي يتضمن «مجموعة من علاقات السلطة والهيمنة والتبعية.. الأب هو النموذج الأساسي للبنية البطركية لكونه وسيلة القمع الرئيسة التي تركز على العقاب» (٧). وهكذا جعل ممكن الخل في بنية العائلة العربية، وتحديدًا في النظام الأبوي والسلطة الأبوية التي تتدرج من العائلة إلى المجتمع بأسره، والتي يكبلها

## دايان: يعيش العرب في عالم غير حقيقي، وهم يفعلون ذلك غالباً مثل شخص يحتاج إلى الحشيش لكي يحس أنه يعيش في جنة عدن

وهم احتكار الحقيقة، واحتكار الحق، واحتكار الصواب، واحتكار السلطان، فيدفعها هذا الوهم إلى القمع والقسر والتجهيل ومصادرة الآراء، حتى إن «حظر النقاش العلني يؤدي إلى التآمر والعنف كوسائل إقناع بديلة» (٨). واضح تماماً مدى تأثير النموذج الغربي ونمط قيمه في الدفع إلى إدانة الأسس البنائية للمجتمع العربي على هذا النحو، وتحميلها مسؤولية السقوط والانهايار. رأى آخرون أن المسألة تتعلق بخلل في أداء النخب، على ما أشار

صلاح الدين حافظ مثلاً عندما لاحظ كيف «دهست الآلة الإعلامية الدعائية السياسية الشباب على مدى ربع قرن دهساً، فسطحت عقولهم، وغيببت وعيهم وأفكارهم، ومسخت أغليبتهم في نمط دعائي سياسي محدد» (٩). كذلك الأمر مع عبدالمنعم السيد علي الذي لاحظ كيف تتمثل اللاعقلانية القطرية العربية في تأصيل عوامل ثقافية وسياسية وهيكلية.. لا تتحسب للتكامل الاقتصادي العربي، ولا تعي العلاقة الإستراتيجية المتبادلة والتلازم الشديد بين التنمية والأمن على المستويين القطري والقومي، ولا تحترم هذه العلاقة. فالانقسام المتشردم للنخب السياسية والفكرية والاقتصادية العربية على أسس قطرية وفئوية جعلها تغلب التناقضات الثانوية على الإجماعات الأساسية، وعلى الإرث والمصير المشتركين.

كما ساعدت شخصنة السلطة العربية القطرية، واستشراء عبادة الذات والفرد والمال على حساب القيم الدينية والقومية والوطنية والمصالح الجمعية الحقيقية، على ترسيخ الانقسام (١٠) لكن الإغراق في زرع الوهم جعل تلك النخب تطلق الدخان الكثيف على حقيقة سلوكها ونواياها ونتائج أدائها مدعية النقيض عبر تزييف صورة وردية زاهية.

### الوهم اختصاص عربي

عبر ملاحظة ما تمثله هذه النماذج وسواها من رؤى نجد الأثر المباشر وغير المباشر للتغريب طاعناً في تسريب قناعة زائفة بأن الوهم «اختصاص» عربي، بل هو «احتكار» عربي، بحيث راحت قطاعات واسعة



## • وهم والعولمة •



الاستسلام للعجز يعطل طاقات الإبداع

الواقع كثرة التشديق بموضوعية البحث وحياد العلم. بل إن ما استشرى في حياتنا المعاصرة من تعطيل لدور العقل، على الرغم من أنه الثروة الكبرى التي تفوق أهميتها كل ثروة أخرى، وما انتشر فينا من استسلام للنزوات والمصادفات، وانتظار حل ما تسوقه الظروف لمشكلاتنا وقضايانا، أو تجود به إرادات خارجية، والاكتفاء بقشور مستوردة من نفايات الحضارة العالمية المعاصرة، أو افتعال إنجازات مظهرية غالباً لستر الانهيار والتقصير والعجز والتخلف، وادعاء المعرفة للتغطية على الجهل، وما إلى ذلك من ظواهر مرضية تقود إلى مسخ جمعي - نفسياً وفكرياً وسلوكياً -

وتحديد مواطنه الظاهرة والمستترة، من الشروط الرئيسة لمعالجته. وهنا لا نتخذ موقفاً مطلقاً يرفض تلقائياً كل ما قاله الغرب أو يقوله عنا، لكننا - في الوقت نفسه - نعي تماماً مدى تحكم مصالح الغرب وأحقاده التاريخية في مواقفه المسبقة التي تشكل الأرض المؤسسة للرؤى والتقويمات التي يتبناها تجاه العرب، والتي تظل المنطلق الرئيس لتعامله معنا. وهكذا فإن تأثير هذا الغرب في رؤانا الذاتية، وإغراقنا حتى بما يفترض أن يكون مرجعاً لتاريخنا الذاتي مما صاغه على نحو يخدم تأثيره فينا، تأسيساً لتحكمه في سلوكنا وتفكيرنا ومواقفنا. لا يغير من هذا

من العرب تندفع إلى أسر هذه القناعة الزائفة، وتسلم بها، وتجد فيها تفسيراً لما تلاحق من هزائم وانتكاسات، سواء في الصراع ضد الغزوة الصهيونية، أو في الارتداد بخفة عن الشعارات والأهداف المعلنة من تنمية وتكاملية ونهوضية وما إلى ذلك. فإذا ما مضينا في الملاحظة إلى ما تحت السطح من أعماق، سرعان ما نكتشف أن الغرض الرئيس من تسريب تلك القناعة الزائفة، ثم ترسيخها هو الخلط بين الوهم والغيبيات، ثم اختزال الغيبات بالدين، ومن ثم تحميل الدين مسؤولية التخلف والإخفاق والهزائم والردة!

إن تشخيص أسباب الخلل وجذوره،



## حاييم وايزمان: إن إسرائيل وجدت في منطقة تعيش حالة من الضياع العقائدي بسبب الارتجاجات الطويلة التي تعرضت لها

أن الوهم بضاعة عربية صرف! إنه استسلام يخرب الكثير فينا، ويعطل من طاقاتنا وقدراتنا ما هو كفيلاً بنهوض لائق، لو توافر حسن القيادة وقوة الإرادة والثقة بالله عز وجل ثم بالذات، في توظيف فاعل لما هو متاح لدينا من أجل تحقيق ما ينسجم معه من أهداف نخلص العمل لها. إن ما حققته انتفاضة أطفال فلسطين بالحجارة - قبل تعطيلها بصفقة خاسرة - ثم ما حققته المقاومة الإسلامية في لبنان من إرغام العدو الصهيوني المحتل على الانكفاء ذليلاً، مثالان واضحا لما يمكننا تحقيقه على صعيد آخر، مما يعده أعداؤنا والمُتَحَقِّقون بهم والمهزومون ذاتياً من قبيل الأوهام.

إن مقدار ما يؤديه الوهم في حياتنا لا يختلف كثيراً عن مقدار ما يفعله في الأمم الأخرى، سواء تلك التي تتقدم علينا بمقاييس النمو الاقتصادي

وكذلك انتشار حالة الإحباط وإحساس العجز والقصور، وفقدان الثقة بالذات بعد طول مبالغة في الاعتداد بها، ما كانت لتبلغ ما بلغت في راهننا العربي لولا الدفع المتعمد وتهيئة الأدوات والظروف، عبر نشاط شكلت أكذوبة أن «الوهم احتكار عربي» محوراً رئيساً له. إن هذا النشاط الذي قادتته الجمعيات الجغرافية والبعثات التبشيرية والاستخباراتية والمستشرقون وعلماء الإنسان (الأنثروبولوجيون) قد تعمد إقناع العرب بأن الوهم اختصاص متوارث لديهم، بل محور فطري رئيس من محاور شخصيتهم الحضارية والثقافية. سرعان ما صرنا نشهد انسياق الكثيرين في صفوفنا إلى فخ الاقتناع بتلك الأكذوبة، بل اتخاذها تفسيراً سهلاً لكل فشل أو إخفاق أو هزيمة أو نكوص نبئلي به.

حاجتنا شديدة إلى اكتشاف عيوبنا ومن ثم معالجتها وتصويب كل إعوجاج أو انحراف أو خلل فينا. هذه مسؤولية جمعية وفردية حضنا الله عز وجل على حسن ممارستها باستمرار على مستوى الفرد والعائلة والجماعة والأمة، وعلى مستوى الحكام والمحكومين. لكن هذه الحاجة أمر يختلف عن الوقوع في شرك الاستسلام للعجز استسلاماً انتحارياً، من خلال تصديق ما يروجه أعداؤنا من

والاجتماعي والثقافي السائدة، أو تلك التي تقاربنا أو تتخلف عنا. أوليس الوهم بأن الشيوعية سوف تسود العالم هو جوهر التفاعلات التي أدت إلى تفكك الاتحاد السوفييتي وانهياره؟ أوليس وهم القدرة الطاغية التي لا تقهر هو الذي جثم الولايات المتحدة هزيمة مدوية في فيتنام، وانسحاباً ذليلاً من الصومال أمام مقاتلين حفاة جياح؟

وهل للوهم الذي جعل اليهود يتجرؤون على تصدر القرن الحادي والعشرين مرشحاً لأن يكون «إسرائيلياً» مثلما كان القرن التاسع عشر بريطانياً، ومثلما كان القرن العشرون أمريكياً، إلا أن يزيد من اندفاعهم إلى احتلال مواقع النفوذ في معظم البلدان الفاعلة، وإلى تصديق أن «إسرائيل» تقترب من موقع القوة «العظمى» المؤهلة لمشاركة الولايات المتحدة في قيادة العالم، بحيث تضع تحذيرات العقلاء من بينهم إدراج الرياح لقد قال ناحوم جولدمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية الأسبق، يائساً منذ ربع قرن - قبيل وفاته: إنه قلق على مصير إسرائيل، وإنها «الدولة الوحيدة التي تتغذى من الوهم، لا من الحقيقة التاريخية»، وإن «عدم اليقين هو حالة إسرائيلية بامتياز»، وإنها مشروع انتحاري يقوده الغلو في الاعتداد بالذات إلى انفجار مؤكد من الداخل.

### المراجع

١. وليد ناجي، الشاهد، قبرص، العدد ٦٥، يناير ١٩٩١م، ص ٧٩.
٢. السيد يسين، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، دار التنوير، بيروت ١٩٨١م، ص ١٠٩.
٣. العربي، الكويت، العدد ٣٢٣، أكتوبر ١٩٨٥م.
٤. SAMUEL W. LEWIS KENNETH W. STEIN, MAKING PEACE AMONG ARABS AND ISRAELIS, U.S. INSTITUTE OF PEACE, NOV. 1991, (CHAPTER 5).
٥. محمد جواد رضا، العرب.. وهذا السقوط الآخر، المجلة، لندن، العدد ٦٠٥، ١١/٩/١٩٩١م، ص ٦٩.
٦. د. جلال صادق العظم، النقد الذاتي بعد الهزيمة، مواقف، بيروت، أيار / حزيران (مايو/يونيو) ١٩٦٩م، ص ٧٣.
٧. د. هشام شرابي، البنية البطركية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٥٠.
٨. د. هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٦٦.
٩. المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢١٤، ديسمبر ١٩٩٦، ص ١١٥.
١٠. المصدر السابق، ص ٢٨.
١١. رسوم الكاريكاتير للفنان عماد حجاج [الفصل].



تاريخ  
وحضارة

# الحياة السياسية والأدبية في الأندلس في عهد بني الأحمر

بنعيسى بويوزان  
الناظور - المغرب



بعد سقوط  
الدولة الأموية  
وأقول نجمها في  
الأندلس، دخل  
هذا الصقع في  
مرحلة حكم  
ملوك الطوائف،  
فانفرط عقد  
الدولة الإسلامية  
فيه. ولعل ما  
عاشته الأندلس

طوال عصر الطوائف كان نذيراً بمآل  
العرب والمسلمين في إسبانيا  
المسلمة.

وقد كان من علامات هذا المآل، البداية المبكرة لسقوط الحصون  
المسلمة في يد النصارى لما علموه من دبيب الضعف واستحواد روح  
التنافر والتناحر على أهل الأندلس آنذاك. يقول ابن حيان (ت: ٤٦٩هـ)  
بعد وصفه لسقوط حصن «بريشتر» شمال الأندلس في يد النصارى  
سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م: «وقد أفشيننا في شرح هذه الفادحة مصائب



بالأندلس بعدما بدأ النصارى باقتلاعها، ولو بشكل وثيد. ولكن لم تمض ستة عشر عاماً على «الأرك» حتى حُسم الموقف وأنجلي ما لا بد منه، لقد اهتزت أركان الدولة الإسلامية بالأندلس اهتزازاً عنيفاً إثر موقعة «العقاب» سنة ٦٠٩ هـ/١٢١٢ م «فعاد شبح الفناء يلوح للأندلس قوياً منذراً، وسرى هذا التوجس إلى كتاب العصر وشعرائه، وظهر واضحاً في قصائدهم» (٢).

لقد كانت هذه الهزيمة إيذاناً برحلة الإياب من الأندلس، وبداية النهاية للعرب والمسلمين بها. ذلك أنه بعد أن توفي يعقوب المنصور الموحي وولي «بعده ولده محمد الناصر المشؤم على المسلمين.. دخله الإعجاب بكثرة من معه من الجيوش، فصاف الإفرنج، فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التي خلا بسببها أكثر المغرب، واستولى الإفرنج على أكثر الأندلس بعدها. ولم ينج من الستمئة ألف مقاتل غير عدد يسير جداً لم يبلغ الألف فيما قيل، وهذه الوقعة هي الطامة على الأندلس بل والمغرب جميعاً، وما ذاك إلا لسوء التدبير. فإن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج استخف بهم الناصر ووزيره، فشنق بعضهم، ففسدت النيات، فكان ذلك من بخت الإفرنج، والله غالب على أمره. وكانت وقعة العقاب المشؤمة سنة ٦٠٩ هـ ولم تَقَمْ بعدها للمسلمين قائمة تحمد» (٣).

ومنذ هذه الوقعة، بدأ ظل المسلمين يتقلص في الأندلس، وبدأت الدولة الإسلامية تنكمش على نفسها وينحصر نفوذها باقتطاع النصارى لأطرافها طرفاً طرفاً، ويبيد أممها أمة أمة كما قال ابن حيان. فقد تشابهت الأحداث بعد «العقاب» ٦٠٩ هـ بأحداث ما بعد سقوط «بريشتر» ٤٥٦ هـ.

لقد استكملت الدولة الإسلامية فصولها الثلاثة، ولم يبق منها إلا الخريف، وقد حان؛ فقد اجتاحت موجة عنيفة من الغزو النصراني بلاد الأندلس ابتداءً بشمالها، فسقطت تطيلة في سنة ٥١١ هـ، ثم تلتها سرقسطة في سنة ٥١٢ هـ، ثم تلتها لاردة وإفراغة ومكناسة وطرطوشة في سنتي ٥٤٣ هـ و ٥٤٤ هـ، ثم انتقلت عدوى سقوط المدن الأندلسية إلى الغرب، فسقطت أشبونة وشننرة وشننرين في سنة ٥٤٢ هـ وسقطت باجة في سنة ٥٥٦ هـ ثم تلتها يابرة سنة ٥٦١ هـ.

وكانت زوبعة الاسترداد الإسباني النصراني قد هدأت ببسط الموحدين سلطانهم على الأندلس، ولكنها عادت أعنف من ذي قبل بعد هزيمة «العقاب» فكانت البداية من شرق الأندلس بسقوط ميورقة (٦٢٧ هـ) وبياسة (٦٢٣ هـ) وأبدة (٦٣٠ هـ) ثم قرطبة واستجة والمور (٦٣٣ هـ). وبلنسية (٦٣٦ هـ) وشاطبة (٦٤٤ هـ)، ودانية ولقنت (٦٤١ هـ)، وأوريولة وقرطاجنة (٦٤٣ هـ)، ومرسية (٦٤٠ هـ)، وجيان (٦٤٣ هـ)، ثم إشبيلية (٦٤٦ هـ). وكانت بطليوس قد سقطت في سنة

جليلة مؤذنة بوشك القلعة، طالما حذر عليها أسلافنا لحاقها بما احتملوه عن قبلهم من آثار. ولأشد مما أفسدنا عند أولي الألباب ما أخفيها مما دهانا من داء التقاطع وقد أخذنا بالتواصل والألفة، وأصبحنا من استشعار ذلك والتمادي عليه على شفا جرف يؤدي إلى الهلكة لا محالة، إذ قدر الله زمانها، هذا بالإضافة إلى ما عهدناه في القرن الذي سلخناه من آخر أمد الجماعة على إدراك من لحق الذي قبله، فمثل دهرنا هذا فرس بهيم الشية ما إن يباهي بقرحة فضلاً عن شدوخ غرة، قد غربل أهليه أشد غربة فسفسف أخلاقهم، واجتث أعراقهم، وسفه أحلامهم، وخبث ضمائرهم. فاحتوى عليهم الجهل، واقتطعهم الزيف، وأركستهم الذنوب، ووصمتهم العيوب، فليسوا في سبيل الرشيد بأنقياء، ولا على معاني الغي بأقوياء، شاء من الناس هامل، يعللون نفوسهم بالباطل. من أدل الدلائل على فرط جهلهم بشأنهم، اغترارهم بزمانهم، وبعادهم عن طاعة خالقهم، ورفضهم وصية رسوله نبيهم عليه السلام، وذمولهم عن النظر في عاقبة أمرهم، وغفلتهم عن سد ثغورهم، حتى لظل عدوهم الساعي لإطفاء نورهم يتبجح عراض ديارهم، ويستقرئ بسائط بقاعهم، يقطع كل يوم طرفاً منهم ويبيد أمة، ومن لدينا وحوالينا

## كانت الهزيمة في معركة العقاب إيذاناً برحلة الإياب من الأندلس، وبداية النهاية للعرب والمسلمين بها

من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم، لهاة عن بثهم، ما إن يُسمع عندنا في مسجد من مساجدنا ومحفل من محافلنا مذكر بهم أوداع لهم، فضلاً عن نافر إليهم أو مواس لهم، حتى كأن ليسوا منا، أو كأن فتقهم ليس بمفرض إلينا، قد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا بالغناء، عجائب مغربة فانت التقدير، وعرضت للتغيير، فله عاقبة الأمور، وإليه المصير» (١).

### رحلة الإياب

وعلى الرغم من استرجاع المسلمين لهذه المدينة بعد عام من سقوطها في جمادى الأولى سنة ٤٥٧ هـ. فإن كلام ابن حيان يدل على وضع المسلمين آنذ بكل ما عليه، وكأنه كان يتوجس خيفة من أن يكون الحديث بداية النهاية لدولة المسلمين بالأندلس.

وبالفعل، فقد توالى النكبات على المسلمين، فكان مفزعهم دوماً شطر المغرب الأقصى، فأنجد وأغاث، وبعث الأمل في النفوس كلما لاح اليأس. وقد كان لموقعة «الزلاقة» في رجب سنة ٤٧٩ هـ أكتوبر/ تشرين الأول ١٠٨٦ م بقيادة يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، وموقعة «الأرك» سنة ٥٩٣ هـ/١١٩٥ م بقيادة يعقوب المنصور أمير الموحدين، دور بارز في ترسيخ قدم المسلمين



هذه، مما كان يدفع ملوك النصارى إلى جشع أكثر فيطالبون بأكثر قدر ممكن من التنازلات من مدن وحصون (٧)، فلا يملك بنو نصر سوى الخضوع والطاعة ولا سيما إذا امتنع بنو مريـن عن إمدادهم ونجدهم، إما لجفاء بين العدوتين، وإما لانشغال أهل المغرب بشؤونهم الداخلية. والأكثر من ذلك أن هذه السياسة شجعت كثيراً على الدسائس والمؤامرات داخل البلاط النصري، خاصة حين يبرز المطالبون بالعرش أو الإمارة، فتتركب النفوس أهواءها دون اكتراث للمسؤولية الملقاة على عواتقهم، فتتنشط الخلافات وتظهر أمارات الدسائس والاعتياالات، ويصل الأمر إلى الاستعانة بملوك من النصارى أنفسهم لنصرة فريق على آخر، أو لإذكاء جذوة الخلاف بين أبناء الأسرة النصرية، مما يسهل كسب المزيد من الأراضي الإسلامية وحيازتها، بل يصل الأمر إلى التلاعب بين العدوتين لزرع الشقاق بين بني الأحمر وبني مريـن



تمازج حضاري تعبر عنه الآثار التي تتحدى عوادي الزمن

لعزل أهل الأندلس عن إمدادات المغرب. وقد تكررت هذه الظواهر طوال حكم بني الأحمر، مما جعل كل من يتولى عرش غرناطة يتقرب عدوان النصارى، وهذا أمر لا ريب فيه، وفي الوقت نفسه يتقرب القصر حذر الفتنة التي لا يستبعد وقوعها.

### التلاعب بعرش غرناطة

يقول محمد رضوان الداية: «ولابد أن نسجل هنا أن الإسبان ما كانوا يجروون على منازل المسلمين في معركة حاسمة لأخذ غرناطة، بل كانوا يقتعون بسرقة الحصون واستلابها واحداً بعد واحد. كما أن صاحب قشتالة كان يستخدم قوته في التلاعب بعرش غرناطة وسلطنة فاس معاً. ومثال ذلك أن أبا سالم إبراهيم المريني الذي نزل عنده الغني بالله كان في دار الحرب كما أن الغني غادر أبا سالم من فاس بطلب من صاحب قشتالة أيضاً، وجاءت ثالثة الأثافي حين لجأ المتوثن على

(٦٢٢٧هـ) وماردة (٦٢٢٨هـ) وشلب (٦٤٠هـ) وشنتمرية الغرب (٦٤٧هـ)، ولبلبة وولبة (٦٥٥هـ)، ثم قادس (٦٥٩هـ)، وتلتها شريش (٦٦٢هـ). وهكذا «لم يأت منتصف القرن السابع الهجري، القرن الثالث عشر الميلادي، حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى قد سقطت في يد إسبانيا النصرانية ولم يبق في تراث الدولة الإسلامية بالأندلس سوى بضع ولايات صغيرة في طرف إسبانيا الجنوبي» (٤).

### بنو الأحمر والتحدى الحضاري

ومعنى هذا كله، أنه عندما تسلم بنو الأحمر زمام الملك بالأندلس، كانت الدولة الإسلامية بها تلفظ أنفاسها الأخيرة، فلم يكن الأمر هيناً بالنسبة إليهم، فقد ورثوا ثقلاً يوازي ما عمره المسلمون بالأندلس طوال القرون التي سبقتهم، وكان البلاد الإسلامية قد تركزت واختصرت بكل أرجائها الواسعة وكل تاريخها الطويل لتتخصر في مكان لا يتجاوز

حدود دولة غرناطة، وفي زمن لا ينقص ولا يزيد على عمر بني الأحمر. وبذلك تحولت غرناطة إلى مركز ضغط، لما تبقى من الإرث العربي الإسلامي بالأندلس، فكان عليها أن تحتمل إرثاً علمياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً ودينيّاً، وبعمامة إرثاً حضارياً انتهى إليها بعد رحلة طويلة للعرب والمسلمين ببلاد الأندلس.

لذلك فإن المرحلة التي تولى فيها بنو الأحمر قيادة غرناطة، كانت مرحلة حاسمة وحرجه جداً، فقد كان وجود المسلمين مهدداً من المسيحيين (٥). فلم يكن لزاماً على بني الأحمر أن يحتملوا هذا الإرث فقط، وإنما كان من الواجب أن يحافظوا عليه أيضاً، بل ويضيفوا إليه ما وسعهم الأمر. ولعل ملوك بني الأحمر أدركوا هذا، فانتهجوا لأنفسهم طوال فترة حكمهم سياسة دائمة التقلب والتلون، تكاد تكون

غامضة في أغلب الأحيان، لسرعة تغيرها سواء في علاقتهم بالقشتاليين من جهة، أم في علاقتهم ببني مريـن، كما سنرى فيما بعد من جهة أخرى.

وهذه الازدواجية في نهجهم السياسي جعلهم دائماً يعيشون في موقفين: «فإذا مراوغة الطاغية (ملك قشتالة) حين يستبين خطره وينعدم المسعف، وإما الجهر بعصيانته ومداومة مدنه وقراره والاعتصاب ببني مريـن، ويمن يمكن من دول الإسلام، وكان الأندلسيون من علماء وفقهاء وحكام يفضلون الجهاد على المداينة وطاعة الطاغية، وما كانوا يلجؤون إلى السلم إلا مضطرين لحال اضطراب في المغرب أو لنشوب فتنة بين ظهرانيهم» (٦).

ولا يخفى ما في هذه السياسة من خسارة لبني الأحمر وللمسلمين عامة في الأندلس، خاصة إذا اضطر سلاطينهم إلى عقد صلح أو



وادي آش، وظل به حتى استقدمه أبو سالم المريني إلى فاس، فغادرها في ١٣ ذي الحجة سنة ٧٦٠هـ متوجهاً إليها (١٥). وما كاد الغني بالله يستقر في إيالة بني مرين حتى ثارت الثائرة على إسماعيل بن يوسف المستبد بالحكم (١٦)، وذلك أنه في أثناء نفي محمد الخامس الغني بالله «كانت أمور مغتصبي العرش في غرناطة تزداد سوءاً (فقد اغتيل إسماعيل الثاني) بعد شهر من تنويجه في ٧٦١هـ / ١٣٦٠م بأمر من صهره وخلفه والصانع الحقيقي لكل انقلاب محمد السادس بن إسماعيل بن نصر أبي سعيد البرمخو Bermejo، ولكنه لم يلبث أن فشل علي نحو ذريع» (١٧).

وفي أثناء هذا الجو الملبد بالدماء، والذي خيم على غرناطة، كان الغني بالله يبحث كيف يشق طريقه إلى الحمراء مرة أخرى، فاتصل بملك إسبانيا دون بيدرو القاسي الذي أشار عليه بالرجوع إلى الأندلس من جديد والاستقرار برندة، وكذلك فعل محمد الخامس.

خرج الغني بالله من فاس قاصداً مدينة رندة صبيحة يوم السبت

## انتهج ملوك بني الأحمر لأنفسهم طوال فترة حكمهم سياسة دائمة التقلب والتلون، تكاد تكون غامضة في أغلب الأحيان، لسرعة تغيرها سواء في علاقاتهم بالقشتاليين من جهة، أم في علاقاتهم ببني مرين

١٧ شوال من سنة ٧٦٢هـ / ٢٠ أوت / آب ١٣٦١م (١٨). وظل بها يترقب حتى فر البرمخو إلى بيدرو القاسي طالباً منه الأمان بلا جدوى، فقتله في إشبيلية وبعث برأسه مع من معه إلى الغني بالله الذي بادر إلى دخول غرناطة في زوال يوم السبت ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٧٦٣هـ / مارس - أبريل ١٣٦٢م (١٩)، وبذلك تنتهي المرحلة الأولى من حكم الغني بالله لتبدأ المرحلة الثانية. ويقوم كوميذ هذه المرحلة الحرجة من تاريخ غرناطة وقشتالة كليهما، فيقول: «خلال هذه الفترة اجتاحت طوفان من الفتن والدسائس كلاً من قشتالة وغرناطة على السواء، ففي قشتالة أدت الحروب التي جرت بين بيدرو القاسي وأخيه غير الشرعي إلى تغيير الأسرة المالكة، وشيء شبيه بهذا كان يجري في المملكة النصرية، فقد عزل محمد الخامس عن العرش، وترك الدولة منفيًا، وكان يقابل هراء الملك القشتالي وعنفه بدء الاغتيالات السياسية في الأسرة النصرية الحاكمة، والتي جعلت من غرناطة المحتضرة مسرحاً لمأساة إغريقية. وكان قصر إشبيلية يقف شامخاً في مواجهة القصور الغرناطية التي شيدت، وتمت بين

الغني بالله إلى عدوه صاحب قشتالة. كل هذا في سنوات متقاربة، وعن خطة واحدة رسم بعضها بدقة ومكر، وجاء بعضها بقدر، ولم يخلج الطاغية حين أخذ حصون الأندلس لنفسه لما أطاعته باسم الغني بالله، على الرغم من العهود بينهما. نقول هذا والأندلس من طرف المغرب من طرف آخر، يجاوزان القمة ويميلان إلى الانحدار» (٨).

وهذا المثال يتكرر بصور شتى، وفي مناسبات مختلفة، تعرض لها كثير ممن تناول بالدرس هذه الفترة من تاريخ العرب والمسلمين بالأندلس. ويبدو أن فترة حكم الغني بالله تشكل نموذجاً مصغراً لسياسة دولة بني الأحمر برمتها بما تحويه من متناقضات ودسائس واغتيالات ومد وجزر في إرساء دعائم دولة بني الأحمر بشكل جعل الأنظار لا تتجه إلى الدفاع عما تبقى من الحصون الإسلامية بالأندلس فقط، وإنما يتجه نحو الهجوم لاسترجاع ما ضاع منها.

والغني بالله هو محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ابن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي (٩). ويسمى محمد الخامس (٧٣٩ - ٧٩٣هـ). وهو ثامن ملك في سلسلة ملوك بني نصر الذين ينتهي نسبهم إلى الصحابي الجليل سعد بن عباد الخزرجي (١٠). قال فيه ابن الخطيب: «أمير المسلمين لهذا العهد بالأندلس، صدر الصدور، وعلم الأعلام، وخليفة الله، وعماد الإسلام، وقوة هذا البيت الأصيل، ونير هذا البيت الكريم، ولباب هذا المجد العظيم، ومعنى الكمال، وصورة الفضل، وعنوان السعد، وطائر اليمين، ومحول الصنع الذي لا تبلغ الأوصاف مداه، ولا توفي العبارة حقه، ولا يجري النظم والنثر في ميدان ثنائه، ولا تنتهي المذائح إلى عليائه» (١١). اعتلى عرش غرناطة يوم عيد الفطر ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م وهو اليوم الذي قتل فيه والده أبو الحجاج يوسف الأول ساجداً، وهو يؤدي صلاة العيد حين طعنه أحد المرورين فأرداه قتيلاً (١٢).

وتنقسم فترة حكم الغني بالله فترتين: الأولى من سنة ٧٥٥هـ إلى ١٣٥٤م إلى ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م والفترة الثانية من سنة ٧٦٢هـ إلى ١٣٦١م إلى ٧٩٣هـ / ١٣٩١م.

أما الفترة الأولى فقد اعتلى فيها الغني بالله عرش غرناطة وهو فتى يافع قريب عهد بالراهقة، فتكلف بشؤونه ساعده الأيمن وحاجبه أبو النعيم رضوان (١٣). وأول ما بدأ به هو الحرص على حسن الجوار بينه وبين ملك قشتالة بطرس الأول، فأعلن ولاءه له، وأرسل وزيره لسان الدين ابن الخطيب في سفارته المشهورة إلى أبي عنان يكسب وده وصداقته (١٤). وما كاد الغني بالله يوطد دعائم ملكه حتى عصفت به ثورة قادها ضده أخوه إسماعيل بن يوسف؛ وذلك في يوم الأربعاء ٢٨ رمضان سنة ٧٦٠هـ / ٢١ يوليو / تموز ١٣٥٩م، وكان يقم في قصر جنة العريف على مقربة من قصر الحمراء، ففر إثر ذلك فأصبح في



وبالإضافة إلى هذه الإنجازات قام بالتدخل في المغرب خاصة بعد لجوء لسان الدين بن الخطيب إلى بني مرين فأرأى من سلطانه الذي نجحت لديه السعيات به، وما تبع ذلك من أحداث انتهت بمقتل هذا الشاعر الكبير سنة ٧٧٤هـ.

فبعد ما رقص الوزير أبو بكر بن غازي تسليم ابن الخطيب إلى الغني بالله بعد وفاة السلطان عبدالعزيز ومبايعة ابنه أبي زيان، قام الغني بإرسال إمدادات عسكرية إلى كل من عبدالرحمن بن أبي يفلوسن، ومحمد بن عثمان ابن عم أبي بكر بن غازي من أجل تولية أبي العباس أحمد بن السلطان أبي سالم على فاس، وهو ما جعل محمد الخامس يبسط سيطرته على العدوتين: المغرب والأندلس كليهما (٢٥).

كل هذا جعل الدولة الإسلامية على عهد الغني بالله تستعيد بعض



عندما يدب الضعف في أوصال دولة ما فإن الحصون لا تجدي

هيبتها بالأندلس؛ فبالإضافة إلى نشاطه السياسي وما اعتوره من فترات حرجة أملاها ما جبل عليه أفراد الأسرة الحاكمة في غرناطة من حب الملك، ودس الدسائس، وتدبير الاغتيالات للوصول إليه، وإضافة أيضاً إلى نشاطه العسكري الذي استرد به بعض ما سلب من الحصون من ذي قبل، ترك الغني بالله آثاراً حضارية خالدة لا تزال شاهدة على ما بلغته غرناطة على يديه إلى الآن. وهو ما فجر قرائح الشعراء بقصائد لا تقل روعة عن هذه المآثر، والتي لا تزال تلهج بها الألسنة.

بهذا نتوضح لنا أهم الملامح السياسية التي نهجها ملوك بني الأحمر بعامه والملك محمد الخامس بخاصة، فيتجلى عصرهم بكل متناقضاته، فهو عصر جمع في طياته من الملوك ما بين الغت والسمن، وفيه سلاطين أقوياء «وقفوا في وجه العدو وقهروه، وآخرون ضعفاء تخاذلوا

البلاطين الغرناطي والقشتالي علاقة صداقة وطيدة إذ ذاك» (٢٠). وعندما بدأت إمارة الغني بالله الثانية كان المناخ السياسي المحيط به في مصلحته تماماً، وفي الوقت نفسه أخذ ينظر في أمور سياسته الداخلية بعين حازمة حتى يقوم ما كان معوجاً من ذي قبل ويؤمن بلاطه مما من شأنه أن يدير الدائرة عليه.

فأما بالنسبة إلى الحالة السياسية الخارجية التي كانت تحيط بمملكة غرناطة، فقد كانت تسير وفق ما أراد، فقد «أسعده الحظ بأعوام من الهدوء بين دولتين تجاورانه كانتا في قمة الاضطراب، فقد عم الكرب قشتالة من جراء الحرب القائمة بين الأشقاء دون بيدرو القاسي وأخيه إنريك، وكان محمد الخامس يساعد الأول دون أن يتردد في استغلال الأمر لمصلحته محاولاً الصيد في الماء العكر، وحينما انتصر الثاني، استطاع أن يوقع معه معاهدة سلام. وكان

المغرب غاية في الفوضى، فقد اغتيل أبو سالم في العام نفسه الذي عاد فيه محمد الخامس إلى غرناطة ٧٦٢هـ/١٣٦١م، وكانت الإمبراطورية المغربية تغلي على امتدادها بصراعات عنيفة داخلية وخارجية، وبين الملوك والمطالبين بالملك، بين رجال الحاشية الأقوياء والمغامرين، فاستغل الملك الغرناطي هذا الاضطراب، وتدخل نشيطاً في إفريقية مستخدماً طرائق معقدة، ومعتمداً تبعاً للظروف على الفريق الأكثر ملاءمة لمصالحه العاجلة» (٢١).

### عصر ذهبي

يبدو إذاً أن الغني بالله انتعش من المحن، فأصبح عقله السياسي أكثر نضجاً في التعامل مع الأحداث. بمعنى أن مملكة غرناطة على عهده لم تكن تهدد كما كان الأمر قبله أو كما سيؤول إليه بعده، وإنما ازداد استقراراً فأصبحت تظهر «بمظهر للقوة لم تعرفه منذ زمن بعيد، وكان عصر الغني بالله عصرًا ذهبيًا مليئًا بالسؤدد والرخاء والدعة لم تشهد الأمة الأندلسية» (٢٢).

وأما على صعيد الساحة السياسية الداخلية، فقد اهتز عرش الغني بالله ثانية، لكنه لم يسقط كما سقط في الأولى، فقد قاد الدليل البركي ثورة ضده في ذي الحجة سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م (٢٣). إلا أن هذه الثورة باءت بالإخفاق، وتحكم الغني بالله في زمام الأحداث، فقد أفادته التجربة الأولى، فلم يقع في الخطأ نفسه.

وأهم ما تتميز به إمارة الغني بالله الثانية هو إعلانه الجهاد لاسترجاع ما ضاع من المدن الأندلسية، ابتداء من سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م، ولذلك اجتاحت جيوشه عدداً مهماً من المدن والحصون، مما رفع من شأن مملكة غرناطة على عهده (٢٤).



أمامه، ودخلوا في طاعته وتنازلوا له عن بعض أملاكهم.

وفيه صراع صار على الحكم بين سلاطين بني الأحمر أدى ببعضهم في سبيل تحقيق مطامع الشخصية وانتصاره على منافسيه إلى موالاة أعداء أمته وملته! (٢٦).

### الحياة الأدبية

على الرغم من هذا الاضطراب السياسي الشديد، وهذا الجو القاسي المنذر بالسقوط النهائي، وانهيار حضارة العرب والمسلمين بالأندلس، كانت الحياة الأدبية والفكرية بعامه

تسلك طريقها بكل ما أوتيته من قوة، وتشق سبيلها في الغسق الأخير، حتى جعلت من غرناطة «أعظم مركز للدراسات الأدبية والعلمية والإسلامية في هذا القطر الغربي من العالم الإسلامي» (٢٧).

والحق أنه بصعب الإمام بكل ما كانت تزخر به مملكة غرناطة من نشاط فكري وأدبي في مثل هذه العجالة ولو على سبيل الإيجاز والاختصار، لذلك ساقطت على المعالم الكبرى للحياة الأدبية في عصر بني الأحمر، وأهم العوامل التي ساهمت في إذكاء هذا الدور الكبير في عالم الفكر والأدب (٢٨).

ففي أثناء سقوط المدن الأندلسية وتوالي النكبات على المسلمين عقب سقوط حصن من حصونهم أو مدينة من مدنها، كان العلماء يضطرون إلى الهجرة ومغادرة ديارهم إلى غير رجعة، فقد «هاجر الكثير منهم إلى المغرب أو إلى المشرق، ولكن الذين ظلوا في وطنهم كانوا أكثر وأصلح وأكثر علماً وإيماناً، وبفضلهم ثبتت قلوب الألوף وقرروا في مواضعهم، وظلت شعلة الأمل في نفوسهم، وبلغ من ثبات هذا النفر من الشيوخ وتمسكهم بوطنهم الأندلسي وأهله، أن الواحد منهم كان يظل يقرئ في بلده حتى يسقط، فينتقل إلى أقرب بلد إليه ويواصل القراءة حتى يسقط، فينتقل إلى الذي يليه، وهكذا» (٢٩).

وبذلك فقد استقطبت غرناطة عدداً جماً من العلماء ساهموا بقسط وافر - إلى جانب العلماء ذوي الأصل الغرناطي - في الإشعاع الفكري العربي الإسلامي أيام النفس الأخير من حضارة الإسلام بالأندلس، كما ساهم الأندلسيون الذين هاجروا إلى المشرق والمغرب في الحياة الفكرية لكل بلد حلوا به (٣٠). لقد ضرب علماء غرناطة بسهمهم في كل ضروب الفن والعلم، وتعددت اهتماماتهم بين المنقول والمقول، نظماً ونثراً، فقد «استمرت العلوم الشرعية والإسلامية بعامه على مستواها الرفيع، وظهر عدد كبير من العلماء الذين تابعوا أمور الفقه والتفسير والحديث والأصول، وخرجت علوم اللغة العربية وآدابها

## استقطبت غرناطة عدداً جماً

## من العلماء ساهموا بقسط

## وافر - إلى جانب العلماء ذوي

## الأصل الغرناطي - في الإشعاع

## الفكري العربي الإسلامي أيام

## النفس الأخير من حضارة

## الإسلام بالأندلس

رجالاً مازالت شهرتهم متصلة إلى اليوم، أما الشعر، فبقيت له مكانة عند أصحاب الشأن - على الرغم من اضطراب الأمور العامة - وبقيت في الشعر الأندلسي روح الشعر الرفيع، وأصالة الشعراء المتمكنين، وظهر رجال في علوم الطب والهندسة والنبات والصيدلة، كما نبغ جغرافيون ومؤرخون عرفهم المشرق نفسه وقدرهم منازلهم من التكريم. ولعل هذا الاستمرار الحضاري ناشئ عن أن المصاب الأندلسي الفادح في خسران الأرض وانحسار السيادة لم يصل إلى استهلاك الحضارة وانحدار المدينة، كما أن المستوى الذي وصلوا إليه حتى في عصر الانحدار، لم يكن حضارة قشرية زائفة تضع عند أول هزة أو أدنى اختبار» (٣١).

### البريق الأخير

وهذا التنوع في العلم والمعرفة، جعل الحضارة الإسلامية على عهد بني الأحمر حضارة متكاملة بعلومها العقلية والنقلية أيضاً. وكأن الأندلسيين شعروا بالنهاية، فأرادوا أن يسجلوا آخر بريق لهم في هذا الصقع الذي أن لجذوتهم أن تخبئ فيه. ولعل هذا الشعور سرى أيضاً نحو الساسة خاصة عند محمد الخامس في حملاته العسكرية من أجل استعادة المدن والحصون المفقودة. ففي أثناء هذه الرعدة المشوبة بالأنفة والتحدي كان لا يزال «ممكناً في هذه الفترة اعتصار الليمونة على نحو أقوى لانتزاع آخر قطرة فيها وأطعمها مذاقاً. لقد كانت حملات محمد الخامس قمة ازدهار جهاد حقيقي، أما المعارك التالية له، فكانت فرصة سانحة له لإظهار بطولات فردية فحسب، وإقامة آخر قاعات الحمراء، وبهو الأسود من بينها بخاصة، فإن الفن الأندلسي ألقى إلينا بتحية الوداع الأخيرة والرائعة! أما الثقافة العربية والنثر الفني، فقد ماتا في الحقيقة مع ابن الخطيب. وانطفأت باختفائه إلى جانب ذلك مشاعل التاريخ تاركا القرن الأخير للحكم الإسلامي في شبه الجزيرة يتخبط في الظلام» (٣٢).

ولعل ما خلفه هذا القرن من إبداع شعري ونثري يكفي ليقف شاهداً على شموخ رجال هذين الفنين أيام بني الأحمر، ثم إن كتب التراجم حافلة بأسماء الأعلام الذين ذاع صيتهم آنذاك ولا يزال إلى يومنا هذا. فيكفي ما صنفه ابن الخطيب في «الإحاطة» و«الكتيبة الكامنة»، وما ذكره من الأعلام في هذين الكتابين ليطل الدارس من خلالهما على إنتاج غزير من منظوم ومنثور، وفي مختلف أبواب الشعر والنثر، وإن كنا نلاحظ غلبة طابع التأثر بالأحداث السياسية والعسكرية



المغاربة والأندلسيين في الإبداع، لتتم الاستفادة من تجارب مختلفة انعكست على أشعارهم وإبداعاتهم. إلا أن العامل الأكبر في تنشيط هذه الحركة الأدبية هو طبيعة أمراء بني الأحمر وميلهم إلى العلم ومجالسة أهله، وتحبب الأوقاف على المدارس والمكتبات التي يقيمونها لسد نفقاتها (٣٥)، مما شجع على انتشار العلم والرفع من قيمة العلماء من وجهين: أولهما: تشجيع أهل غرناطة ودفعهم نحو مزيد من كسب المعرفة وطلب العلم. وثانيهما: استقطاب أهل العلم من مختلف الأمصار للوقوف بآبواب عاصمة بني الأحمر ومجالسة علمائها وملوكها للإفادة والاستفادة معاً، وقد تجلى هذا بشكل واضح أيام محمد الثاني وأبي الحجاج يوسف الأول ومحمد الخامس الغني بالله (٣٦).

إضافة إلى هذه العوامل، هناك عامل الأمل بعد اليأس، والاطمئنان بعد القلق الذي كان يساور أغلب الشعر إبان الانحدار الهائل الذي



قصر الحمراء

عرفته الدولة الإسلامية من نهاية القرن الخامس إلى حدود استقرار دولة بني الأحمر بعد قيامها. فخلال القرنين السادس والسابع، نلاحظ أن أغلب الشعر كان يتفجر حيرة وألماً على ضياع الأندلس: خاصة وأنهم كانوا يوازنون في أغلب الأحوال بين ماضي الأندلس ومجدها، وحاضرها البئيس الأليل إلى الزوال، فأثارت تلك «المحن التي توالى على الأندلس في تلك الفترة المظلمة من تاريخها لوعة الشعر والأدب» (٣٧).

ولكن ابتداءً من عهد محمد الثاني بدا للشعراء بريق من الأمل ينبئ بصفحة ناصعة من تاريخ الأندلس. وما إن حل عهد أبي الحجاج يوسف وولده الغني بالله حتى اتخذ الشعر الأندلسي صبغة أخرى تتماشى وجو الاستقرار الذي عم معظم المملكة، فعاد الشعر إلى سالف عهده بما عرفه من وصف للقصور وأنماط الحياة المترفة على نحو ما

والاضطرابات التي كانت تعيشها الدولة الإسلامية آنذاك، وهو ما جعل الأدب «في دولة بني الأحمر منه بخاصة يغلب عليه طابع الاستغاثة واستنهاض همم ملوك المغرب وتونس للمؤازرة في الدفاع عن مجد العرب المهدد بالضياع في الأندلس، فيستجاب لصريخ هذا الشعر حيناً، وتصم الأذان عنه أحياناً» (٣٨).

وإلى جانب هذا نلاحظ طغيان فن المدح على غيره من الفنون الشعرية الأخرى إلى جانب المديح النبوي، كما هو واضح عند الأغلب الأعم من شعراء هذه الفترة، فقد كان أغلب الشعراء الممتازين الذين ظلت المصادر تتداول تراجمهم، وتورد مقتطفات من أشعارهم، كانوا منخرطين في سلك خدمة الملوك والأمراء، فكانوا يجمعون - في كثير من المناسبات الدينية بخاصة - بين المدح الدنيوي والمديح النبوي على عادة شعراء المغرب والأندلس في هذا العهد. ثم إن شعر الإخوانيات، بما فيه من دعابة وفكاهة، كان شائعاً، وقد حفظت لنا كتب ابن الخطيب والمقري وابن الأحمر كثيراً من المقطعات من هذا الشعر. وكل هذه الفنون أخذ منها ابن الحاج النميري بطرف كما سيأتي.

وبشكل عام يعد القرن الثامن «عصرًا ذهبياً للكتابة والشعر إلى ما تلاه من عصور بالقياس إلى المشرق، ففي حين نبع أمثال لسان الدين، وابن زمرك، وابن خلدون، وابن الجياب في المغرب والأندلس، كان المشرق أعجز عن اللحاق بهم وإظهار شاعر آخر يخلف أمثال صفى الدين الحلبي» (٣٩).

### من أسباب النهضة الأدبية

ولكن هذه النهضة ما كان لها أن تقوم لولا ملاءمة الظروف التي ساعدت على ازدهارها وحركتها؛ ولعل السبب الأول في ذلك يرجع إلى تدفق جمهرة من العلماء على غرناطة بعد سقوط مدينتهم كما سبق القول، مما جعل الطلاب الذين نبغوا فيما بعد يستفيدون من تجارب متعددة وواسعة وفي مختلف الميادين، وهذا ما يلاحظ في شعر غالبية أدباء القرن الثامن أو أدبهم، فجلبهم كان له باع طويل في العلوم الإسلامية واللغوية وعلوم أخرى من طب وفلسفة وتصوف وغيرها، وهو ما انعكس على إبداعهم الذي نجد فيه إحالات متعددة إلى مختلف فروع العلم، حتى ليكاد يصعب على المتلقي إدراك كل هذه الإحالات والمعارف بسبب الطرق المتنوية التي يسلكها الشعراء في التعبير.

بالإضافة إلى هذا العامل، نجد أن كثيراً من الشعراء استفادوا من رحلاتهم إلى المشرق، فأغترفوا من معين المصادر المشرقية المتنوعة، فعادوا إلى الأندلس وكذا المغرب ليمزجوا بين طرائق المشاركة وطرائق



نجد عند ابن الخطيب وابن زمرك وابن الحاج النميري وغيرهم.

كما أن كثرة الاهتمام بالمناسبات الدينية كانت تلهب قرائح الشعراء للجري في مضمار الشعر على أنحاء شتى، خاصة فيما يتعلق بالمولد النبوي الشريف.

### تيارات ثلاثة

كل هذه الأسباب أتاحت للشعر فرصة الانعتاق نحو أفق أرحب مما كان عليه إبان الانحسار الشديد للدولة الإسلامية بالأندلس، ومرحلة الحيرة والاضطراب التي أناخت على نفوس الشعراء. وهذا

التلون في بواعث الإبداع الشعري عهد بني الأحمر، جعل إميلو كرسيا كوميذ يحدد ثلاثة تيارات داخل الإنتاج الأدبي إبان هذه المرحلة. فيرى أن عصر بني نصر فيه عصور «واضحة الاختلاف فيما بينها: أولها ذو تأثير قشتالي غالب، ويمتد من نهاية القرن الثالث عشر إلى مطلع القرن الرابع عشر، والآخر ذو تكوين يتميز بتركيبه الإفريقي المشرقي خلال القرن الخامس عشر، وبينهما مرحلة عابرة تسجل قمة توهج هذا العالم القلق، وتشير إلى الخط الفاصل بين التيارات» (٣٨)، والغريب في الأمر أن غارسيا غوميز نفسه قال قبل ذلك بقليل: «وأدبها - غرناطة - بعمامة مهجور: شرح على شرح وتعليقات، وثقافة عامة وتكرار في الشعر والنثر، فهما فكر مطروق وتعبير محفورة» (٣٩). وإذا وزنا هذا الحكم بالأحكام السابقة، فنسجد أن هذا المستشرق يقوم عصر بني الأحمر الأدبي بمقاييس مختلفة حظها من الاضطراب كثير، فتارة يرى هذا الإبداع أنه آخر عصارة من ليمونة وأطعمها مذاقاً، وأن الفن الأندلسي ألقى إلينا مع بني نصر آخر تحية وداع رائعة، والآن يراه تعابير محفورة، وفكراً مطروقاً، وتكراراً في الشعر والنثر. ولست أدري أكان غوميز يقصد أن هذه المرحلة تحوي أنماطاً مختلفة من الإبداع تراوح بين الغث والسمين على عادة كل العصور، أم أنه ينسخ كلامه بكلام آخر فيستبدل به حكماً ينسبه ما سبق؟ الشيء نفسه نلاحظه عند المؤرخ الكبير أنخل بلانثيا، ففي كتابه «تاريخ الفكر الأندلسي»، وفي معرض حديثه عن وجوه بارزة في ميادين مختلفة على عهد بني الأحمر قال: «هؤلاء جميعاً كانوا أعلاماً على قوة الحيوية التي كانت تتوفر في كيان الثقافة الأندلسية الإسلامية، فقد استطاعت هذه الثقافة البقاء رغم قلة ما كانت تستطيع توليد غرناطة الصغيرة أن تهينه لها

## التأثر بالأحداث السياسية والعسكرية والاضطرابات التي كانت تعيشها الدولة الإسلامية آنذاك، هو ما جعل الأدب في دولة بني الأحمر يغلب عليه طابع الاستغاثة واستنهاض همم ملوك المغرب وتونس للموازنة

ولأصحابها من ظروف ملائمة للانتعاش بسبب ما كانت فيه من كفاح دائم مع النصارى» (٤٠).

وبعد ذلك بكثير يقوم الشعر الأندلسي على عهد بني الأحمر فيقول: «كان الشعر الأندلسي خلال العصر الغرناطي يلفظ أنفاسه الأخيرة، مثله في ذلك مثل غيره من فروع الثقافة الإسلامية في الأندلس، كانت كلها تعيش على أصداء الماضي» (٤١).

وغير خاف ما في هذين القولين من تباين. وأرجع مرة أخرى إلى غارسيا غوميز في مسألة علاقة الأدب الأندلسي بغيره من الآداب؛ فتبادل التأثير والتأثير بين المشرق والأندلس من جهة، والأندلس والمغرب من جهة أخرى، أمر لا ريب فيه، ولكن لا أظن أن هناك تأثيراً قشتالياً في الأدب أو الثقافة النصرانية في بداية قيام الدولة النصرانية.

ويكفي دليلاً أن غوميز أعوزه الدليل من الأدب والشعر، فراح يلتمسه في توقيعات أمراء الفترة على المراسيم، إذ تأتي توقيعاتهم شبيهة بتوقيعات النصارى، فنجد: «دون أبو عبدالله بن نصر»، و«دون محمد بن هود ملك مرسية»، و«دون ابن محفوظ ملك نبله» (٤٢)، ثم استدل بكلام لابن سعيد المغربي ينكر فيه على بعض علماء عصره عدم لبس العمامة، وكذلك وصفه لزي الأمراء والجنود (٤٣). ولكن السؤال هو: هل الأدب والإبداع ينحصران في العمام والتوقيعات وزي الجنود لنحكم على مرحلة بأكملها بأنها تأثرت بطرف آخر مختلف عنها تمام الاختلاف، وفي كل شيء؟! الحق أننا إذا نظرنا في الإنتاج الأدبي الذي وصلنا عن نهاية الموحدين بالأندلس وقيام دولة بني الأحمر إلى تولي محمد الثاني الفقيه زمام الملك، ما وجدنا شيئاً من هذا لا في الشعر ولا في النثر، اللهم إلا هذه التوقيعات. وما عدا ذلك فإن حناجر المبدعين شعراء وخطباء في هذه الحقبة كانت تتمزق وتصرخ بكل ما أوتيته من قوة طالبة الغوث من إخوانها في الدين في المغرب وتونس والمشرق، بحثاً عن الخلاص من القشتاليين، فكيف لهؤلاء أن يتأثروا بثقافة أولئك القشتاليين؟!

### بروز النزعة الدينية

كل ما هناك إذاً، أن السقوط المروع لمدن الأندلس وحصونها بعث إحساس القلق على نحو شديد في نفوس الشعراء كما هو واضح عند ابن الأبار وأبي البقاء الرندي وغيرهما، وما كادت



الأمر تسير نحو الاستقرار على عهد أبي الحجاج يوسف وبعده الغني بالله، حتى لاحت معالم الأمل والاطمئنان، فتغيرت نبرات الشعر والشعراء، فأنت في هذه المرحلة مختلفة عن سابقتها كما سبق القول.

إلا أن الطابع الذي يغلب على الثقافة في هذا العصر منذ انهيار السلطان الموحيدي في الأندلس وبداية ضياع الملك العربي بها هو الطابع الديني الذي شاع بين كل الطبقات المثقفة ومختلف شرائح المجتمع. يقول الدكتور حسين مؤنس: «والظاهرة المميزة للشيوخ العصر - النصف الثاني من القرن السادس الهجري - الانصراف إلى القرآن والحديث وحدهما، والاجتهاد في دراستهما اجتهداً يدل على أن الشيوخ كانوا يجدون فيها عزاء عما صارت إليه البلاد من سوء حال، فكانت «السنة والجماعة» عندهم عزاءً وأملًا وخطاً يربطهم إلى أجيال الإسلام الأولى، ولا شك أن هذا

الإحساس النفسي هو الذي دفع الناس إلى الالتفات حولهم، والاستماع إلى ما كانوا يروون من الأحاديث مسندة من رجل لرجل حتى تصل إليهم من الرسول صلى الله عليه وسلم» (٤٤).

وقد استمر هذا النمط بشكل أقوى حتى القرن الثامن، حيث يندر العثور على شاعر لم يضرب بسهمه في الفقه أو الحديث وعلومهما، أو لم ينظم قصيدة مولدية في المولد

النبوي الشريف أو ليالي القدر، حيث كان يحتفل بهما غاية الاحتفال عند ملوك بني الأحمر وبني مرين على حد سواء. فتنامت هذه النزعة الدينية حتى أفضت إلى نتيجة وهي: «انتشار حركة التصوف واستيلائها على المثقفين وغير المثقفين، وقد مد في هذا الاتجاه ضعف المسلمين بالأندلس، وتغلب النصراني عليهم، مما دفع العلماء آنذاك إلى بث الروح الدينية في نفوس المسلمين ليقاوموا بإيمان عارم ذلك الاندفاع الصليبي من طرف الإسبان» (٤٥).

فواضح أن اقتفاء أثر السلف الصالح في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتنامي هذا الشعور، كان نتيجة المد الصليبي وحدته للقضاء على الوجود الإسلامي بالأندلس، وشعور المسلمين ببداية النهاية. ولكن الذي أريده من إثارة هذا الموضوع، هو تنامي النزعة المسيحية عند الطرف الآخر، عند الإسبان، وبشكل لافت للانتباه، وما يستدعي التوقف أكثر هو أن تنامي هذه النزعة «القومية والدينية العميقة في حروب إسبانيا

النصرانية مع المسلمين، لم يكن ملحوظاً بصورة واضحة حينما كان التفوق في القوة لإسبانيا المسلمة، أيام الدولة الأموية، وحينما كان ثمة نوع من توازن القوى السياسية والعسكرية في الأندلس وإسبانيا النصرانية أيام المرابطين والموحدين» (٤٦)، وهو ما يلاحظ تماماً عند العرب والمسلمين بالأندلس، ذلك أن الشعور الديني وحماسه لم يبدأ في الشيوع على نحو واسع في الأدب والشعر والعلوم الإسلامية إلا بعد تنامي الحملات الصليبية على المسلمين، وأيام إحساسهم بضعفهم وقوة القشتاليين الذين انتابهم التعصب الديني في هذه المرحلة بالذات. فما كاد «يبدو تفكك المملكة الإسلامية قوياً واضحاً، وما كادت حرب الاسترداد تدخل في طورها الأخير حتى بدت النزعة القومية والدينية واضحة قوية في جهود إسبانيا النصرانية للقضاء على مملكة غرناطة» (٤٧).

وكما شد الخناق على المسلمين كان جوارهم إلى الله والتوسل إليه بنبيه صلى الله عليه وسلم أقوى. وبشكل أكثر وضوحاً، كلما ازداد تقلص نفوذ المسلمين وبدا هلعهم واضحاً وجدوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ملجأً وعزاءً لشدة القلوب عن طريق البحث فيهما ونظم المولديات وما إلى ذلك. وعلى العكس من ذلك عند الجبهة المضادة، كلما ازداد جشع القشتاليين، وبدت ملامح استرداد الأندلس، ترسخت فيهم الحمية الصليبية والكنهوتية المسيحية.

فلا بد هنا من تبادل التأثير والتأثير، ولكن التأثير هنا يبدو على نحو لا يدفع، ذلك أن «بعض الفرسان والرهبان الوريين المتحمسين كان يحزنهم تفرق الملوك النصارى وتخاذلهم أحياناً في مقاتلة المسلمين، وكانوا يرون أنه لا بد من قيام جماعات غيرة مخلصه من الفرسان تنذر نفسها للدفاع عن الدين وعن الأراضي النصرانية، وكانت قدوتهم في ذلك جماعات المسلمين من أهل الثغور والمراطة، فقد كانت هذه الجماعات المجاهدة التي ترابط عند حدود الأراضي الإسلامية، تبدي في محاربة النصارى بسالة منقطعة النظير، وتؤدي للجيش الإسلامي أجل الخدمات» (٤٨). ثم توالى بعد ذلك إنشاء الجمعيات الدينية يقودها قساوسة ورهبان ورعون شديدي التمسك للدفاع عن النصرانية، كجمعية القديس يولييان عام ١١٥٠م التي سميت بعد ذلك «بجمعية فرسان القنطرة» ثم أنشئت جمعية «فرسان قلعة رباح» عام ١١٥٨م على يد رهبان ورعين عملوا على حشد النصارى ضد المسلمين (٤٩).

## الطابع الذي يغلب على الثقافة منذ انهيار السلطان الموحيدي في الأندلس وبداية ضياع الملك العربي بها هو الطابع الديني الذي شاع بين كل الطبقات



كثائب مسلحة وعصابات تنذر نفسها فداء للصليب لسحق الوجود الإسلامي ما وسعها الأمر.

ولعل عنصر الإخلاص كان أكثر رجحاناً في كفة النصارى، فيكفي دليلاً أن «أول عمل قام به الجند القشتاليون حينما دخلوا غرناطة في الثاني من يناير/كانون الثاني عام ١٤٩٢م أن رفعوا الصليب فوق أبراج الحمراء، ورفعوا إلى جانب علم قشتالة علم القديس ياقب، وأقام الرهبان القداس داخل قصر الحمراء. ودفنت الملكة إيزابيلا وزوجها الملك فرناندو في كاتدرائية غرناطة التي أقيمت فوق أنقاض المسجد الجامع، تنويهاً بظفرهما على الإسلام» (٥٠).

### المراجع والهوامش

٢٤. راجع هذه الفتوحات بتفصيل في الإحاطة ٧٨/٢ وما بعدها، وريحانة الكتاب ونجعة المتأب ١٤٦/١، وتاريخ ابن خلدون ٣٣/٧، ونفع الطيب ٣٦٠/٦.
٢٥. راجع ذلك بتفصيل أكثر في تاريخ ابن خلدون ٤٤٩/٧، والاستقصاء ٦١/٤ و ٦٢.
٢٦. الأدب العربي في الأندلس، د. عبدالعزيز عتيق، ص ١٢٠.
٢٧. د. محمد كمال شبانة في مقدمة تحقيقه «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار» ص ١٣.
٢٨. للتفصيل راجع كتاب الباحثة Rachel Arie (1492 - 1232) L'Espagne Musulmane au temps des Nasrides، Editions E.D.E Boccard Paris. 1973.
- وراجع بشكل خاص الفصل الثامن تحت عنوان: La vie Religieuse et Intellectuelle. L'essor Artistique P.417.
- وراجع كتاب «غرناطة في ظل بني الأحمر» في الفصل الرابع «الحياة الدينية والفكرية»، ص ١٥٣ وهو شبيه بالفصل السابق من كتاب: A. Rachel.
٢٩. شيوخ العصر في الأندلس - د. حسين مؤنس، ص ١٠٤.
٣٠. راجع بتفصيل المقرري في تعريفه بمن رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق في نفع الطيب ٥/٢ و راجع «الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري» لعلي أحمد، ص ١٢٩ وما بعدها.
٣١. أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص ٣٠.
٣٢. مع شعراء الأندلس والمنتبى ص ١٦٩.
٣٣. الأدب العربي في الأندلس، عبدالعزيز عتيق، ص ١٢٩.
٣٤. نثر الجمان، ص ٥٧.
٣٥. نثر الجمان، ص ٥٠، والأدب العربي في الأندلس، ص ١٣٠.
٣٦. راجع مقدمة منوعات ابن الخطيب بقلم الحسن السالحي، ص ١٥، وراجع المرجعين السابقين في الصفحات نفسها وما بعدها.
٣٧. نهاية الأندلس ص ٤٩.
٣٨. مع شعراء الأندلس، والمنتبى ص ١٦٣، وقد بدأ الحديث عن كل عصر ابتداء من هذه الصفحة وما بعدها.
٣٩. نفسه ص ١٦٢.
٤٠. تاريخ الفكر الأندلسي - ترجمة د. حسين مؤنس، ص ٢٥.
٤١. نفسه ص ١٣٧.
٤٢. مع شعراء الأندلس والمنتبى، ص ١٦٣.
٤٣. نفسه، ص ١٦٣ و ١٦٤.
٤٤. شيوخ العصر في الأندلس، ص ٩٩ - ١٠٠.
٤٥. محمد الكتاني، من مقدمة تحقيقه «لروضة التعريف بالحلب الشريف»، ص ١٣.
٤٦. نهاية الأندلس، ص ٧٩.
٤٧. نفسه، ص ٨٣.
٤٨. نفسه، ص ٧٨.
٤٩. راجع المرجع نفسه بتفصيل، ص ٧٨ - ٧٩.
٥٠. نهاية الأندلس، ص ٨٣.

والذي يبدو من خلال هذا واضحاً، هو أن الاحتكاك المسيحي الإسلامي عن طريق المعارك والحروب، جعل الطرفين كليهما، يجمع بينهما حد مشترك هو الروح الدينية العميقة، والافتتاع بعنصر الإيمان القوي بأنه المخلص الوحيد من أذى الطرف الآخر، مع الإشارة إلى اختلاف المواقف وتباينها. فالمسلمون لا تغمرهم هذه الروح إلا إذا مستهم الضراء، بينما يزداد المسيحيون تعصباً ورهبة كلما مستهم السراء، ثم إن المسلمين كانوا يعبرون عن شعورهم هذا في الدراسات الإسلامية والفقهية والمذاهب النبوية والخطب الحماسية التي يزرخ بها الأدب الأندلسي على عهد بني الأحمر، بينما يعبر النصارى عن الشعور نفسه في

١. عن الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١٨٨/٥ و ١٨٩، وقد نقل هذا الكلام المقرري في نفع الطيب ٤/٤٥٢، ونقل بعضه محمد عبدالله عنان في «نهاية الأندلس»، ص ١٧.
٢. نهاية الأندلس ص ١٩.
٣. نفع الطيب ٣٨٣/٤.
٤. نهاية الأندلس، ص ٢٠ و ٢١، وراجع أيضاً حول ضياع المدن الأندلسية نفع الطيب ٤٤٦/٤.
٥. أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، محمد رضوان الداية، ص ١٩.
٦. من مقدمة محمد رضوان الداية في تحقيقه لنثر الجمان في نظم فحول الزمان، لابن الأحمر، ص ٣٧.
٧. راجع ذلك بتفصيل في «نهاية الأندلس» في كثير من المواضع ابتداء من ص ٢٧ وما بعدها، وانظر أيضاً «غرناطة في ظل بني الأحمر» د. يوسف شكري فرحات، ص ٢٦ و ٢٧.
٨. نثر الجمان، ص ٢٣ و ٢٤.
٩. الإحاطة ١٣/٢، وما بعدها، وراجع اللمعة البديرية في الدولة النصرية، ص ١١٣، وكل المصادر التي تحدثت عنه أو ترجمت له أخذت من هذين المصدرين في الغالب، وبخاصة من الإحاطة.
١٠. وللقشندني رأي آخر إذ يقول: «واعلم أن بني الأحمر هؤلاء أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة وينتسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج، ولم أقف على نسبهم إليه» صبح الأعشى ٥١/٥.
١١. الإحاطة ١٣/٢.
١٢. راجع ذلك بتفصيل في الإحاطة ١٤/٢، واللمعة البديرية ١١٣.
١٣. الإحاطة ١٤/٢، ونهاية الأندلس، ص ١٣٩.
١٤. راجع بتفصيل نهاية الأندلس ص ١٣٩، وغرناطة في ظل بني الأحمر، ص ٤٥.
١٥. راجع أحداث هذه الثورة بتفصيل في الإحاطة ٦٢/٢، واللمعة البديرية، ص ١٢٠ ونفاضة الجراب ٧١/٣، وتاريخ ابن خلدون ٤٠٥/٧، ونفع الطيب ٨٤/٥، وأزهار الرياض ١٩٤/١، والاستقصاء ٨/٤، ونهاية الأندلس ص ١٤٠، وغرناطة في ظل بني الأحمر ص ٤٦.
١٦. كانت الثورة على الثائر ليلة السابع والعشرين من شعبان ٧٦١هـ، راجع اللمعة البديرية، ص ١٢٨.
١٧. مع شعراء الأندلس والمنتبى، إميلو كرسية كوزم ترجمة الطاهر أحمد مكي ص ١٧٧.
١٨. راجع أزهار الرياض ٢٠١/١، واللمعة البديرية ١١٤ - ١١٥، ومع شعراء الأندلس والمنتبى ص ١٧٧ - ١٧٨.
١٩. الإحاطة ٣٠/٢.
٢٠. مع شعراء الأندلس والمنتبى، ص ١٦٨.
٢١. المرجع نفسه، ص ١٨٠ - ١٨١.
٢٢. نهاية الأندلس، ص ١٤٩.
٢٣. انظر تفاصيل هذه الثورة في نفاضة الجراب ١٦٨/٣، والإحاطة ٦٥/٢، وقد علق عنان في الإحاطة ٦٥/٢، الهامش الثالث أن هذه الثورة كانت سنة ١٣٦٦هـ / ١٣٦٦م، وظني أن تاريخ النفاضة أعلاه، هو الأصح لأنها تؤرخ لأحداث التي وقعت بين سنتي ٧٦٠هـ و ٧٦٤هـ (١٣٥٩م و ١٣٦٢م) ليس غير. كما أن ابن الخطيب لم يشر إلى هذه الثورة في اللمعة البديرية عند الحديث عن إمارة الغني بالله الثانية، والمعلوم أن الفراغ من كتابة اللمعة كان في المحرم سنة ٧٦٥هـ ولعل هذا ما دفع عنان إلى القول بأن الثورة قامت سنة ٧٦٧هـ.



# منشأ الماء وظهوره على الأرض

شاهر جمال آغا  
دمشق - سورية



الأرض كوكب فريد متميز  
بخصائصه الجغرافية، ولا نعرف  
لها مثيلاً إلى الآن في الكون  
المحيط بنا، وهذه الخصوصية هي  
التي سمحت بظهور الماء بكميات  
كبيرة على سطح الأرض وضمن  
غلافها الجغرافي، وسمحت بظهور  
الماء في حالاته الثلاث: السائلة (١)  
والصلبة والغازية وبآن واحد.

اختلف العلماء في تحديد مصدر المياه على الأرض، ويمكن  
أن نحصر الآراء والفرضيات المختلفة بالآتي:

## أولاً: المنشأ الجوي للماء

إن مصدر الماء على الأرض حسب أصحاب هذا الرأي  
تكاثف بخار الماء (٣) الموجود بالجو، ولقد استمد هؤلاء  
نظرتهم من فرضية كانط Kant (٤) حول منشأ الأرض، إذ  
يرى أن الأرض كانت جزءاً من الشمس، وكانت في البدء  
مصهورة ساخنة ملتتهبة، لذا انطلقت منها كميات هائلة من  
الغازات وبخار الماء، وتمركزت هذه في الغلاف الجوي  
الأرضي بالدرجة الأولى، فتكون غلاف جوي سميك وكثيف  
جداً وعالي الحرارة. ولكن مع الزمن تناقصت الطاقة  
الحرارية الأرضية وأخذت الأرض وغلافها الجوي بالتبرد

لقد تباينت التقديرات بخصوص كمية المياه في الغلاف  
المائي الأرضي (الهيدروسفير)، ولكن الفروق بينها ليست  
كبيرة، ومن أكثر التقديرات قبولاً ما جاء به عالم المياه س.ل.  
لفوفيتش (٢) Lvovich:

العنصر المائي	الكمية بالكم ٣	النسبة الحجمية %
المحيط العالمي	١٣٧٠ مليار	٩٤
الماء الباطني	٦٠ مليوناً	٤
الجموديات	٢٤ مليوناً	١٦٥
البحيرات	٢٣٠ ألف	٠,٣٥
التربة	٧٥ ألف	٠,٣٥
الجو	١٤ ألف	٠,٣٥
الأنهار	١٢ ألف	٠,٣٥



د - حسب معطيات المنشأ التكتافى للماء: المحيطات أحدث من القارات عمراً، وهذا الأمر مجال خلاف كبير بين العلماء.  
هـ - الحرارة العالية للأرض وحرارة الجو الكبيرة (٣٠٠ - ٥٠٠) مئوية لا تسمح بالاحتفاظ بغلاف جوي سميك وكثيف جداً، فالغازات سوف تنشط، وستكتسب قدرة حركية كبيرة تمكنها من الهروب إلى الفضاء الخارجي، وهذا ما يتم الآن على ارتفاع (٢٠٠ - ٤٠٠) كم في جو الأرض الحالي.  
ختاماً يجب أن نشير إلى أن مياه التكتاف مهمما كانت كبيرة في مقدارها، وليس باستطاعتها تأمين هذا الكم الهائل من المياه على سطح الأرض.

### ثانياً: المياه المحيطية الكونية المنشأ

يعتمد أصحاب هذه النظرة على بعض الحقائق ومنها:  
١- تلقت الأرض في مراحل تكوينها الأولى «كاثا أرخيا» سيلاً هائلاً من الأجرام الكونية «نيازك، شهاب، كويكبات»، شاركت في تكوين كتلة الأرض.  
٢- جذبت الأرض من الفضاء ومن السحب الدخانية الغبارية المحيطة بها كميات كبيرة من عناصر H والهيدروجين والهيليوم He والنشادر.  
٣- جذبت الأرض كميات عظيمة من الغبار الجليدي من المذنبات بخاصة والأجرام السماوية الأخرى.  
٤- التشابه كبير بين بنية الأرض الكيماوية والشهاب والنيازك، وكمثال أورد ما يلي: - وهي الأهم وسط العناصر المكونة للأرض والنيازك والشهاب ..

العنصر	% النسبة (الأرض)	% النسبة (النيازك عامة)
Fe	٣٦.٩	٣٢
O <sub>2</sub>	٣٠	٣٣
Si	١٥	١٧

٥- وجود الماء المرتبط بالجزيئات الصخرية في كل الصخور الأرضية والنيزكية والكويكبية منذ بدء ظهورها.  
٦- إن السحابة الأولية التي كونت الأجرام السماوية تحتوي على الجليد والماء المرتبط جزيئياً وعلى CH<sub>4</sub> و NH<sub>3</sub> و O<sub>2</sub> و C... إلخ.  
٧- الأرض موجودة حالياً قريباً من بحر الكويكبات

تدريجياً، مما أدى إلى تناقص كمية الأبخرة المتصاعدة من باطن الأرض وإلى تكاثف فعال لبخار الماء الموجود في الجو، وخلال زمن جيولوجي قصير ظهرت المياه في البحار والمحيطات وفوق اليابسة، وبكميات مماثلة للماء الحالي.  
إن ما ذكر آنفاً يعني:

- ١- أن المياه المحيطية قديمة مستحاثه تشكلت كلها تقريباً خلال زمن جيولوجي بسيط.
- ٢- المياه التكتافية عذبة، وليست مالحة، ولقد تملحت لاحقاً نتيجة لحت الصخور وحملها إلى المحيطات والبحار.
- ٣- سبق الغلاف الجوي في نشوئه الغلاف المائي المحيطي، ولكن من الواجب الإشارة إلى ما يلي:  
أ- لم تكن مياه المحيطات عذبة أبداً، بل إنها كانت منذ البدء مياهاً معدنية مملحة، وأيد هذا الواقع الصخور القديمة التي تم

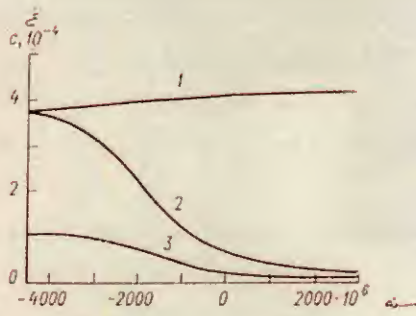


المياه المحيطية متجددة دائماً بالتبخّر

تعرفها في القاعدتين السيبيرية والكندية، إذ إنها صخور تكونت في قيعان المحيطات وحوت أملاحها، ويرجع عهدها إلى ما قبل (٣٢ - ٣٤) مليارات سنة.  
إن الذي تغير مع الزمن التركيب الملحي لماء المحيطات، وتحولت من مياه عالية الحموضة إلى معتدلة ثم إلى قلوية معتدلة، ومن ثم لم تكن عذبة أبداً.

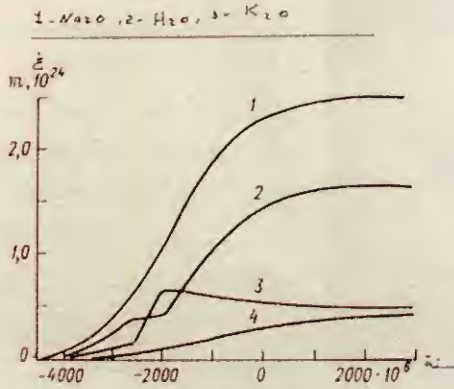
ب - المياه المحيطية ليست مستحاثه (أحفورية)، بل إنها متجددة دائماً بالتبخّر، وبمياه أعماق الأرض، وبعمليات التركيب الضوئي التي تقوم بها النباتات الخضراء (\*).  
ج - الغلاف الجوي لم يسبق الغلاف المائي المحيطي في ظهوره، بل إن الأغلفة الأرضية جميعاً ظهرت في زمن واحد ولكن بفعاليات متباينة.





1- Na<sub>2</sub>O, 2- H<sub>2</sub>O, 3- K<sub>2</sub>O

شكل ١. تبدل درجة تركيز C الماء في طبقة المانتيا والقلوية.



شكل ٢. تزايد وتبدل كتلة الماء m مع الزمن في الغلاف المائي الأرضي والقشرة الأرضية. ١. كمية المياه الإجمالية المحررة من المانتيا. ٢. كمية المياه في الغلاف المائي الأرضي. ٣. كمية المياه المرتبطة في القشرة المحيطية. ٤. كمية المياه المرتبطة في القشرة القارية.

مياه الغلاف المائي الأرضي «الهيدروسفيراً»  
والسؤال الذي لم يجد جواباً: من أين جاءت ٩٠٪ من مياه  
الهيدروسفيراً الحالية؟

### ثالثاً: المنشأ الأرضي «الذاتي» للمياه

يؤمن جل علماء الفلك والفيزياء حالياً بأن الأرض لم تكن  
في يوم من الأيام ملتهبة ولا مصهورة، ويقدر عالم الفلك  
شميث وسواه أن حرارة نواة الأرض في مراحل تكونها  
الأولى لم تزد على «١٢٠٠ - ١٥٠٠» درجة، ويعتقد هذا  
العالم أن الشمس قد جذبت من السحابة الدخانية الغبارية  
الأولية مكونات الأرض وكواكب المجموعة الشمسية، ولم

والشهاب التي تفصل بين مجموعة الكواكب الأرضية  
والكواكب العملاقة.

٨. أظهرت التحاليل المخبرية أن النيازك لا تحتوي على  
عناصر كيميائية مثل: O الأكسجين، و H الهيدروجين، H<sub>2</sub>O  
الماء، وكذلك CH<sub>4</sub>، N، CO<sub>2</sub>، أي شوارد الماء.  
إن ما يقلل من شأن فرضية المنشأ الكوني لمياه الأرض  
يمكن تلخيصه بأمرين (٥):

أ. مع أن الأجرام السماوية والسحب الدخانية الغبارية هي  
التي كونت كتلة الأرض، إلا أن ظروف الأرض الذاتية  
الفيزيائية والكيميائية التي اكتسبتها خلال تطورها وتكاملها  
شكلاً وكتلة هي التي تسببت في تحرر جزيئات بخار الماء  
H<sub>2</sub>O وظهور المحاليل المعدنية الغنية بالمياه (المياه العذراء أو  
الشابة)، ولم تترك من الأجرام السماوية مياهاً سائلة، بل إنها  
بالدرجة الأولى قدمت للأرض المياه المرتبطة بجزيئات  
الصخور، ولم تتحرر هذه بدرجات متباينة، إلا في ظل ظروف  
الأرض الحرارية، وظروف قوى الضغط الأرضي، وعمليات  
الفرز الكيماوي الثقلي وبتأثير الحرارة المتولدة من المواد المشعة  
وتحولاتها.

ب. لقد أعطى العلماء تقديرات متباينة عن كمية النيازك  
والشهاب والكويكبات والغبار الكوني التي اكتسبتها وتكتسبها  
الأرض سنوياً، والأرقام متباينة كثيراً، ولكن يمكن حصرها  
بالاتي:

١- تقديرات متدنية ١٥٠٠ - ٣١٠٠ طن سنوياً.

٢- تقديرات معتدلة ١٠٠٠٠ طن سنوياً.

٣- تقديرات عالية كثيراً ١٠ ملايين طن.

ويرى عدد من العلماء أن كمية المياه الموجودة في الأجرام  
السماوية التي هبطت إلى الأرض لا تزيد على ٥٠٪ من  
وزنها. ولو حسبنا كمية المياه المتشكلة عبر ٤ مليارات سنة،  
وهي الفترة التي اكتسبت فيها الأرض شكلها وكتلتها المميزة،  
لوجدنا، وانطلاقاً من التقديرات السابقة، الأرقام الآتية:

١- التقديرات القليلة، ١٥ سم سماكة الماء فوق سطح  
الأرض.

٢- التقديرات المعتدلة، ٢٥ سم سماكة الماء فوق سطح  
الأرض.

٣- التقديرات العالية، ٢٠ سم سماكة الماء فوق سطح  
الأرض.

علماً أن كمية المياه في التقدير العالي لا تزيد على عشر



في المحيطات والبحار قد بلغ كمّه الأكبر منذ ٦٠٠ مليون سنة، إلا أنه يؤمن بأن مياه المحيطات تتزايد بمقدار ملم في كل ألف سنة، ونجد أرقاماً مقاربة عند العالم كالب Kulp الذي يقدر أن طبقة المانتيا قدمت للأرض خلال الأزمنة الجيولوجية  $(10 \times 34)$  غ منها  $(10 \times 0.9)$  غ في الصخور الرسوبية، وهي مياه مرتبطة جزيئياً بالصخور، ونحو  $(10 \times 0.75)$  غ في الصخور المتحولة والغرانيقية والبازلتية، ومن الأمثلة على ما ذكر أنفاً عملية تحول الصخور القاعدية وفوق القاعدية إلى سير بنتين (٧).

ويجمع العلماء على أن كميات هائلة من المواد الصلبة والسائلة والغازية قد اندفعت من باطن الأرض إلى سطحها وجوها مكونة - وبأن واحد - الأغلفة الجغرافية الصخرية والمائية والجوية ثم الحيوية، وهذا الواقع يتعارض مع ما جاء به العالم (كانط) وسواه القائلون بأن الغلاف الجوي هو الأسبق في الظهور من الغلاف المائي.

#### دلائل داعمة

إضافة إلى ما سبق يمكن التوقف عند دلائل أخرى تدعم مقولة المنشأ الأرضي للمياه:

١- لقد تزايدت كمية مياه الأرض بشدة في المراحل المبكرة لتطور الأرض؛ وذلك بسبب توافر كميات هائلة من الطاقة الحرارية في أثناء هذه المراحل؛ وذلك لتشبع الأرض بالعناصر المشعة المولدة لهذه الطاقة، ويقدر عدد من علماء الجيوفيزياء والجيولوجيا أن كمية المياه المحيطية قد تزايدت في فترة البروتوزيروى Protozeroi فقط؛ وذلك قبل «٢-٣» مليارات سنة قرابة ١٠٠٠م، بينما اكتسبت منذ الأزمنة «الأحقاب» الجيولوجية، أي منذ ٦٠٠ مليون سنة تقريباً نحو ٣٥٠م.

٢- لقد تغيرت درجة تركز الماء في طبقة المانتيا حسب معطيات أو.غ. ساروختين (٨) منذ البروتوزيروى الأعلى وحتى الآن بشكل فعال، (شكل ١)، واستناداً إلى هذا التغير تم تقدير كمية المياه المتحررة من المانتيا؛ وذلك بضرب قيمة التمرکز C بكتلة طبقة المانتيا التي تعادل برأيه  $(10 \times 0.5)$  غ  $^{27}$  غ.

تكن السحابة ملتتهبة عالية الحرارة، أي نواة الأرض الأولى كانت باردة (٦) ومع تطورها عبر ملايين السنين شكلاً وكتلة أخذت الحرارة بالتزايد المتواصل ولكن لم تبلغ في أي فترة من عمرها درجة الانصهار الكامل. أما سبب التزايد الحراري فيرجعه العلماء إلى:

أ- ضغط الكتل الصخرية الأرضية، ويقدر الضغط على عمق ٢٩٠٠ كم أي حتى النواة الخارجية للأرض بـ ٤ رمل. ضغط جوي. وضعف ذلك في النواة الداخلية.

ب- عمليات الفرز المادي الكيماوي الفيزيائي الثقلي التي أطلقت كميات كبيرة من الحرارة (الطاقة).

ج- عمليات الهزم الكيماوي للمواد المشعة كاليورانيوم

والثوريوم... إلخ. ويقدر العلماء أن ما بين ٥٠٪ و ٨٠٪ من طاقة الأرض الحرارية تكونت بالعمليات الأخيرة، ويرى روبي RUBYE أن كمية المواد المشعة في المراحل الأولى لتكون الأرض كانت أكبر مما هي عليه الآن بـ ١٥ مرة - مرات، أي:  $(10 \times 24 \times 223)$  غ  $^{16}$  غ / حريرة «كالوري» وتعادل الآن تقريباً:  $(10 \times 43 \times 5)$  غ  $^{16}$  غ / حريرة.

بل إن هذا العالم يعتقد أن كمية المياه في المراحل الأولى لتكون الأرض «قبل ٣ مليارات سنة» كانت أقل بنحو

١٣٠ مرة عما هي عليه الآن، ويرى أن مصدر المياه طبقة الرداء الأرضي أو ما يعرف باسم Mantle (المعطف) والتي تصل سماكتها إلى ٢٩٠٠ كم تقريباً. بل أنه يقدر أن الرداء الأرضي قدم للغلاف الأرضي الجغرافي قرابة  $(10 \times 34)$  غ خلال الأزمنة الجيولوجية، واحتفظت الأرض ممثلة بالمحيطات والبحار والجو بما مقداره  $(10 \times 14)$  غ  $^{24}$  غ والباقي انطلق إلى الفضاء. أما العالم وير بفولتس فإنه يرى أن الرداء (المانتيا) يحتوي مياهاً سجيئة (مرتبطة بجزيئات الصخر) تعادل  $(10 \times 20)$  غ  $^{24}$  غ وللغلاف المائي والقشرة الأرضية  $(10 \times 215)$  غ  $^{24}$  غ، ويرى كذلك أن المانتيا تقدم ٤ ر. كم من الماء سنوياً لسطح الأرض، وبرأيه أن ٨٠٪ من المياه المرتبطة بالصخر لا تزال مخزونة في المانتيا، ومع أن العالم أ.ب. فينو غرادوف يعتقد أن حجم الماء



السحابة الأولية التي كونت الأجرام السماوية تحتوي على الجليد والماء



واستناداً إلى هذا الواقع وجد بعض العلماء أن كمية المياه التي تحررت من المانتيا خلال أربعة مليارات سنة تقارب  $(3.4 \times 10^{24})$  غ ذهب جزء مهم منها إلى الفضاء، وكانت حصة الغلاف المائي الأرضي  $(2.2 \times 10^{24})$  غ. ٤- درجة انصهار بعض الصخور: تقسم الصخور حسب درجة انصهارها إلى مجموعتين كبيرتين هما (٩): أ- صخور صعبة الانصهار. تكون الجزء الأساسي من صخور المانتيا العليا حالياً، وتتمثل بالدرجة الأولى بصخور الديوريت والدونيت والبيرويدونيت.



مياه الأرض هل خرجت من أعناق البراكين؟

ب- صخور أسهل انصهاراً وهي الأوسع انتشاراً في القشرة الأرضية وتتمثل خاصة بالصخور البازلتية والانكرومايت والغابرو، وتتميز هذه الصخور بغناها بشوارد الماء وحمض الكلور وحمض الآزوت وحمض القثور. إن سيطرة هذه الصخور في القشرة الأرضية سببها سهولة انصهارها وحركيتها الكبيرة التي مكنتها من هجر المانتيا إلى القشرة الأرضية وسطحها.

٥- دور البراكين: يرى بعض العلماء أمثال فينوغرادف أن مياه الأرض خرجت من أعناق البراكين (١٠)، وفي الواقع أن للبخار مكانة كبيرة وسط مقذوفات البراكين وخاصة في البراكين الغازية، إذ تصل نسبة البخار إلى ٨٠-٩٠٪ من مجموع المقذوفات الغازية، وعموماً لا تقل نسبة البخار عن

وبالواقع نرى من الشكل (١) الأمور الآتية: أ- تناقص درجة التمرکز C في فترة البروتوزيوي الممتدة قرابة ملياري سنة بشكل كبير ومتسارع. ب- تباطؤ وتدن في درجة التمرکز في المليار سنة الأخيرة من عمر الأرض. ج- شبه استقرار في التمرکز في العصور الجيولوجية الأخيرة.

د- استمرار التناقص مستقبلاً ولكن بفعالية ضعيفة جداً. في الوقت نفسه أورد هذا العالم شكلاً بيانياً يمثل تبدل كتلة الماء m في الغلاف المائي والقشرة الأرضية عبر ٤ مليارات سنة (شكل ٢) ونجد فيه:

١- تحرر الجزء الأكبر من مياه المانتيا في فترة البروتوزيوي، بسبب الفعالية البنائية Tectonic والحرارية العالية آنذاك. ٢- تباطؤ تحرر مياه المانتيا في الأحقاب الجيولوجية التالية للبروتوزيوي. ٣- استمرار تحرر الماء «تزايد» حالياً وفي المستقبل بوتيرة بسيطة.

يجب أن نشير إلى أن المياه المتحررة من المانتيا؛ لم تساهم كلها في تكوين مياه الغلاف المائي الأرضي\*، وذلك لأن جزءاً من الماء ارتبط بصخور القشرة الأرضية (انظر الشكل ٢)، إذ حوت القشرة المحيطية حسب معطيات هذا العالم ما يعادل  $(1.84 \times 10^{24})$  غ والقارية  $(0.35 \times 10^{24})$  غ. وكان نصيب المحيطات والبحار والجو والمياه العذبة الأرضية  $(1.43 \times 10^{24})$  غ.

٣- لقد تباينت كميات بعض العناصر الكيماوية في كل من القشرتين القاريتين والجو تبايناً كبيراً موازنة بكمياتها في طبقة المانتيا العليا إذ نجد:

أ- تزايد كمية الآزوت N في طبقة الغرانيت (القشرة القارية) ب- ٣٠٠ مرة على ما هي عليه في المانتيا العليا.

ب- كمية الكبريت S أكبر بعشر مرات في الجو والقشرة الأرضية مما هي عليه في المانتيا العليا.

ج- وجود فيض كبير جداً من غاز الأرغون Ar الخامل كيميائياً في الجو والغلاف المائي ونظير البوتاس K40 المشع مصدر غاز الأرغون في الغلاف الأرضي الجغرافي.



٤٠٪، ويرى هذا العالم أن الأرض قد شهدت في مراحل تكونها الأولى عصوراً من الفعاليات البركانية العنيفة، ثم من خلالها دفع كميات كبيرة من الأبخرة المائية، ولكن يرد العلماء على ما جاء به هذا العالم قائلين: لو صهرت الصخور البركانية كاملة لما قدمت أكثر من ٥ - ٧٪ من مجموع المياه الحالية.

٦- المياه المعدنية: هي مياه غنية بالمركبات والشوارد الكيميائية (١١) مثل الكبريت والكلور والصوديوم... إلخ، ومصدرها أعماق الأرض، ولا تزال مناطق معينة من الأرض وقيعان المحيطات والبحار (البحر الأحمر) تدفع بكميات كبيرة من هذه المياه، ولقد كان تدفقها أكبر بكثير قبل مليار أو ملياري سنة. وهذه المياه غنية كذلك بـ  $F, CH_4$ .

Ar, NH<sub>3</sub>, H<sub>2</sub>, NCO<sub>3</sub>... إلخ.

٧- دور عمليات التجوية (Weatherings) (١٢): إن هذه العمليات لا تزال تجري بفعالية مؤدية إلى تفكك الصخور وتفتتها وتحولها، معطية كميات لا بأس بها من الشوارد الكيميائية مثل S, K, Ca, CO<sub>3</sub>, Cl, Na إضافة إلى شوارد الماء.

وهكذا يرى جل العلماء أن مياه الأرض إنما هي مياه أوجدتها ظروف الأرض الباطنية والسطحية الفيزيائية والكيميائية خلال مسيرتها التطورية الطويلة. ختاماً استوقفني كلام رب العالمين: والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها. النازعات: ٣٠-٣٢.

### المراجع والهوامش

١. ميلكوف ف. ن. علم الأرض ١٩٩٠م، موسكو ص ٧٠-٧٥ تتميز الأرض بكثافة (٥٢/٣ سم) هي الأكبر وسط كواكب المجموعة الشمسية وبكتلة متوسطة أكبر من مجموعة الكواكب الأرضية «المريخ، عطارد، الزهرة» وأصغر من مجموعة الكواكب العملاقة (المشتري، زحل، أورانوس، نبتون، بلوتو) ويبعد معياري عن الشمس (١٥٠ مليون كم). لذا فإن سرعة دورانها حول الشمس معيارية ٣٦٥ يوماً وطول اليوم كذلك (٢٤ ساعة)، وبقوة جذب مثالية حافظت على مكونات الأرض من مواد صلبة وسائلة وغازية. وهي الكوكب الوحيد المعروف حالياً باحتوائه على الماء السائل وكميات كبيرة جداً.
٢. لفوفسج س. ل. الماء والحياة ١٩٨٦، موسكو ص ١١٣-١١٥ رطوبة الأرض معيارية إذ إن قرابة ٢٥٠ مليون كم يتبخر سنوياً من المحيطات وسطح الأرض ويهطل أمطاراً أو ثلوجاً تماثل هذا الرقم، لذا تتجدد مياه المحيطات والبحار كل ٣٠٠٠ سنة تقريباً. ويقدر حجمها بـ ٣٧٠ مليار كم منها قرابة ٩٠ مليون كم مياه عذبة، حصة المياه الباطنية منها ٦٠ مليون كم، والجليد القطبي ٢٤ مليون كم.
٣. ميخائيلوف ل. س. الهيدروجيولوجيا ١٩٨٥، لينينغراد، ص ٣٧-٤٢.
٤. غور باجوف م. ١. الجيولوجية الطبيعية، موسكو ١٩٨١، ص ٣١-٣٥.
٥. لا يوافق العلماء حالياً على مقولة كانط بأن الأرض كانت ملتصقة وهي جزء متطاير من الشمس، ويؤكدون أن منشأها من السحابة الكونية الباردة، أو من بقايا نجم انفجر غير بعيد عن الشمس ويرون أن الأرض لم تكن أبداً مصهورة، ولم تزد حرارتها في بدء تكوينها على ٣٠٠ درجة وذلك في مركزها.
٥. رودنيك ف. ١. تاريخ الأرض المبكر ١٩٨٧، موسكو ص ١١-١٥.
- يقسم تاريخ الأرض الجيولوجي إلى ثلاث مراحل: مرحلة ما قبل ظهور الماء والحياة بشكلها البدائي ولقد امتدت هذه المرحلة قرابة ٩٠٠ مليون سنة وكان سطح الأرض ساخناً كثيراً، وكذلك الجو، وسيطرت في الجو الغازات الخفيفة مثل الهيدروجين والهيليوم، ثم مرحلة بناء الأرض وظهور قشرتها القارية والمحيطية وظهور الجبال والحياة العضوية الأولية واستمرت المرحلة قرابة ٣٠٢ مليار سنة، ثم المرحلة الأخيرة المرحلة الحياتية «الأحقاب الجيولوجية» وعمرها أكثر من ٦٠ مليار سنة والأرض تعيش الآن هذه المرحلة وهي المرحلة الأمثل لظهور الكائنات الحية والإنسان بخاصة.
٦. ماردوف م. ١. كواكب المنظومة الشمسية ١٩٨٠، موسكو ص ٥٢-٦٠.
٧. باسوخوف إ. ف. تركيب وتكوين المياه الباطنية ١٩٨٩، لينينغراد ص ٢٤٧-٢٥٣.
- تعد المياه العذبة من أكثر المعادن تنوعاً وتعقيداً، ومن هنا قيمتها الغذائية والحياتية الكبيرة، إذ أنها قد تحتوي على أكثر من ٣٠ نوعاً من الشوارد الكيميائية وتنقسم عادة إلى ثلاث مجموعات أساسية هي: الهيدروكاربوناتية الأفضل للشرب، ثم السولفاتية الكبريتية ثم الكلورية (المياه المملحة)، وكل مجموعة تنقسم إلى مياه كالتسومية Ca وصدويمية Na وماغنية Mg.
٨. جاركوف ف. ن. ١. بنية الأرض الداخلية والكواكب ١٩٨٨، موسكو ص ٦٣-٧٠.
- تسيطر في نواة الأرض المركبات الحديدية والسيليكاتية بينما في الطبقة التي تعلوها المعطف Mantle تسيطر المركبات الصخرية الصلبة جداً والحاوية على مركبات صخرية قلووية وفوق قلووية التفاعل كالبازو والبازلت والبيريديوتيت والايكلوغيت السهلة الانصهار والتي كان لها ولا يزال أهمية كبرى في تكوين القشرة الأرضية ومياه الأرض. أما القشرة الأرضية الخارجية فإنها مجمع لأنواع كثيرة من الصخور والمعادن.
٩. باكوشوف أ. ف. ١. هابن ف. ١. الجيولوجيا العامة ١٩٨٨، موسكو ص ٣٧-٣٧١.
١٠. ماركوف س. م. ١. الجغرافية القديمة ١٩٧٥، ص ١٢٥-١٢٨. لينينغراد.
- لقد بالغ هذا العالم في تقدير دور البراكين في تكوين مياه الأرض عازداً إليها المصدر الأساسي لبخار الماء على سطح الأرض، ولقد نسي أن الانفداعات البركانية في المراحل المبكرة لتكوين الأرض كانت مسكوبية (صبات) Lava ولم تكن غازية؛ لأن حرارة الأرض الباطنية كانت مرتفعة كثيراً في هذه المرحلة مما أدى إلى انصهار كبير للصخور وبخاصة القلووية وفوق القلووية منها وهي الأوسع انتشاراً في القشرة الخارجية والمائتيل.
١١. مجموعة من المؤلفين. الهيدروجيولوجيا ١٩٨٤، لينينغراد ص ٢١٦-٢٢٠.
- المياه المعدنية هي تلك المياه التي لها تركيب كيميائي مميز، ولها صفات فيزيائية خاصة لا توجد في مياه الشرب العادية، إذ نجد أن حرارتها مرتفعة غالباً، كما أنها تحتوي على غازات مثل CO<sub>2</sub>, H<sub>2</sub>S، وشوارد مثل: Fe<sub>2</sub>, Fe<sub>3</sub>, Cl, Na, SO<sub>4</sub> إضافة إلى اليود والبروم والباريوم... إلخ، ولهذه المياه خاصية استشفائية.
١٢. أولريك. التجوية، ١٩٧٩ موسكو ص ٨٦-٩٤.
- ٥ من بين أربعة جزيئات مائية تتعرض للتفكك بواسطة التركيب الضوئي، ثلاثة منها ترتد إلى الغلاف المائي وواحد ينطلق إلى الفضاء، ويقدر أنه خلال ٦٠٠ مليون سنة الأخيرة تم تفكك ٦٠٩ مليار كم من الماء نتيجة لعمليات التركيب الضوئي، وربع هذا المقدار هجر الأرض إلى الفضاء، كما أن مياه المحيطات قد تعرضت لنحو ١٢ دورة تفكك جزئية.
- ٥٥ ترتبط المياه بالصخور إما فيزيائياً تحت تأثير قوى التجاذب المادي كما في المياه الهيدروسكوبية (الرطوبة المجهرية) أو الشرائحية Film المحيطة بقوة بجزيئات الصخر. والارتباط قد يكون كيميائياً أي أن الماء مرتبط جزيئياً H<sub>2</sub>O أو شاردياً H. HO ترتبط بالشبكة البلورية لمختلف المعادن.



# الهاتف النقال

## ومعركة الجيل الثالث

أبو بكر خالد سعدالله  
عناصر القبة . الجزائر



يمكن  
التجول  
بالنقال عبر  
الإنترنت

منذ سنوات كان بعض علماء المستقبليات يتوقعون حدثاً عظيماً يتمثل في اندماج الهاتف النقال مع شبكة الإنترنت والتلفاز والحاسوب. وكانوا يؤكدون أن إنشاء هذه الوحدة المتكاملة ستفي بحاجيات البشرية كافة في مجال الاتصال وجلب المعلومات. نحن الآن قاب قوسين أو أدنى من هذا الحدث العظيم.

لم يتوقف المهندسون والمختصون عن تحسين أداء الهاتف منذ ابتكاره. فقد وضعت خلال الخمسينيات كوابل عبرت المحيط الأطلسي لوصل أوروبا بالقارة الأمريكية، وكانت تلك خطوة معتبرة سجلت في تاريخ الاتصالات. ثم تطور هذا القطاع باكتشاف ما يسمى بالحزم الهيرتزية. وفي عام ١٩٦٢م حدث أول اتصال هاتفى عبر الأقمار الصناعية فتدعم وصل القارتين الأوروبية والأمريكية. وفي الثمانينيات ظهرت الألياف الضوئية OPTIC FIBERS، وحتى هذه الساعة مازالت هذه التقنية (التكنولوجيا) الحديثة تتطور يوماً بعد يوم.

وابتداء من نهاية الثمانينيات ظهر نوع آخر من الاتصال هو الاتصال عبر هاتف السيارة والهاتف النقال. ومنذ ذلك الوقت راح هذا الجهاز ينتشر في مختلف بلدان العالم انتشاراً لا مثيل له. وصار يستخدمه الآن الخاص والعام في الشارع والسيارة والمكتب والقطار والطائرة، بينما كان في بداية عهده حكراً على بعض

الساسة ورجال الأعمال. ماذا كان يقال في مختلف بلدان العالم منذ سنتين بخصوص الهاتف النقال؟ كان يقال: «إنه باهظ الثمن»... «إنه (موضحة) ستزول بمر الأيام كغيرها من الموضات». لكن ماذا نرى اليوم؟ نراهم شيوخاً وشباباً ومراهقين



فيزوره ركناً وقرر إثرها هل سيقضي عطلته في هذا المنزل أم لا. ذلك ما يؤكد أحد مسؤولي شركة «موتورولا» Motorola الأمريكية المتخصصة في الهواتف النقالة. ويضيف المسؤول: أنه سيكون بإمكان الهاتف النقال توجيهك داخل المدن الكبرى، وأنت داخل سيارتك، إلى أقرب موقف سيارات.. كما تستطيع أن تطلب توجيهك إلى أقرب فندق أو مطعم.

سيصبح الهاتف النقال خير جليس ورفيق دائماً: فإن تأجلت مثلاً رحلتك وأنت بالمطار ستستطيع بإشارة واحدة رد هاتفك إلى آلة لعب تقضي بها الوقت الضائع، أو إلى مذياع تلتقط به الأخبار، أو تستمع به إلى أعذب الألحان. وإن كنت من هواة كرة القدم فاطلب منه آخر البرقيات حول هذه الرياضة فتأتيك الواحدة تلو الأخرى، وإن رغبت في المزيد من التفاصيل فسبوجهك الهاتف إلى مصلحة خدمات تزودك في تلك اللحظات بالصورة الحية والتعليقات. وهكذا لن يكون بعد اليوم «وقت ضائع» مع الهاتف النقال.

### الهاتف النقال في المجتمع الياباني

دعنا نضرب مثلاً بما يجري الآن في اليابان لنذكر الشوط الذي قطعه الهاتف النقال في التغلغل داخل المجتمعات وحتى لا نعتقد أن ما سبقت الإشارة إليه من خدمات للهاتف النقال ضرب من الخيال أو أضغاث أحلام. لقد أصبح المواطنون في هذا البلد لا يستغلون الهاتف النقال للمهافة فحسب، بل صاروا يستعملونه لإرسال بريدهم الإلكتروني المكتوب. والأكثر من ذلك أن الهاتف النقال صار يستخدم لتأدية خدمات الإنترنت، فيمكن المواطن من مشاهدة الصورة على شاشة صغيرة والتجول عبر بعض المواقع على شبكة الإنترنت. كم عدد هؤلاء المواطنين اليابانيين الذين يستفيدون من هذه الخدمات؟ لقد تجاوز أربعة ملايين مواطن!

كانت مؤسسة دوكومو Docomo أول من استغل فكرة الإنترنت والبريد الإلكتروني عبر الهاتف النقال ابتداء من فبراير/شباط ١٩٩٩ م. وهكذا فاق نجاح هذه الفكرة جميع التوقعات: في أول فبراير/شباط ٢٠٠٠ م، أي بعد سنة من انطلاق العملية في اليابان، وصل عدد المواطنين المشتركين في هذه الخدمة الحديثة ٣,٧ ملايين شخص، وفي مارس/آذار ٢٠٠٠ م ارتفع هذا الرقم إلى ٤,٨ ملايين مواطن! ويتنافس الآن رجال الصناعة والخدمات المختلفة ليكونوا في

ونساء ورجالاً وأغنياء وفقراء وموظفين لا يتوانون عن استخدام هذه الآلة العجيبة في كل مكان وزمان. والأعجب من ذلك أن نصف الهواتف النقالة ستكون قادرة خلال السنوات الثلاث المقبلة، على النفوذ إلى شبكة الإنترنت. ذلك ما يؤكد أحد كبار مسؤولي مؤسسة «فونكوم» Phone Com. فإلى أين وصل اليوم تطور هذا الجهاز؟ وما مصيره في مجتمعنا؟

### الهاتف النقال يغزو السوق والمجتمع

صار عدد الهواتف النقالة في كل من فنلندا والسويد وإيطاليا يفوق عدد الهواتف التقليدية الثابتة، وارتفعت نسبة امتلاك الهواتف النقالة في الدول الإسكندنافية إلى ٦٠٪ من مجمل المشتركين في الهاتف. على سبيل المثال، كان عدد المتزودين بالهاتف النقال عام ١٩٩٩ م في فرنسا قد بلغ ١١ مليون مواطن.

ومما يدل على سرعة انتشار هذا الجهاز أن مليونين من هؤلاء المواطنين قد تزودوا بالجهاز خلال شهر ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٩ م. ووصل عدد المواطنين الذين اشتروا هذا الجهاز حتى فبراير/شباط ٢٠٠٠ إلى ٢٠ مليون مواطن، أي بزيادة ٩ ملايين جهاز خلال شهرين. وعلى المستوى العالمي، بلغ عدد الهواتف النقالة المباعة ٣٠٠ مليون جهاز، ومن المنتظر أن يرتفع هذا الرقم إلى مليار جهاز عام ٢٠٠٣ م.

والملاحظ أن هذا الجهاز يتطور بسرعة مذهلة، مع أن عمره لا يزيد على السنتين، ولذا نجد بعض المستخدمين قد امتلكوا الآن جهازهم الثالث أو الرابع، والواقع أن الهاتف النقال لم يكتف بدور التخاطب الصوتي فقد أصبح يؤدي أدواراً متعددة.. بل لعل التخاطب لم يعد يمثل دوره الرئيس!! إنه يستغل كل ما تقدمه

الإنترنت من خدمات مثل التسوق الإلكتروني: يمكن مثلاً لصاحب الهاتف أن يقتني عبر جهازه مشتريات وهو جالس في سيارته، فتخصم تكاليف الشراء بصفة تلقائية من اشتراكه الهاتفي. وهناك استخدامات أخرى تنتظر الهاتف النقال قد لا يتصورها الإنسان: تخيل صاحب وكالة عقارية في كوستاريكا بالقارة الأمريكية يعرض أمام عيني زبونه - عبر هاتفه النقال - بأوربا منزلاً



الهاتف  
النتقال يتحسن  
كل يوم شكلاً  
ومضموناً





من المنتظر أن  
يؤدي النقال خدمات  
متعددة تجمع بين  
مهام خمسة أجهزة

عداد قائمة الشركات التي تتعامل معها دوكونمو فيظهرها الهاتف النقال الذي تسوقه هذه الشركة على شاشته. ذلك أن شركة دوكونمو، تختار زبائنها، وتطلب منهم عمولة تقدر بـ ٩٪ من المبيعات عبر الهاتف مقابل ضمان دفع المستحقات للشركات، فتسجل فاتورة البيع في حساب الزبون الذي يدفع مبلغها عند دفع الاشتراك في الهاتف النقال. وهكذا نجد في

هذه القائمة مصارف (بنوكا)، وخطوطاً جوية وباعة تذاكر المسرح، ومكتبات بيع الكتب، وقنوات تلفازية، إلخ.

وبطبيعة الحال، فإن نجاح هذه الفكرة قد أسال لعاب عدد من الشركات الأخرى مثل DDI التي عرضت الخدمات نفسها في أبريل/نيسان عام ١٩٩٩م، وتلتها مؤسسة Tuka التي تستغلها شركة Nissan في نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٩٩م. ومن ثم سارعت ديداي إلى الإعلان عن اندماجها المرتقب مع KDD التي تستغلها Toyota و IDO، لكن تلك الشركات لم تتمكن حتى الآن من منافسة دوكونمو في هذه الخدمات.

ولا شك أن هذه المنافسة الشديدة وهذا السباق العنيف يرجعان إلى العدد الكبير من اليابانيين الذين استخدموا الهاتف النقال، فقد بلغ عددهم الإجمالي ٦٠ مليون مواطن (أي نصف سكان اليابان حالياً).

وتقدر الإحصاءات أن عدد مستخدمي الهاتف النقال في اليابان سيصل عام ٢٠٠٣م إلى ٨٠ مليون شخص.

وتشير الإحصاءات نفسها إلى أن الذين استخدموا هذا الهاتف للدخول إلى الإنترنت بدل استعمال الحاسوب سيبلغ باليابان ٢١ مليون شخص عام ٢٠٠١. وينتظر الملاحظون أن تمتد هذه السوق الجديدة بسرعة فائقة إلى البلدان الآسيوية الأخرى. وقد أدركت ذلك دوكونمو وبدأت تستثمر في شبكات الاتصال الخلوية في هونج كونج وكوريا الشمالية والصين.

### الهاتف النقال... يهدد

هل يمكن أن يهدد الهاتف النقال أسرار الحياة الخاصة؟ ذلك ما يخشاه المستخدمون. اعلم أنه وإن كان هاتفك في حالة توقف فإنه

يمكن أن يستغل من طرف الآخرين. فبإمكان الشركات التي تبيعك الجهاز أن تتطلع على أمور كثيرة، منها:

- الأرقام الهاتفية التي اتصلت بها والأرقام التي تم الاتصال بك منها:

- تاريخ المكالمات.

- مدد المكالمات.

- موقعك وموقع مخاطبك خلال كل مكالمات.

والأدهى من ذلك أن هذه المعلومات تظل في الذاكرة، ويمكن أن تطلب من الشركة حتى بعد انقضاء سنة على تلك المكالمات. وتعد الشركات الموزعة للهواتف النقالة هذه المعلومات ضرورية لدقة الفواتير وإجراءات الاشتراك. لماذا الاحتفاظ بتلك المعلومات مدة سنة كاملة؟ كي تتمكن الشركة من الإجابة عن أي تساؤل أو احتجاج منك يخص اشتراكك في الهاتف الذي اشتريته منها.

وبطبيعة الحال فإن تلك المعلومات على جانب كبير من الأهمية بالنسبة إلى مصالح الأمن إذا ما تعلق الأمر بملاحقة مجرمين أو متابعة محتالين. وقد حدث ذلك فعلاً في عدد من البلدان المتقدمة، فقد سمح الهاتف النقال باللقاء القبيص على متهمين وتعرف مواقع وجودهم بدقة متناهية خاصة في المدن الكبرى، لكن ذلك يتطلب تقنيات عالية وتجهيزات حديثة، هي الآن في طور التحسن.

وهناك مجال آخر يرى فيه بعضهم أن الهاتف النقال قد يتسبب في مخاطر: عندما تمتطي طائرة فإنك تسمع عموماً المضيفة تحذر من استخدام الهاتف النقال على متن الطائرة، وهذا طبقاً لما قرره في السابق اللجنة الأمريكية للاتصالات. وذهبت بعض شركات



السرعة: يمكنك تحميل قطعة موسيقية، من الشبكة بفضل هاتفك، مدتها دقيقة واحدة. لكن عملية التحميل كانت تستغرق ٢٠ دقيقة. أما التحسينات الأخيرة فجعلت هذه المدة تنقص إلى ٣٠ ثانية.. وما زال العمل جارياً لتقليص هذه المدة أكثر.

ومن المظاهر التي تثبت أن الهاتف النقال لم يكشف بعد على كل أسرارها، ظاهرة الاندماج التي حدثت بين عدد من الشركات العالمية المختصة في تصنيع هذا الجهاز بحثاً عن الدخول إلى السوق الجديد بقوة. فبالإضافة إلى الشركات اليابانية التي أشرنا إليها أعلاه يمكن أن نشير إلى اندماج الشركة الأمريكية «إيرتوتش» Airtouch مع البريطانية «فودافون» Vodafone والشركة اليابانية «إن.اي.سي» Nec مع الألمانية «سيمنس» Siemens والشركة الفرنسية «الكاتيل» Alcatel مع الأمريكية موتورولا.

فما يسمى اليوم بالجيل الأول للهاتف هو الهاتف التقليدي، أما الجيل الثاني فهو جيل الهاتف الرقمي Digital، ونحن الآن نعيش مرحلة الجيل الثالث للهاتف الذي يدمج معه خدمات متعددة أخرى. ويرى الملاحظون أن السباق الدائر حالياً على قدم وساق بين الشركات العالمية ضروري لكسب رهان معركة الجيل الثالث لأنظمة الاتصال النقالة Universal Mobile Telecommunications System : UMTS.

ومن المنتظر أن تسمح هذه التحالفات لكبرى الشركات بتقاسم تكاليف الأبحاث الجارية حول تطوير تقنية «تكنولوجيات» تمكن من مضاعفة تدفق المعلومات (من ١٠ إلى ٢٠ مرة).

ومن بين القضايا المطروحة على الجيل الثالث قضية جعل أنظمة الاتصال كافة، التقليدية منها والحديثة، تنسجم فيما بينها. ففي الندوة التي عقدها بالبرازيل الاتحاد العالمي للاتصالات في شهر مارس/آذار عام ١٩٩٩م، تم تأكيد ضرورة توحيد الشبكات الحالية، إذ إن هناك عدة اختلافات في الأنظمة المستخدمة حالياً في أمريكا وأوروبا وآسيا. ويرجع ذلك أساساً إلى عوامل اقتصادية. ومما لا شك فيه أن ظاهرة اندماج الشركات عبر العالم ستسهل هذه المهمة.

### الهاتف النقال ومشروع أكسيجين

عبر مايكل درتوزس Michel Dertouzos، المستشار لدى الحكومة الأمريكية ومدير مخبر علم الحاسوب بمعهد ماساشوساتس التقني M.I.T الأمريكي الشهير، عن استيائه أكثر من مرة بخصوص الإنترنت. فعلى الرغم من أنه بعد الإنترنت ثورة في عالم الاتصال شبيهة بتلك التي أحدثها ابتكار

النقل الجوي إلى سن عقوبات تسلبها على الركاب الذين لم يحترموا هذا القانون. وقد طالعنا الأخبار بسن الخطوط الجوية التشيكية لقانون تعاقب كل من أخل بهذا النظام بدفع مبلغ قدره نحو ٦٠٠ دولار! وسبب المنع هو احتمال تداخل أمواج هذه الاتصالات مع الاتصالات الخاصة بطاقم الطائرة.

والغريب أن صحيفة وول ستريت جورنال Wall Street Journal أكدت مؤخراً أنه «ليس هناك أدنى حجة علمية لهذا المنع»، وحسب صاحب المقال فإن هذا الإجراء يرمي إلى أمرين هما:

- إرغام المسافرين على استخدام هاتف الطائرة (بدل هاتفهم الشخصي) طلباً لمزيد من الكسب المادي.

- المكالمات التي تأتي من السماء تحتكر جزءاً كبيراً من شبكات الاتصال؛ لأن نظامها يقوم بعملية معقدة تتمثل في تحديد موقع الهاتف النقال السريع التحرك، ومن ثم يصعب تحديد المكالمات!!.

### الهاتف النقال يتحسن شكلاً ومضموناً

يتحسن شكل الهاتف النقال يوماً بعد يوم، وهكذا أصبح أكثر جمالاً ومتعة، فقد تفنن المصممون في جعله أكثر جاذبية. وقاموا أيضاً بتخفيف وزنه إذ يصل بعض الهواتف الآن إلى ٩٠ غراماً، وهذا الرقم في تناقص مستمر إذ ينتظر ألا يزيد على ٥٠ غراماً مع تزويد هذا الجهاز بشاشة ٤ سم x ٢,٥ سم. هذا من حيث الشكل، أما من حيث المضمون فحدث ولا حرج. فكما أسلفنا، صار الهاتف النقال أداة يقوم بمهام تكاد لا تحصى: استقبال البريد الإلكتروني وإرساله، والنفاذ إلى شبكة الإنترنت، راديو، مفكرة عناوين، ساعة، إلخ.

ومازالت تعترض الهاتف النقال الموصول بالإنترنت مشكلة



أعداد مستخدمي الهاتف النقال في تزايد مستمر





قد يكون الهاتف النقال سبباً في كشف أسرار الحياة الخاصة

يسهل تغيير وظائفها من لحظة إلى أخرى كما تتلون الحبراء! ويؤكد أصحاب المشروع أن أكسيجين سيكون قادراً على القيام بأبسط المهام وأكثرها تكراراً. فمن الأوامر الصوتية التي يمكن توجيهها إليه: «زد في التدفئة»، «اطبع هذه الوثيقة» «قدم لي قيم أسهمي كل يوم على الساعة الرابعة»، إلخ. وبإمكان النظام الحفاظ على المعلومات الجديدة، إذ يستطيع حفظ محضر اجتماع قدمته السكرتيرة. وعندما تسأله صوتياً: «ماذا تقرر خلال تلك الجلسة بخصوص بناء المدرسة؟» يجيبك مثلاً: «تمت الموافقة على المشروع»، مع إمكان تقديم تفاصيل عن مسوغات القرار. وهكذا يبين أن مشروع أكسيجين يتطلب حاسوبات نقالة، وحاسوبات حائطية، وشبكة ارتباط، وأنظمة فهم الكلام، وأداء التركيب الصوتي، والنفاذ إلى المعلومات، والتعاون المتعدد الاتجاهات. تلك مهام هي الآن قيد البحث والإنجاز.

يقدر الملاحظون أن الهاتف التقليدي الثابت سيزول بعد خمس سنوات تاركاً مكانه للهاتف النقال. وأذاً سننعم جميعاً بخدمات الهاتف الجديد التي لم نكن نحلم بها. ومن جراء هذه الظاهرة، ستعرف مجتمعاتنا، لا محالة، تحولات في علاقاتها وسلوكاتها يصعب رسم ملامحها اليوم.

المذيع في العشرينات من القرن العشرين أو التلفاز خلال الستينيات إلا أنه يعيب على هذه الشبكة الاكتفاء بتقديم القليل من الخدمات موازنة بما يتوافر لديها من إمكانيات.

لقد احتفل مخبر علم الحاسوب بعيد ميلاده الخامس والثلاثين مؤخراً احتفالاً لافتاً للانتباه. وخلال هذه العقود ساهم في الأعمال التي يقوم بها المخبر أكثر من أربعة آلاف باحث انبثق عن إسهاماتهم ١٧ ابتكاراً من أهم الابتكارات التي توصل إليها علم الحاسوب والإنترنت عبر العالم. يقوم مخبر علم الحاسوب هذا - بالتعاون مع مخبر الذكاء الاصطناعي التابع للمعهد - بتطوير مشروع - سمي مشروع أكسيجين Oxygen - منذ مطلع عام ١٩٩٩ م. ويسعى عشرات الباحثين العاملين في إطار هذا المشروع إلى تعويض مختلف أدوات الاتصال بنظام جديد متعدد الخدمات يتكون من عدة عناصر متصلة فيما بينها لاسلكياً.

ويرمي مشروع أكسيجين عموماً إلى جعل جل الأوامر الاعتيادية تنفذ آلياً بالتركيز في استخدام الصوت دون اليد. فالتخاطب الطبيعي يكمن أساساً في التبادل الصوتي اللاسلكي الذي تتدخل فيه بعض الحركات اليدوية والجسمانية وملامح العينين إلخ. لذا ينبغي على التبادل بين الإنسان والآلة أن يأخذ هذه العوامل في الحسبان. تلك هي الفكرة التي بطمح الأستاذ درتوزوس إلى تنفيذها عبر مشروع أكسيجين.

والعنصر الأول المكون نظام أكسيجين يسمى هاندي ٢١ (Handy 21)، وهو جهاز يشبه تماماً الهاتف النقال. يبدو هاندي ٢١ ضرباً من الخيال: كيف يمكن تزويد آلة بخمس وظائف في آن واحد - وهي الهاتف والمذيع والتلفاز وجهاز مراسلة والنفاذ إلى شبكة الإنترنت - وأن تكون هذه الآلة «نقالة» تحمل في اليد أو الجيب؟! يشترك في حل هذه المسألة برنامج آخر في مخبر معهد ماساشوساتس التقني هو مشروع «الموجة الطيفية» Spectrum Wave. ولكي يتم إنجاز مشروع أكسيجين ينبغي حل مسألة أخرى تتمثل في التخلص من التجهيزات الإلكترونية الكبيرة الحجم والوزن والضعيفة المرونة. وهذا يعني ضرورة اكتشاف مواد إلكترونية

### المراجع

- ١- موقع مخبر علم الحاسوب بمعهد ماساشوساتس التقني MIT: <http://www.lcs.mit.edu>
- ٢- سعد الله أ.خ: التجارة الإلكترونية تجاوزت كل التوقعات، مجلة آفاق الإنترنت، الكويت، عدد أكتوبر/ ١٩٩٩م.
- ٣- سعد الله أ.خ: القرصنة على الإنترنت، مجلة آفاق الإنترنت، الكويت، عدد يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٠م.
- 4- Agarwal A.: Une Puce universelle, Pour la Science, October 1999.
- 5- Bordet M. & Stiel N.: Oubliez Le Telephone portable: Voice Le mobile A tout faire, Challenges, February 2000.
- 6- Dertouzos M.: Oxygen, Press Releases, L.C.S., M.I.T., # April 1999.
- 7- Dertouzos M.: What will be: How the new world of information Will change our Lives, Harper Edge, 1997.
- 8- Guttag J.: Les Cameleons de la Communication, Pour La Science, October 1999.
- 9- Le Roch J.C.: Regards sur L'informatique, Ellipses, Paris, 1991.



# استيطان المجرة

خالص جلبي  
بريدة - السعودية

لا يستطيع أحد أن يعلم على وجه الدقة إن كانت البشرية ستتابع حياتها غداً أم تختفي من الوجود؟ فقبل ٦٥ مليون سنة (١) ضرب الأرض مذنب بقطر ١٠ كم وبقوة أشد من قنبلة هيروشيما بخمسة مليارات مرة جلل السماء بدخان مابين غشي الكائنات بموت جماعي، فانقرضت الديناصورات (٢) وكل المخلوقات العليا، تاركاً ندبة على وجه الأرض في أمريكا الوسطى شاهداً حتى اليوم عما يمكن أن تفعله الكوارث الطبيعية، ونجا من هذه المحرقة العظمى الثدييات البسيطة التي جننا نحن من تتابع إنسائها.

Emnid (٤) إحصائية نشرتها مجلة الشبيجل الألمانية في عددها ٥٢ الصادر في ٢٧ فبراير/شباط ١٩٩٩م بسؤال ألف شخص عن أعظم مخاوفهم وأكثر آمالهم في بقية من اثني عشر سؤالاً، فراوحت أجوبتهم بين الفزع الأكبر من حرب نووية ٤٩٪، مروراً بكوارث البيئة ٤٣٪، والاستنساخ الإنساني ٢٨٪، وفيروسات المخاطر ٢٦٪، ونفاذ الطاقة ٧٪، وانتهاء بضرب الأرض بنيزك ٣٪، وكان أقلهم ١٪ من خاف من مهاجمة الأرض بكائنات من خارج الأرض، ولاغربة فهناك جمعيات كاملة تعتقد بما لا يخالطه لبس أن الأطباق الفضائية حقيقة! أما معظم الآمال فراوحت بين السيطرة على السرطان

هذه المخاوف من نهاية العالم ليست جديدة، فكل الأديان تحدثت عن نهاية كئيبة للعالم بانشقاق السماء ونسف الجبال لتصبح كالعنقوش!! حاول فيلم الـ (تيكوس TYCOS) (٣) أن يستحضر طرفاً من احتمال نهاية العالم فيصور الواقعة على صورة عالم حذر الحكومة الأمريكية من اقتراب نيزك مدمر سيعضرب القمر، ومن شظايا الحطام ستغمر الكرة الأرضية بطوفان من رذاذ الصخور تدمر كل شيء، ويترتب عليه ارتفاع منسوب المياه وهلاك الناس بعذاب أليم؛ فلم يعره أحد انتباهاً مما جعله يقدم على خطة ذات مرحلتين: بناء مدينة تحت الأرض كخطة خلاص نهائية لطائفة من الناس يتم انتقاؤهم بشروط معينة، على أن يتم قبل ذلك ضرب النيزك المخترق بصاروخ نووي يحرف مجراه عن الأرض، فإذا نجح ذلك نجوا، وإلا فليس أمامهم إلا الهرب إلى تحت الأرض يعيشون مثل الخلد بعيون من كهراء، ولكن الفيلم ينتهي بإخفاق المرحلة الأولى من الخطة ليرتطم النيزك الشارد بالقمر فينشق مزعاً وتغرق الأرض بحمم من صخور كالقنابل العنقودية، ويهرع الناس يتدافعون إلى هذا الملجأ ولكن لا وُزَّر!!

## مخاوف وآمال

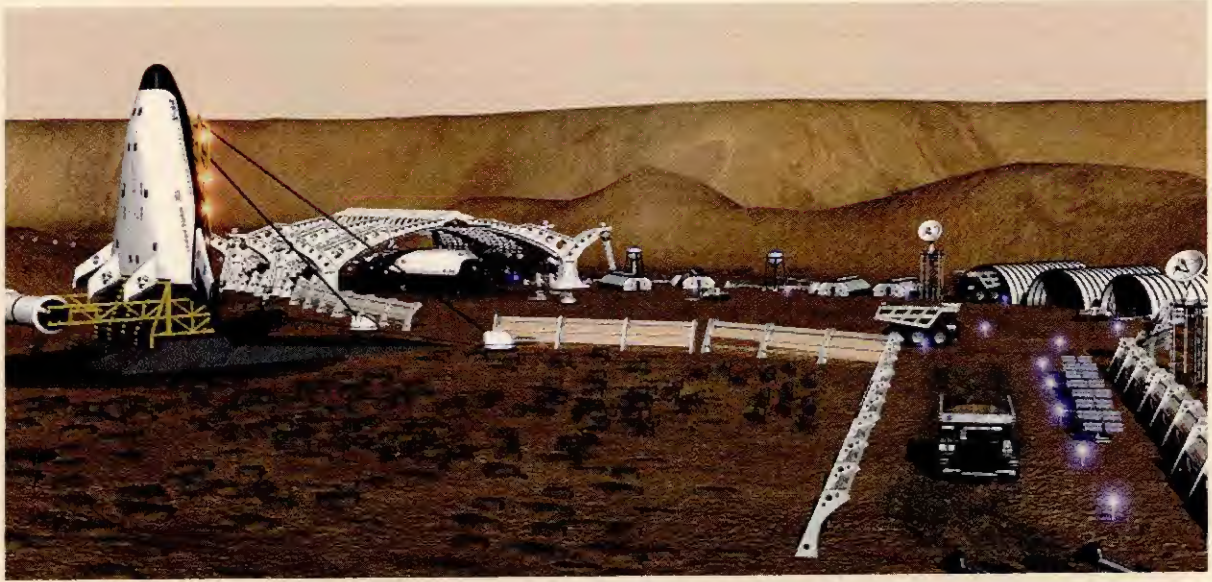
إذا كان مهدنا في الأرض مهدداً بنهاية من نوع ما، سواء بخطط الأرض من نيزك هائم في الملوكوت، أو حماقة بشرية بالتورط في نزاع نووي، أو تخریب البيئة، فهل إلى خروج من سبيل؟

في الواقع إن مخاوفنا كثيرة، فلقد أجرت مؤسسة إيميد

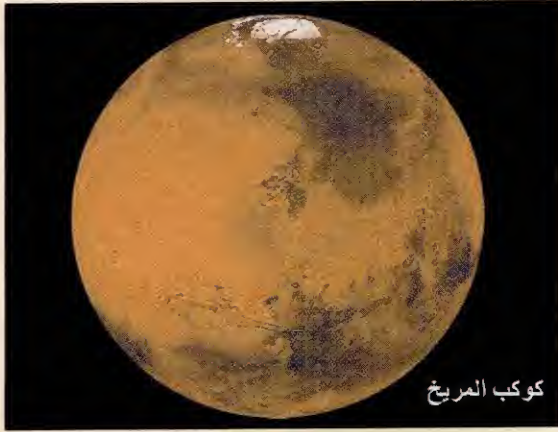


الأرض يتهددها الدمار لأسباب كثيرة منها حماقة الإنسان





في حالة تعرض الأرض للدمار هل يمكن الانتقال إلى كوكب آخر مثل المريخ؟



كوكب المريخ

الانشطارية انطلافاً من معدن اليورانيوم بنوعيه: المخصب النقي (٢٣٥) التي أخذت اسم الرجل الصغير Little man وهي القنبلة التي ألقيت على هيروشيما، أو البلوتونيوم (٢٣٩) التي لقبت بقنبلة الرجل السمين Fat Man بسبب تكورها وانتفاخها والتي كانت من حصّة مدينة ناغازاكي اليابانية؛ أما الجيل الثاني فكان من القنابل الالتحامية الهيدروجينية (٧)؛ وبالنسبة إلى نظام الصواريخ فقد استطاع العلماء الألمان تطوير صواريخ V1 و V2 لضرب مدينة لندن في أواخر الحرب العالمية الثانية، ومن تركيب الرأس النووي على رقبة الصاروخ العابر لم يبق مكان واحد آمن في الكرة الأرضية. واليوم يمكن الوصول إلى أي بقعة في الأرض بزمان قياسي لا يزيد على عشرين دقيقة وبخطأ لا

أكثر من ٨٣٪، وإيجاد السيارات من دون تلوّث ٥٥٪، ومروراً بتطوير أمد الحياة ١٩٪، وحل مشكلة الطاقة بتقنية الاندماج النووي ١٨٪، أو اكتشاف الحياة خارج الأرض ٧٪، وانتهاء بإجازات على سطح القمر ٣٪، أو قيادة سيارات طائرة ١٪!! مع هذا جاء في المخاوف تسمّم الغلاف الجوي ٣٦٪، وحوادث محطات الطاقة النووية ٣٥٪، وموت الغابات ٢٣٪، وانقراض بعض الأنواع ٧٪، وطوفان المعلومات ٥٪، كما راوحت آمال أخرى بين استخدام الطاقة الشمسية كبديل ٣٩٪، وحبوب لتقوية الذاكرة ٨٪، وتحسين النوع البشري بجراحة الجينات ٤٪، وروبوتات للخدمة المنزلية ٣٪، أو التمتع الجنسي بنظارات ثلاثية الأبعاد كما في رؤية سطح المريخ ٢٪!!

#### سياحة فضائية

عندما خُتِمت الحرب العالمية الثانية كان بحث الحلفاء والروس المحموم بين مخلفات الرايخ الألماني المحطم عن المادة الرمادية (أدمغة العلماء) (٥) أكثر من أي غنيمة أخرى، ومن هذه المادة بنى كلاهما ترسانته النووية وصواريخه العابرة للقارات؛ ف (أوتوهان) عالم الفيزياء الألماني كان أول من انشطرت على طاولته الذرة فباحث بأسرارها (٦) وهانس بيته وكارل فون فايتساكر، وكلاهما ألمانين، كانا أول من اكتشف أن الشمس تستخدم وقوداً غير تقليدي فتنتج طاقة خرافية تكاد لا تعرف النفاذ بتقنية الدمج النووي، وتحول الهيدروجين إلى هليوم، ومن أسرار الانشطار والاندماج تم بناء قنابل الجيل الأول



إذا كانت الأرض مهددة بالزوال في كل لحظة فلا بد من خطة نجاة عظمية تكون في حساب من يخططون لقيادة كوكبنا الحالي لمناجاة الحياة. هذه الأفكار كانت تعتلج في صدر رائد الفضاء الألماني أولريش والتر Ulrich Walter الذي جلس يراقب السماء عشرة أيام من ظهر سفينة الفضاء كولومبيا.

يحيط بالجنس البشري خطر محقق، ويهدد مصيره أشكال من المفاجآت، من مذنب شارد يضرب الكرة الأرضية كما حصل مع اختفاء الديناصورات، ويمكن أن يكرر نفسه وعلى صورة أشد هولاً، فلا بد من إيجاد البديل.

هذا التصور لا يتناقض أيضاً مع فكرة المبدأ الإنساني (١٠) الذي يرى الكون مبرمجاً يمضي إلى أجل مسمى، وسوف تتابع

يتجاوز الأمتار كما رأينا في قصف يوغسلافيا في مشكلة كوسوفو مع ربيع عام ١٩٩٩م؟! وتطوف العالم السفلي تحت مدرعة الجليد في القطب الشمالي غواصات نووية من نوع «ترايدنت» الأمريكية و«التايفون» الروسية تتزود بالوقود كل عشرين سنة مرة واحدة، تحمل في بطنها عشرين صاروخاً نووياً في رأس كل صاروخ عشر قنابل نووية من عيار الميجاطن، تمشي إلى هدف محدد، وتستطيع مسح عاصمة عالمية على بعد عشرة آلاف كيلومتر، وهي في حالة جاهزية دائمة يتم تفقد أسلاكها وخرائطها ومواقف حرارتها كل نصف ساعة، كما عرضت ذلك قناة الديسكفري Discovery بالصورة الحية، ولا تطوف على السطح إلا كل ثلاثة أشهر للطعام والماء فقط. ويذكر



محطة الفضاء الدولية (ISS)

صاحب كتاب سجناء العالم الذري (٨) قصة عالم وقع في أسر الروس، كان يقوم بحساباته حول كمية الطاقة المطلوبة لزرحة الأرض من مسارها لنقلها إلى مسار شمس أخرى إذا تعرضت لخطر الإبادة؛ وهذه الفكرة يعمل عليها العلماء اليوم على طريقتين: الانتقال إلى كوكب جديد لاستعمار به بالهيوط على سطحه وإجراء جراحة مناخ عليه مثل المريخ، أو السباحة في قارب فضائي عبر الملكوت إلى نهاية المجرة تنتشر من خلاله الذرية الإنسانية إلى

جزر الكواكب التي لا تنتهي في مجرتنا (طريق الحليب Milky way) وهي التي سماها العرب سابقاً (درب التبانة)، ولم يدر في خلدنا أنها تضم مئة مليار نظام شمسي، كما فعل البولنديون بانتشارهم في جزر المحيط الهادي المترامي الأطراف خلال ٢٤٠٠ سنة (٩)، فالحبحار قديماً فصلت بين الناس إلى درجة أن حضارتي المايا والأزتيك كانتا مجهولتين لنا، ولكن السفن قاربت بين الناس. وما يطمح إليه البحث العلمي اليوم أن يقوم بالإستراتيجية السابقة التي قام بها أجدادنا نفسها بفارق أنها سفن في المحيط الكوني وليس المائي، يتم الوصول إلى شواطئ كواكبها بسفن فضاء عملاقة.

الخليقة مسيرتها مع كل احتمالات الخطر بما فيها حرب كونية ثالثة من حجم نووي تنشب خطأ؛ فالجنس البشري عصي على الفناء، ولكن التفكير اليوم يمضي في اتجاه بناء ما يشبه سفينة نوح، تشق طريقها في عباب السموات العلى للرحيل إلى شاطئ السلامة، سواء في نظامنا الشمسي، أو الانتقال عبر مجرتنا للرسو على أرض جديدة من خلال تقنية معرفة الكواكب وأماكن وجود النظم البيولوجية، أو البقاء على ظهر سفينة من نوع خاص تؤمن لنا حياة مستمرة على الأقل لبضعة ملايين من الناس تتابع رحلة التناسل والحفاظ على النوع الإنساني.



## جراحة مناخية

أول الأبدال المطروحة أمام احتمالات تدمير الكرة الأرضية أو تكاثر الجنس البشري إلى الحد الذي يدفع إلى البحث عن أراضٍ جديدة لجنس ينفجر سكانياً هو العثور على كوكب آخر، ويعد المريخ في الوقت الراهن أقرب كوكب مناسب، ولكن لا بد من تعديل مناخه بجراحة كونية عملاقة على أربع مراحل: لا بد أولاً من ضخ الدفء في مفاصل كوكب المريخ الذي يعيش في ثلاجة حقيقية بدرجة حرارة تصل إلى ٦٣ تحت الصفر، ولتدفئته لا بد من بناء مصانع كيميائية عملاقة تنفث غازات تدفئ الكوكب وتخلق ظاهرة (البيت الزجاجي المعزول) التي تحيط بالكرة الأرضية وتحافظ على حرارة الأرض من تقلب خطير في

الكربون مما يضطر الإنسان فيه إلى حمل قارورة غاز من الأكسجين على الظهر كما يفعل الغطاسون في الأعماق! إذا انقضت مرحلة (التسخين) وتكون (السقف المحفوظ) العازل للمريخ بتغيير نسب الغازات في جوهه، وهي حالياً تضم غاز الأكسجين الضروري للحياة بنسبة ٠.١٣٪ موازنة بالأرض ٢١٪ وغاز الأزوت الخامل ٢٧٪ موازنة بالأرض ٧٨٪ فسوف ترتفع في جو المريخ كثافة غاز الفحم التي هي بالأصل ٩٥٪ وسيرتفع الضغط إلى ٣.٠ بار موازنة بالضغط الحالي ٥.٦ ميلي بار أي ٠.٠٥٦٪ موازنة بالأرض التي يبلغ فيها الضغط ١.٠١٣ ميلي بار، وهذا يعني أن الضغط فيه سيرتفع إلى مقدار ثلث ضغط الأرض إذا أخذنا في الحسبان قطر المريخ الذي يبلغ نحو نصف قطر الأرض ٦٧٨٧ كم موازنة بالأرض ١٢٧٥٦ كم (١١).

بعد هذا تبدأ المرحلة الجديدة من نقل النباتات العملاقة الخضراء التي ستستنشق غاز الفحم بشغف لتشكل اليخضور وضخ الأكسجين في سماء المريخ، كما أن المياه المودعة في خزانات ضخمة، كما يتوقع العلماء، تبدأ في الظهور إلى السطح الأحمر في ينابيع وأنهار وبحار، ومن مزيج المياه والحرارة وغاز الفحم مع النباتات الخضراء يبدأ مناخ لطيف في التشكل التدريجي خلال مئة عام مما يحيل جو (المريخ) إلى ما يشبه المناخ الطبيعي على ظهر كوكب الأرض، وخلال ٥٠٠ سنة يكون البشر



الإنسان يراوده التفكير في البقاء على سفينة من نوع خاص

قد بدؤوا في التوافد للعيش على ظهر كوكب إله الحرب (مارس) كما سماه اليونانيون سابقاً ليحولوه إلى كوكب ينعم بالسلام، ومع نهاية الألفية الثالثة يصبح الكوكب جاهزاً للسكن من ١٠٠ مليون من البشر. مع هذا يبقى السؤال، هل الكوكب ضروري لسكنى الإنسان أم أن بإمكان الجنس البشري أن يعيش في خيمة متنقلة من كوكب متحرك في أجواء الفضاء؟

## فنادق كونية

بعد تجارب المحطة الفضائية (مير) والانطلاق بالمشروع الدولي لبناء المحطة الدولية (ISS) التي دشنت في عام ٢٠٠٠م. هناك فكرة لبناء فنادق كونية خارج الكرة الأرضية تعيش قريباً

درجاتها بين الليل والنهار؛ فالقمر مثلاً لا يصلح للحياة بسبب عدم وجود هذا (السقف المحفوظ)، ووجهها القمر تتأرجح فيهما الحرارة بين ١٥٠ درجة فوق الصفر وتحت بحيث تستحيل فيه الحياة ما لم يجر عليه تعديل جوهري.

ومع المحافظة على درجة الحرارة في كوكب المريخ التي إذا رفعناها تبدأ المدرعة الجليدية من غاز الفحم المتراكمة في قطبيه بالذوبان. وتبدأ المياه المتوافرة والمتجمدة على عمق متر، كما يظن، بالتدفق إلى سطح الكوكب الأحمر بحيث يتحول الكوكب في مدى أربعين سنة إلى جو شبيه بالأرض، يستطيع المرء التنقل فيه بملابس عادية، بفارق أنه جو عابق بغاز ثاني أكسيد



طبقة أوزون تهب الزرقة الجميلة لسمائها، وتحميها من الأشعة الكونية، وغيوم تسحب ذبولها عبر فضاءها بما يذكر بمناخ الأرض تماماً، وتمشي بسرعة عشر الضوء، أي ثلاثين ألف كيلومتر في الثانية! وقد نتعجب من هذه السرعة، ولكن يمكن تحقيقها في فضاء يخلو من أية مقاومة!

هذه السفينة المكثفة ذاتياً سوف تخلق الظروف ليتابع البشر حياتهم ويتكاثروا على النحو الذي يرغبون، وهناك، لحسن الحظ، بين المريخ والمشتري من حزام الكويكبات ما هو أكبر من مساحة الأرض بأربعة آلاف مرة من خيارات حسان تمد هذه الطبيعة البشرية بأسباب الحياة والمعادن والطاقة.

### أفكار مجنونة!!

وإلى هنا لم تنته القصة، فأعظم فصولها هي عند الانفكاك من حزام النظام الشمسي والانطلاق إلى فضاء المجرة الهائل الذي يمتد على قطر مئة ألف سنة ضوئية، ويضم مئة مليار نظام شمسي، ولكن قبل الإقدام على هذه القفزة الخطيرة يكون الجنس البشري قد تدرب بما فيه الكفاية على السفن الكونية مئات السنوات كما فعل غزاة المحيط عندما كسروا وهم محيط الظلمات في العصور الوسطى، فاکتشفوا الأمريكتين وانقلبوا محاور العالم بعدها، وغادرت الحضارة محيط المتوسط إلى الأطلنطي. وما سيحصل هو الشيء نفسه مضاعفاً مع القفزة الهائلة الجديدة إلى عمق المجرة، بالإضافة إلى أن تقنيات معرفة

(الكواكب) تكون قد تطورت إلى الحد الذي يسمح بتعيين الكواكب التي تدب فيها الحياة، أو تجمع الشروط البيولوجية للحياة أو تطوورها، فعلم الكونيات (الكوسمولوجيا) اليوم لم يعد يحرق في النجوم اللامعة المتوهجة زائغ النظرات يتقلب إليه البصر وهو حسير، بل طور تقنيات تستطيع اكتشاف كواكب تعكس الضوء وتدور حولها بتقنية العدسات الكونية والمخططات الكوسمولوجية التي تظهر ذرى (جانبا نجمية) فيما يعرف بمبدأ عدسة الجاذبية Gravitational lens (١٢) واليوم هناك تسابق بين وكالة ناسا الأمريكية للفضاء والوكالة الأوروبية للفضاء المعروفة باسم (إيسا Esa)، فعند عام ٢٠١٠م

من المحطة الفضائية بعد تراكم خبرة الاستقرار الطويل خارج الأرض، ومن المتوقع أن يبدأ أول مشروع من هذا النوع عام ٢٠٦٩م - مع مناسبة مرور مئة عام على النزول على سطح القمر - بتدشين أول جزيرة فضائية متحرك تأخذ اسم «الجزيرة الفضائية الأولى Isle One Habitat» وسيكون شكل هذه الجزيرة مثل إطار السيارة بقطر ١٣٠م. وهي فكرة دأبت خيال المهندس جيرارد أو نيل Gerard O,Neil في السبعينيات من هذا القرن، وسيكون بإمكانها استيعاب عشرة آلاف رائد فضاء وستكون مفتوحة على مساحة كيلين مربعين من السكن، ولكن مشكلتها أنها مربوطة بحبل سري إلى الأرض من تقنية الصيانة والخامات والغذاء.

كذلك صمم المهندس نيل نموذجاً لشكل متطور من الجزيرة الفضائية من الجيل الثاني Isle Two Habitat يكون ذاتياً بحثاً، لا يتطلب الاعتماد على الأرض ومساعدتها، وسيكون بإمكانه أن يضم ١٥٠ ألفاً من الناس، وأما الطاقة فستكون من محطات



غواصة نووية أمريكية من نوع (ترايدنت)

نووية تقوم على توليد الطاقة بطريقة الالتحام النووي، تأخذ حاجتها من الهيدروجين الكوني المتوافر، وأما المعادن فمن شظايا الأحجار الكونية المتوافرة بقطر يصل إلى ١٥٠ كم، لأنها ستبقى في النظام الشمسي فهي ستتحرك بين الزهرة والمريخ، وبهذا تكون الإمكانات قد نضجت بما فيه الكفاية للانطلاق بمشروع (الهابيتات ٣) Isle Three Habitat أو ما يطلق عليها (السفينة الكونية) يكون على ظهرها عشرة ملايين إنسان في أسطوانة عملاقة تعيش بسهولة لمئات السنين وباستقلال كامل، وسيكون قطر هذه الأسطوانة ٦٤ كم وطولها ٣٢ كم بمساحة للحياة تصل إلى ١٣٠٠ كم مربع، وبمناخ صناعي يشبه مناخ الأرض بما فيها





الرجل الصغير.. القنبلة التي ألقيت على هيروشيما

لاستيطان جزر المحيط قفزة كل خمسة أجيال في مدى قرنين؛ فإذا طبقنا هذه الحركة (الدينامية) في الهجرة كان معناه أن انطلاق البشر عبر الملكوت سيتم بخطوات شبيهة بعمل البولينييزيين الرائد، بمعدل قفزة كل ٢٠٠ سنة كل خمسة أجيال، بعد التكيف مع الكوكب الجديد الواقع في مرمى عشرين سنة ضوئية، تستعمره وتسكن فيه طلائع من البشرية فترة ألفين من السنين، لتبدأ الموجة اللاحقة بعد ٢٢٠٠ من السنين؛ فإذا علمنا أن قطر المجرة مئة ألف سنة ضوئية كان معناه استعمار المجرة كافة في عشرة ملايين من السنين، قبل الانطلاق إلى مجرة أخرى مثل الأندروميدا التي قطرها ١٥٠ سنة ضوئية، التي هي أكبر وأرحب من مجرتنا درب التبانة، وفترة عشرة ملايين من السنين ليست بشيء في تاريخ الأرض، إذا علمنا أن الحياة أصبح لها على وجه الأرض ٣٨٠٠ مليون سنة!!.

سترسل وكالة إيسا الأوروبية خمسة تلسكوبات تعتمد الأشعة تحت الحمراء، بحيث تشكل باجتماعها حلقة تحديد كونية بقطر مئة متر، هي أقوى من تلسكوب هابل الحالي بألف مرة تستطيع تأمل الكون بنظارة بُعد ترى حتى خمسين سنة ضوئية؟ ومع واحد من عشرة من سرعة الضوء فإن السفن الكونية العملاقة ستمشي على نظام خاص من اختراق المجرة من التسارع والكبح (الفرملة) بحيث تخترق كل ٢٠٠ سنة مجال ٢٠ سنة ضوئية من الفضاء الممتد، أي ما يعادل عمر خمسة أجيال من البشر، إذا جعلنا عمر الجيل في المتوسط أربعين سنة.

وحسب المعلومات الكونية (الكوسمولوجية) المتوافرة، فإن شروط الحياة توجد على ظهر كواكب تبعد في المتوسط نحو ١٤ سنة ضوئية، وأما الكواكب التي تشبه أمنا الأرض فهي توجد كل ٣٢ سنة ضوئية، وهذا يعني أن البشرية أمامها إستراتيجية ذكية لاختراق المجرات.

هذه الأفكار تشبه الجنون، ولكن رحلة البحارة البولينييزيين كانت أجراً من هذا، فبالسفر على ظهر سفن واهية مفتوحة قام البولينييزيون جيلاً من بعد جيل بتحدي المحيط الهادي المترامي بدءاً من عام ١٥٠٠ قبل الميلاد وحتى عام ٩٠٠ بعده، في موجة بشرية تعقبها أخرى، لاستيطان المنطقة الوسطى والشرقية من الجزر المتناثرة من جزر المحيط بأشد من نجوم السماء في المجرة، انطلاقاً من أرخبيل بيسمارك وجزر فيجي تونجا وساموا، ومن اللافت للنظر أنه خلال ألفين وخمسمئة عام كان معدل اختراقهم للجزر المحيط هي مئة كيلو متر كل أربعين سنة، وكانت موجات التتابع

#### المراجع والهوامش

١. مجلة دير شبيجل الألمانية Der Spiegel عدد ١٥٢، ١٩٩٩، صفحة ١٦٨ بحث سقيفة إلى العالم الجديد Arche Zur Neuen Welt.
٢. عاشت الديناصورات قبل ١٥٠ مليون سنة واختفت بالكامل قبل ٦٥ مليون سنة ولم يكن لنا أن نتصور وجودها لولا كمية الحفريات التي كشفت النقاب عن حقيقتها التي بدأت في كندا، ومنها في العام الغابت اكتشاف مقابر جديدة في الصين، مما يشير إلى وجودها في كل العالم القديم، وهناك بعض الأقلام التي تحاول تصوير الإنسان معها وهذا خطأ علمي فلم يوجد الإنسان قط مع الديناصورات، وحاول فيلم جوراسيك بارك تقديم فكرة عن تداخل جراحة الجينات مع الاستنساخ في بحث هذه الأوباد إلى الحياة من نوع الخيال العلمي وانتهى الفيلم إلى كارثة.
٣. فيلم Tycos أخرجه هوليود وتم عرضه في جملة أفلام الشوتايم في ديسمبر / كانون الأول ١٩٩٩.
٤. عدد الشبيجل السابق نفسه في مقالة أخرى عن البكتيريا القاتلة، انظر الإحصائيات المرسومة ص ١٦٤.
٥. جاء هذا في مذكرات الفيزيائي فيرنر هايزنبرغ في كتاب «الجزء والكل، حوارات في الفيزياء النووية» ويذكر كيف كان شعوره عندما سقط أسير حرب بيد الأمريكيين.
٦. يراجع في هذا مجلة P.M.P الألمانية عدد الذرة Atom حيث عرض بتفصيل شائق رائع كل ماله علاقة بأبحاث الذرة الحديثة.
٧. التقابل الانتقاري وهي الجيل الأول تقوم على شطر ذرة اليورانيوم إما ٢٣٥ وإما ٢٣٩ بليوتونيوم وهما غير مستقرتين، أما التقابل الهيدروجينية الجبل الثاني من التقابل النووية فهي أشد هولاً حيث تنقل حرارة الشمس إلى ظهر الأرض بملايين الدرجات فتقوم على اندماج ذرات الهيدروجين كما يحدث في باطن الشمس وتحوّلها إلى ذرات هليوم.
٨. تأليف أرفين أوبنهايمر وهو غير أوبنهايمر الرأس العلمي لمشروع لوس الأوس في أميركا لإنتاج قنبلة هيروشيما وناغازاكي، ويذكر صاحب الكتاب أن التقابل التي أنقذت على المدن اليابانية صناعة ألمانية توصل إليها هتلر تحت برنامج السري في أيام الحرب الأخيرة؟!
٩. يراجع في هذا قصة جزيرة (إستر) عن الحضارات المتعطلة للمؤرخ البريطاني توينبي، كتاب مختصر دراسة التاريخ الجزء الأول ص ١٣٧ و ص ٣٧٥.
١٠. تراجع فكرة المبدأ الإنساني من كتاب «العلم في منظوره الجديد» تأليف روبرت أغروس سلسلة عالم المعرفة ترجمة كمال الخلافي في فصل التعريفات الأول.
١١. هذه المعلومات الكونية مستقاة من مقالة دير الشبيجل حول نزول البانتايندر على سطح المريخ العدد ١٢٧، ١٩٩٧، ص ١٢٢ عن مقالة فتح الطريق إلى العالم الجديد.
١٢. يتم النقاط الأشعة الكونية اليوم بموجب قانون عدسة الجاذبية Gravitationline الصادرة من النجوم وترسم مخططات بذلك فإذا مر الضوء القادم من نجم بجسم سماوي تحدثت الأشعة وزاد توهجها مما يعطي مخططاً ذا ذروة في أحد طرفيها قفزة ذات ذروة عالية إشارة إلى مرور الأشعة بجانب كوكب يحيط بالنجم، كما يمكن رصد ظاهرة الكوكب من خلال قانون آخر هو ترنج النجم، فكل نجم له حركة رقص خاصة به تقود إلى وجود كواكب حوله وحجمها. وراجع مجلة الشبيجل الألمانية عدد ٩٩/٣.



# نزوة

يحيى الأمير

الرياض - السعودية



لا يسلمُ الشرفُ البغيضُ من الغرامِ  
حتي يراقَ على جوانبه المدامِ  
لا تسلمُ الجمَلُ الصغارُ من الأذى  
إلا فضضتُ لها البكارة والسلامِ  
هذا فراق قصائدي

وبكاء هذا القيد فوق سواعدي  
أما السفينة.. فالغروب ضجيعها  
أما الغلام.. فكان يركضُ في دم الوجع المفقى كلَّ ليله  
أما الجدار.. فكان لا يفضي إلى شيء.. ولم يتكلم (١)  
يا دار عيلة لعنة تسبيك من لغتي وتعلن مأتمي  
يحتاج ذو القرنين (٢) .. قرناً ثالثاً حتى ينام  
حتى أبي..  
يحتاج شيئاً ثالثاً كي لا ينام

\*\*\*

- ولقد مررتُ على ركام طفولتي  
إذ كنتُ أجهلُ بالعيون وبالفنادق  
لم أستعص بالحرف عن شيء  
ولا ضاجعتُ أئداء البنادق  
وأنا بهذا الصبح مخذول.. منافق  
(ياجارة الوادي طربت) (٣) .. وعادني وهجُ الخنادق  
أحياناً.. وهذا الحرف منصوب.. وهذا الحرف مجزوم  
وهذا الحرف مهزوم.. وهذا الحرف مخنوق  
وهذا الحرف خائق  
ما بين أغنييتي وتاريخي تطالعني المشانق  
من يشتري وجهي.. وأوراق، وأشياء؟  
فبين الحرف والتاريخ  
مطلوق..  
وطالق.

الهوامش

١. مأخوذ من قصيدة لعنترة بن شداد يقول فيها:  
يا دار عيلة بالجواد تكلمي  
وعمي صباحاً دار عيلة واسلمي
٢. المقصود هو الأسكندر الكبير المعروف بذي القرنين.
٣. مقتبس من بيت مشهور لأحمد شوقي من قصيدة قالها في بلدة «زحلة» اللبنانية:  
يا جارة الوادي طربت وعادني  
ما يشبه الأحلام من ذكراك

[الفصل]

أثرت أن ألغي عناويني  
وأبني بالحقيقة  
وأنظف الطرقات من شعري.. وأرهن خالتي  
وأبيع سبحة والدي  
سأيرت هذا الحرف حتى غار في لحمي  
ودنسني بريقه  
من ذا يجلل أحرفي بعيونه  
أو من يبادلني الهراء  
من يكشف الحجر المخبأ في مسام طفولتي  
أعطيه شيئاً من وقار فحولني  
وأمس لحيتي  
وأسقي البحر ريقه

\*\*\*

ما عاد لي إلا ترائيل وأشعار وشهوه  
ودمي أنا.. تبغ. وأشياء.. وقهوة..  
يسود هذا الحرف حتى لا أراه  
ويلطخ الأوراق بالشبق الذي قيل.. اعتراه:



# أغنية الشاعر الأخيرة

عزالدين سليمان سليمان  
الرياض - السعودية

لا تقتلوني.. ألف أغنية ستصرخ: لن أموتَ  
وكلُّ طفلٍ سوف يقرأ آيةَ الدمع الحزينةَ  
في كتابي  
وتُغيّر الأنهار مجراها وتمشي في ركابي  
لا تقتلوني.. الذروة الحمقاء تحني رأسها  
لأبن الغراب  
النبع يبقى النبع لو قصوا أصابعه الطرية  
أو علّقوا في صدره العُشبيّ أو سمة الجفافِ  
وكلّ ما أهدى اليباب إلى اليباب  
والريح تبقى الريح لو سرقوا السياطَ  
وصوتها الجبليّ  
واعتقلوا الجهات، وسوروها بالضباب  
والمستحيل يظلّ مرّ الطعم  
فاشرب أيّها المدفون في ظليّ  
وغصّ بما تبقى من شرابي  
لا تقتلوني لن أموتَ  
الشمس تخرج من إهابي.



كفّه

فوزية العلوي  
القصرين - تونس



مأ لي وقد مدّ البياض أكفّه  
لا يستجيب الحرف لي  
مأ لي، إذا حسن الورق  
وغفا على بابي الشفق  
لا أحترق  
مأ لي إذا هيات ناري للمساء  
وبعثت ودي للأرق  
تنسى الحروف مدارها  
تنسى الكواكب  
ضوءها ومسارها  
ويفر من شعري الألق.



# أين الوطن العربي...؟

إبراهيم السامرائي  
عمان - الأردن

لك العُتْبَى إذا صرَّحتِ حتى  
أراك بما وجعت من العُتَابِ  
فما أنا بالملوم على سَخِيٍّ  
من الأدب الرفيع أو اللَّبَّابِ  
وما أنا بالذي نازعت نفساً  
بما قد سوَّلت لي من طِلَابِ  
وجدت الخطبَ أعظم ما أعاني  
قليلٌ ناصري غُثِّ (١) صحابي  
فأين أخي وقد عَصَفَتْ شَمَالُ  
وأين... وقد خلوت إلى اضطرابي  
وأنت وقد زهيت ببعض رفقه  
كُفَيْتَ به، فما لك من عَذَابِ  
وما أمري كما مرَّك في زمانٍ  
به أشقى، ودأبك غير دابي (٢)  
ولست أصيبُ منك شِفَاءَ خطبٍ  
خبطت به ويوهنتني اغترابي  
شَغِلْنَا بالهُرَاءِ عن اللَّبَابِ  
وهِمْنَا بالخَوَاءِ عن الصَّوَابِ  
وشَمَّرْنَا إلى دنيا تَعَرَّتْ  
بسوأَتِهَا فجَلْنَا في تَبَابِ (٣)  
وإني إن سَعَيْتُ إلى غِيَابِي  
إلى اليَمَنِ المرزَأَ بالخَرَابِ  
فمَثَلِي كُلُّ مَجْدُولٍ أَبِي  
أصمُّ (٤) الأنفِ من عَرَبِ غِيَابِ  
جلا عن موطنٍ ومشى لأخرى  
من الأرضين في الربعِ اليَسَابِ

بين يدي هذه الأبيات، إلى أخي القارئ العربي!  
أقول: إنني لأسأَلُ: أين هذا «الوطن العربي» الذي يشقى  
فيه أهله ودعك عما جلت فيه من أمر هؤلاء المغتربين الذين  
سعوا هنا وهناك فلم يجدوا في هذه الديار الفسيحة مكاناً  
يأوون فيه إلى ركن أمين.  
ولا تحسبني - أخي القارئ الكريم - أعني بلداً وأخصه بما  
كان من خطاب وعتاب، بل كنت أجد أي بلد في هذا الوطن  
العربي يشقى فيه أهله ومن حمل عليهم فهل لي أن أعود  
لقول شاعر قديم:

عرب رأيت أصحَّ «ميثاق» لهم  
ألا يصحَّ لديهم ميثاق

وكان هذا الشاعر لم يقطن إلى أن سيكون لنا نحن  
«الأعراب» «ميثاق للجامعة العربية». ثم أقول:

أتسأل من أكون وما انتسابي؟  
عراقي أفدتك في جوابي  
وإني منك من عَرَبٍ قد عني  
وما أنا بالمنافق والمحابي  
وإني منك في وطن أراني  
به لصقاً ويسألني ما بي  
حُمِلَتْ عليك يحزبني اضطراب  
فلم أَلِفَ الذي لك من رحابي  
وجئت ورحت أغمرز أي بُعد  
فضيقت وقد برمت من اقترابي  
فلا وأبيك لم أقصد عتابي  
ولم أجِد البليغ من الخطاب  
وجئتُك أبتغي في بعض علم  
حمى لم أعد عنه لأي باب



ومحترِبون قد سلكوا مَسَارًا  
وقد ركبوا أهاضيَبَ العقابِ  
فهل لي من لدنكَ جميلٌ عُدْرٍ  
يهونُ به اليسيرُ من الصَّعابِ  
أخي يا صاحبي «جاري» التمسْ لي  
يسيرَ الحقِّ تلقُ به ثوابي  
لحرمةٍ جِيرتِي وخلاك ذمٍّ  
تَفِيءُ به لخيرٍ مستطابِ  
ويوجعُ أن أراك تنالُ مني  
وتمعنُ في الجزاءِ وفي العقابِ  
كأنك قد نكرتَ جميلَ صنعي  
ورحتَ أهُمَّ لم أدنِ ارتيابي  
أعني أن أراك وصلتَ حَبْلًا  
جفاه الأقربونَ إلى الحِرابِ  
لقد عَقَدُوا علينا أيَّ أمرٍ  
مَشَوْا فيما يُسامُ إلى اكتسابِ  
وقد زادوا وقوداً أيَّ نارٍ  
صَلَبُناها وجالوا باحتِرابِ  
فأنت أخي إذا حاولتَ وفراً  
سَعيتَ ورحتَ ترفلُ في جنابي  
فإن نلتَ التي قد جئتَ تسعى  
إليها رحتَ تنأى في انسحابِ

\*\*\*

قصدتُ إليك يحزِني زمانٌ  
فغِبتَ وأنت تُسرِعُ في الغيابِ  
وما كنتَ العَجولَ إلى الحسابِ  
وكنْتَ طويلاً من زمنِ كتابي  
فلي سعةٌ فلا يحزبكُ خطبي  
هُدِيتَ وقد برئتَ من الكِذابِ  
هتفتُ أنا العِراقيُّ المَعْنَى  
أنتَ غيرُ مختَلَفٍ ثيابي

وما أنا ذاك ممَّن نيلَ منهم  
يُروا وهم بأجـلِّ الذنابِ  
وهل لي أن أرى ذاك المُرجى  
وقد عانيتُ أيامَ اغترابي  
وإن كنتُ الأخيذَ ببعضِ قيدٍ  
فقد أشجى ويحضرني احتسابي  
ولكني أخوك أخو صفاءٍ  
تسامى في الإخاءِ وفي الركابِ  
ولم يكُ من تلونَ في وجوهٍ  
ولا الساعى إلى ظفرِ ونابِ  
فأين أخي وقد عصفتُ شمالٌ  
وأين... وقد خلوتُ إلى اضطرابي

\*\*\*

أخي، بل صاحبي لم تدرِ أني  
أخو حَزَمٍ مشيتُ إلى الصَّعابِ  
تَمَطَّى في مسيري صلبُ عزمٍ  
وغادرني متى ولَّى شِبابي  
فيا ويحي! وقد صَفِرتُ وطابي  
وصوَحَ ناضري وذوى إهابي  
سَعيتُ إليك في وطنِ فسيحٍ  
فضاق وكيفَ أظفرُ بالإيابِ  
نأتُ داري وجفَّ بنا زَمَانٌ  
وغادرنا المَلِيءَ من السحابِ  
ولا أدري متى ينجِبُ ليلٌ  
عن السهلِ المُنَوَّرِ والهَضابِ؟  
فألفيه وقد مدَّتْ عليه  
سنا أوضاحها خُضرُ الروابي

الهوامش

١. غُلف: جمع أغلف وهو الأصم عن سماع الحق. أي أن عليها غشاء عن سماع الحق.
٢. دابي: دأبي وحذفت الهمزة للتخفيف.
٣. تباب: هلاك، النقص، الخسار.
٤. أصم: تنزل رجل أصم أي لا يطمع فيه. والأصم من الحيات ما لا يقبل الرقبة كأنه قد صم عن سماعها.



# إعصار خاكرة

فاطمة بلقوضيل

بومرداس - الجزائر

آخر، وإذا اضطرتت إلي ذلك ستقدم استقالتك!! تستطيع الوزارة - تقول بغضب - أن تبعثني في مهمة إلى سيبيريا.. إلى التبت أو حتى إلى القطب الشمالي. أما أن أعود إلى باريس فلا... لا... لا أول أمس أفزعك صوت المضيفة: بعد قليل ستحط الطائرة على أرضية مطار شارل ديغول.. انتفضت كالذئور.. «شارل ديغول».. تتذكر ملامحه.. عينيه الحادتين، وأنفه الطويل... قال لك عمك ذات شتاء: إن جنرالات شارل ديغول هم الذين أقاموا محتشدات الموت عند مدخل قريتك.. بعد الاستقلال شاهده في شريط وثائقي عن حرب التحرير.. سمعته يتحدث عن فرنسا.. عن علماء فرنسا.. عن حضارة فرنسا.. سمعته يقول بحدة: إن الذين أرادوا محاربة فرنسا في الجزائر ليسوا إلا إرهابيين.. خارجين عن القانون.. هؤلاء لم يفهموا رسالة فولتير ومونتيسكو الحضارية!! أحسست بإعصار خرافي يجتاح جمجمتك، وكانت قنابل النابالم تتساقط فوق رأسك، و«هنري» الجلال يصرخ في وجهك: «أيها الكلب.. يا ابن الكلب.. أين أبوك ورفاقه؟ ألا تدلنا على مخبأ الجردان أيتها الجثة النتنة؟! صرخت بعنف: أيها القتلة.. أيها الأذال.. أيها... أسرعت إليك المضيفة، وبلهجة باريسية سألتك هل أنت بحاجة إلى مهدئات مثلاً...؟ تفرست في ملامحها بامتعاض وقلت: - لست مجنوناً سيدتي.. ومهدئاتكم لن تستطيع تعطيل ذاكرتي.. جرائمكم لا تنسى.. لا تنسى سيدتي...

ماذا تقول؟ يبدو أنك صحت للتو من كابوس يا سيدي؟ - كلا سأدخل في تفاصيل الكابوس بعد قليل، أقصد سأصل إلى باريس بعد قليل...! تنصرف المضيفة بهدوء وفي عينيهما الزرقاوين الغائرتين ألف علامة استفهام. صحيح أنك معجب بديكارت وروسو معجب بلامارتين ولافونتين... و... لكن فرنسا في الذاكرة هي الكولونيل بيجار... هي لاكوست... هي موريس، وكل الجنرالات الذين بنوا مراكز التعذيب في بلادك... فرنسا هي الجوع... الجهل... البؤس... الموت... هي كل المأساة التي عرفها شعبك... مأس عمرها مئة واثنان وثلاثون عاماً. ها أنت الآن في الشانزليزيه... الشوارع واسعة ونظيفة...

ذات غروب، حين ودعت شمس بلادك الدافئة تملكك شعور رهيب، تسألت بمرارة: كيف أستطيع أن أقضي أسبوعاً في سويسرا وآخر في فرنسا.. أنا الذي قررت أكثر من مرة أن أقدم استقالتني بسبب هذه الأسفار التي لا تنتهي؟! ما كنت تعود إلي أرض الوطن إلا لتحمل حقيبة أخرى، ملفاً آخر.. ودليلاً آخر لمدينة أخرى.. كنت تعود إلى أرض الوطن لتملأ القلب بحنان الأحبة ثم تتأهب لصقيع الغربية.. جنيف كانت بداية التعب، وها أنت الآن في باريس.. لم تشعر بالدفء منذ وصولك إلى هذه المدينة.. شمس باريس قطعة جليد صفراء.

والصقيع يسكن غرفتك وقلبك منذ دهور.. ينتابك شعور بالغثيان وأنت تحديق في «برج إيفل».. رائحة الصدا تنبعث من مكان ما.. صدا.. صقيع.. غثيان.. يبدو أن «سارتر» كتب الغثيان تحت تأثير هذا الشعور الذي انتابه حين حاصرته غابة الإسمنت هذه.. لكن النقاد وهم دائماً كالجلادين يستنطقون العمل الأدبي قسراً وعنوة ليقول أشياء أخرى - قالوا: إنه كتاب في الفلسفة الوجودية يتناول فكرة ميتافيزيقية: الإنسان في مواجهة العدم.. أنت تعرف أيضاً أن بعض النقاد سيحاولون إثبات عبقريتهم في التأويل التي تتحول في كثير من الأحيان إلى حماقة.. سيقولون: إن يومياتك التي كتبتها في باريس تدخل في إطار أدب ما بعد الحداثة، وإن المعنى الضمني للنص لا يمكن الكشف عنه إلا عن طريق تطبيقات القراءة المتعددة المستويات وقد تصبح كتابات أمبرتو إيكو مرجعية مهمة لإضاءة النص.. سيفكك هؤلاء النقاد نصوصك على طريقة دريدا.. سيقولون مع رولان بارت: إن كلمات مثل «الصقيع»، «الصدا»، و«الغثيان» تختزل دلالات لا نهائية.. سيقولون: إن في النص الأول مثلاً، شعوراً عميقاً بالاغتراب.. هناك جدلية الضحية والجلاد، جدلية الغموض والوضوح... و...، سيخضعون نصوصك لقراءات غامضة مراوغة تفقده هويته.. قراءات تجعلك تشك في كونك صاحب النص.. لا هم لهؤلاء الحمقى إلا حشو دراساتهم بمصطلحات غامضة لإخفاء عجزهم.. لا يهكم ما سيقوله هؤلاء.. المهم أن تكتب. ستبدأ بالقول إنك تكره هذه المدينة، وإنك لا تستطيع أن تمكث بها يوماً



باريس... يا شوارع باريس النظيفة... يا حدائق باريس! يا بهاء باريس؟ تتمم بصمت حزين... كم هو موجه أن أتذكر أوغادك يا باريس كم هو موجه أن تدخل مدينة تعرف مسبقاً أن أزقتها جسور إلى دهاليز الشجن في أعماقك!!

قال لك أحد الأصدقاء في رسالته الأخيرة: إن كل شيء جميل في باريس، وها أنت ترى القبح والبشاعة ينهمران من سماء باريس... من شرفات باريس... من عيون الجميلات في باريس... من... من عبثاً تحاول أن تنصهر في ذلك الإيقاع الباريسي لتقوم بمهمتك.. بكاء الطفل الجائع في أعماقك يحول دون ذلك... إنني حزين لأنني هنا... هكذا تقول عينك... أه أيتها الذاكرة... أنت الجلال الوحيد الذي يستنطقنا دون أن يلجأ إلى التعذيب.. يكفي أن ترى الترف هنا لتتذكر سنوات البؤس هناك.. يكفي أن ترى

الدخان المتصاعد من المداخل لتشاهد قرينك وهي تحترق وأهلك يركضون حفاة عراة في كل اتجاه.. وتندلع الحرائق في أعماقك.. ترسل فاكساً إلى صديقك تخبره فيه أنك عائد إلى الوطن، وأن بهاء باريس الذي وصفه لك في الرسالة لا يفتأ يذكرك بالأراضي المحروقة في بلادك أيام الثورة...



وأنت لن تسمح لهذه المدينة أن تجلدك أكثر مما فعلت... تذهب إلى الفندق... في الطابق الرابع تجد نفسك أمام إحدى العائلات:

- أهلاً سيدي ستشعر بالراحة حين تدخل غرفتك.. ستستمتع بعطر كريستيان ديور تأكد سيدي أنه سيعطيك نفساً جديداً.

- شكراً على الترحيب سيدي، لكن تأكدي أنني لا أستطيع أن أتخلص من رائحة المزيل التي تركتها في قريتي، من نواح الشجر المقطوع في غابتنا المجاورة... من رائحة خبز الشعير المبلل بالدمع، من صراخ الطفل الحافي في أعماقي... لأنني ببساطة لا أستطيع التخلص من ذاكرتي... للأسف سيدي... إن كريستيان في ذاكرتي جنرال آخر... جلال آخر...

رائحة الشواء تنبعث من المطاعم الفاخرة... لكن رائحة كريهة تنبعث من الرصيف المقابل... كلا... كلا تتذكر هذه الرائحة جيداً... إنها رائحة قادمة من وراء البحر... إنها رائحة المزيل التي كنت وأهلك تسكنون بجانبها وتقاتلون منها... كان مسيو ألبير عميد البلدية يرمي النفايات في تلك المزيل يوم الأحد مساءً، وبعد الغروب كنتم تتسابقون إليها أنت ورفاقك وبعض الكلاب الجائعة... كنتم صغاراً وكان الجوع مارداً جباراً! أحد المارة يمد لك يده مصافحاً بارتباك تخرج يدك اليمنى من جيبك.. تحدد في وجهه مشدوها محاولاً أن تتذكره.

- ألا تقف احتراماً لنا بليون؟

تبتسم وتدعوه إلى الجلوس، لكنه يرفض بلطف وتهذيب لم تعهدهما في المجانين الذين صادفتهم.

- شكراً سيدي... نابليون لا يجلس في المقاهي... يودعك ويمضي... ليل باريس المتألي يحاصر كل الضوء ينهمر من كل مكان... من الشرفات من الكنائس... من المحلات الفاخرة... من المقابر... من... من... وداخلك ليل حالك... ليل كليلالي الشتاء القطبي قادم من أقاصي الروح... ليل قريتك السرمدي المسكون

بالجوع، والرعب، والحزن، والصقيع والصراخ المنبعث من مراكز التعذيب المجاورة... تكتم صرخة خرساء وتغمض عينيك... تريد أن تهرب من ليل باريس... تطاردك ملامح نابليون الذي تواري في الزحام منذ قليل... ملامح تذكرك بصديقك المجنون... بعينه اللتين تفيضان حزناً وحيرة... وتتذكر ذلك المساء الخريفي يوم أن أعاد إلى القرية بثياب رثة وعلى جسده النحيل المنهك آثار جروح غائرة كان هنري الجلال يطفئ فيها سجنائه.. سمعت أن السلطات الفرنسية أفرجت عنه بعد أن أصيب بالمجنون، ولم تعد هناك جدوى من تعذيبه أكثر... وفجأة تشعر بالظلمة والوحشة تلفان المكان... وهذه زخات المطر في ليل باريس تصير وحلاً بداخلك. والآن هل بمقدورك أن تمنحني لحظة صفاء يا أضواء



# فصص ففصرة جفا..

## فهد العتيق

الرياض . السعودية

كبير.. في نفق مظلم طويل: لقد مضيت وصوتك يجلجل في أوقاتنا.. أنت تركض بدلاً من الجميع.. وتخاف بدلاً من الجميع.. تبحث والناس خلفك نيام.

(٤) رؤية..

يرى الأشياء البعيدة،  
البعيدة، والمخياء هناك،

يراه قيل أن تعلن عن نفسها، وقيل أن يشم رائحتها كل سكان الحارة، وهم نائمون، أو على وشك اليقظة.  
لكنه لم ير شيئاً مثل هذا من قبل، لم ير من بعيد، حارة جديدة، تركض إليهم هكذا، بشوارع فسيحة، وبيوت كبيرة، لها أسوار عالية وملونة.

قال لهم: رأيته، من البعد، قادمة تركض إلينا، بأستان كبيرة مديبة.

لكنهم لم يستمعوا له، حتى باغتنهم خلسة، وهم نيام، في سطوح منازلهم المترية.  
(٥) رحيل..

تمضي بعيداً تبحث عنه، ويمضي في اتجاه آخر يبحث عنك، كنتما تمشيان في طريقين مختلفين، حتى التقيتما في شارعكم الأول، ذلك الشارع الذي أفلتت منه طائرتم الصغيرة الأولى، عندما حلقت بعيداً، ولم تعد حتى الآن، مضيتما بعيداً، تبحثان بعضكما عن بعض وعن الأصدقاء وعن أنفسكم.

هل تغيرتم كثيراً لكي تبحثوا عن الأطفال القدماء في داخلكم، أم إن الذي تغير شيئاً سواكم.

وأنتم تمدون أصابعكم أسئلة.. ثم تشكلون وقتاً يليق بأحزانكم.

(٦) نسيان..

ذات مساء، تركت رأسي بكل أسئلته الضالة عند باب البيت لا أعرفه وخرجت، كنت أشعر أنني خفيف إلى درجة الطيران.

وفي البيت شعرت أن الكلام يهرب مني، فكلما أنطق كلمة تخرج معكوسة، أو تطير في الهواء بلا صوت، أحسست أن أعضاء جسدي تتساقط الواحد بعد الآخر في معركة يبدو أنها محسومة، وحين قررت الهرب والنوم، صحت فجأة.

كنت أحاول أن أترجم تلك الكلمات التي خرجت معكوسة حين قفز السؤال مثل عمود النار: هل أنا الذي كنت نائماً؟.. أم إن الذي كان يقظاً أحد سواي؟.

(١) مواجهة

كنت أغني في الظلام، دون بهجة، ومصحوباً بخوف شفيف، لم أكن أستطيع التخلص من تلك الحالة الموسيقية، لذلك قلت لها أريد أن أحبك هكذا بكل بساطة، بكلمات لم تقل حتى الآن، وبنار لم تشتعل حتى الآن، وبرسالة لم تصل من أحد.. ثم إنني غنيت بكلمات غامضة.

الظلام يلف الغرفة، لا يهم إذا كان الظلام ظلامي أو ظلام الأغنية أو ظلام الخوف القديم الذي يربض في صدري. لكن الحجرة، هكذا بلا مقدمات، سقطت بجدرانها الورقية على كلمات الأغنية، في مشهد سينمائي مؤثر، وأنا استسلمت لنومة أبدية، موت مبكر.. محروماً من كل ذكرياتي، ومنذ ذلك الوقت تركت عادة الغناء في الظلام.

قررت الإفصاح عن مشاعري دائماً في الهواء الطلق، أمام الناس، حتى لا أموت مرة أخرى ميتة مجانية، بلا جماهير، فلماذا أحبس أنفاسي وخوفي في صدري، وأنا أشعر أن الكرة الأرضية، بقضها وقضيضها، تسكن في صدري.

(٢) رحلة..

تستلقي وحيداً..

هناك.. حيث لا أحد.

تريح جسك المتعب وذهنك المتعب.

تريح كل شيء بالكامل.

تغمض عينيك بهدوء ثم تطرد كل شيء من رأسك..

تغمض عينيك وتنزل هناك بعيداً..

تتطامن وأنت تمضي هناك في منطقة جديدة..

ثم تدرج أمامك سؤال خفيفاً:

من أنا.. ماذا أريد؟

(٣) نفق

باتجاه ضوء صغير تسير في النفق المظلم، رأيته تدخله وأنت نائم، قبل عدة أعوام أو أيام، وما زلت هنا تسير، وكان الطريق مثل إغفاء طويلة، تنهض منها قبل أن تصحو، تخرج من وقتك وتدخل النفق باتجاه فجوة في جدار، وكنت قبل أن تدخل تحمل على شفتيك طعم موسيقى حالمة يقول بعض ألقائها: نريد أن تركض طويلاً خلف تلك الأضواء البعيدة.. نحيا هناك معاً أو ننام إلى الأبد.

أيها الصديق الذي يمشي بنصف حلم ونصف يقين وخوف





# شهيدة الحب والوفاء

فوتيان لين

ترجمة: محمد رمضان علي  
الإسكندرية . مصر

عواطفهما جيداً. ليس في الموقف الذي أشهده الآن شيء يزعجني.

ومع ذلك فقد وجدت عيني تدمعان فجأة. وعندما تهاديت في التأمل والتفكير أسفت لأنني كنت في الماضي أغار من هوي.

ماذا أقول عن عقود الزواج التي تبرم في غياب أصحاب الشأن؟ سيدتان تسترقان النظر كل منهما إلى الأخرى. وتشمخ كل منهما بانبعاج بطنها. فتتفقان على تزويج الجنينين كل منهما للآخر في الوقت المناسب. ويجاريهما

القدر في ذلك، فيكون أحد الجنينين ذكراً والآخر أنثى، وهكذا تتم الخطبة بينهما، وهما مازالا جنينين في رحم أميها. ثم تتم الولادة، ويكبر الطفلان. ولكن متى يفهمان حقيقة الرابطة التي بينهما؟ ومتى يحسان بالحب؟ طلبت من ليومرة أن يحدثني عن هذه الأشياء فأبى، ثم

سألته "هل قابلتها مرة؟ فقال: نعم.

هذا يكفي. ولم أسأل عن شيء آخر.

كانت هناك قصة حب لا شك في ذلك. وكانت هوي تتردد على بيت تشانغ كثيراً «أين أنت يا هوي؟ لماذا لم تحضري يوم الأحد الماضي؟ أكلنا دجاجة في الغداء وكنت أحب أن تكوني معنا» هذه الكلمات كتبها تشانغ في إحدى رسائله إليها.

واضح أن الحبيب كان في غاية الوفاق في هذه الفترة.

انتزعت صورة «هوي» من مقتنياتي القديمة، وأخذت أحرق فيها قبل أن أقدمها إليها. كانت صاحبة الصورة تنظر إلي نظرة وديعة، رقيقة، حانية. وكانت ناضرة كزهرة الربيع، وجميلة كالقمر في فصل الخريف.

حدثت في الصور مرة أخرى، فلاحظت كأن فيها قد انفرج قليلاً، وكادت تقول الكلمات البليغة المعبرة نفسها التي كتبتها على ظهرها «إلى تشانغ... مع حيي كله».

هذه الصورة كانت مهداة إلى رجل اسمه تشانغ، وهو جالس الآن أمامي وعيناه مغرورتان بالدمع.

ولماذا تدمع عيناها؟ لعله الشعور بالذنب أو الأسف أو الندم أو الأسى... لا أدري. ولعله مازال يفكر فيها حتى الآن.. كل هذا لا يهم البتة، ولكن من الواضح أنهما كانا حبيبين. أما الآن فإن تشانغ هذا هو زوجي أنا.

وأنا لا أدعوه هكذا. إنها الفتاة

الأخرى التي تدعوه تشانغ. أما أنا فأدعوه غالباً باسمه الأول فأقول «ليو»، وكثيراً ما تكون دعوتي إياه مقرونة بدعوة أخرى، فأقول: «ليو... لقد أعددت المائدة».

ماذا ينبغي أن أقول الآن؟ وماذا أصنع؟ هل أختفي في حجرة أخرى، وأدع ليو وهوي وحدهما، فلعلهما يريدان أن يتناقشا في أمر يهمهما وحدهما؟ أبدا.. لا داعي لذلك على الإطلاق. إن كل ما يحتاجان إليه أن ينظر كل منهما إلى الآخر، وفوق ذلك فلأنني أديبة، ففي استطاعتي أن أفهم





ولكن لماذا افترقا بعد ذلك؟

هل هو الذي خانها أم هي التي خانته؟

روى لي ليون هذه القصة في المرحلة الأولى من حبنا. جمال هذه الفترة المبكرة ونقاؤها يدعوها الحبيبين إلى الاعتراف بالماضي دون حرج.

جاءت الخاتمة في بداية «الثورة الثقافية» اقتحمت الشرطة منزلهم، وقبضوا على أبيه، وصادروا ممتلكاتهم، واضطرت أمه إلى العيش في شقة متواضعة، ثم مات أبوه في المعتقل، فكتب تشانغ رسالة إلى هوي طلب منها قطع العلاقة التي كانت بينهما، فقد كان يشك في أن والده من رجال النظام السياسي القديم، وكان يخشى على أسرته أن تضار بسبب ماضي أبيه السياسي.

كانت رواية تشانغ مركزة وواضحة، ولم أجد في نفسي حاجة إلى التعمق أكثر من هذا، ثم قدم إلي صورة هوي فوجدتها جميلة ووديمة، وأنا من عشاق الجمال، فلففتها بعناية في ورق شفاف ثم أودعتها في مقتنياتي الخاصة.

أما قصة حبي فقد كانت قصة عادية جداً. عرفت «تشانغ» أو قل «ليو» وتفاهما، وجلسنا تحت شجرة

المشمش، ثم تزوجنا، ثم أنجبت طفلاً جميلاً، ولكن حياتنا الزوجية لم تخل من مشاحنات ومتاعب.

أعترف بأنني أحبه وأجد الدفء والراحة والأمان بين ذراعيه القويتين، ولكنني أحاول أن أحرر من سطوته ووطغيانه.

كانت الحياة صعبة بالنسبة إلينا، وكثيراً ما يفقد ليو أعصابه ويصيح «أنا سيد الأسرة وأنا رب البيت!»

«وهذا حق؛ إنه يحمل إلينا الماء والفحم. إنه يحبني ويدلكني ويحنو علي، ولكنه يؤذيني أحياناً. إنه يسكن أعماق قلبي، ولكنه مصدر آلامي وجراحي. أما هوي فقد اختفت من حياتنا تماماً.

في أوائل صيف عام ١٩٨٤م عندما عدت من جبال وان دانج بدا ليو كأنهما جاثماً على قلبه، وكأنه يريد أن أساعده على البوح به. لقد التقى بهوي بعد فراق عشرين عاماً كاملاً. وكان اللقاء عاطفياً. جلست هوي على حافة الأريكة تتكلم وكانت جميلة جداً.. وكانت وديعة جداً... وكانت... وكانت... وكانت... هكذا كان ليو يصفها لأخته وهو يروي القصة.

نعم فترة الفراق تجاوزت عشرين عاماً، ولكن الوقت لا يؤثر في الحب القديم إذا كان خالصاً وعميقاً وصادقاً.

ارتبطت هوي بتشانغ قبل أن تولد، وتم الفراق لأسباب غامضة لا دخل لهما فيه، ولم يحدث أن تناقشا في هذا الموضوع بحرية ويبسط كل واحد منهما وجهة نظره للآخر.

بعد أن تسلمت هوي رسالة تشانغ الذي طلب فيها أن تقطع علاقتها به، وافقت على الزواج من ابن عم لها في لحظة غضب، وكانت سعيدة بذلك. ومن حسن الحظ أن من الممكن أن يسعد الإنسان بالسير في الطريق الآخر إذا وجد من يأخذ بيده فيه. هكذا تزوجت هوي، وأنجبت ثلاثة أولاد. ولكن زوجها أصيب بالسرطان ومات في ريعان

شبابه، وترك الفتاة الرقيقة الجميلة الصغيرة وحدها تقوم بعبء التنشئة والرعاية. ولم يكن أمامها إلا أن تنزل إلى سوق العمل فكافحت باستماتة وإصرار. وكم كان شاقاً عليها أن تترك أولادها الصغار وحدهم في حجرتها الصغيرة لتقوم بالعمل في وردية الليل. وكم كان شاقاً ومؤلماً أن تتحمل الشائعات والظنون التي انطلقت حولها من الجيران والأصدقاء ولكن هذه الحياة الصعبة زادت صلابتها.

كان تشينغ يستمع إلى قصة هوي كاسف البال، حزناً، ولعله كان يلوم نفسه؛ لأنه هو الذي قطع علاقته بها، وتسبب في كل هذه المتاعب، بصرف النظر عن الأسباب التي دفعته إلى ذلك. وكانت عيناه تدمعان. لم أره في مثل هذا





هل الحائط سعيد بما آلت إليه الأمور؟ هل الغيرة تملأ نفسه أم الألم والشفقة؟ ما عسى أن يكون بداخل هذا الرجل، فجعله عزيزاً مترفعاً؟ هل أتجاهل هذه المعاني وأدعها تمر؟ ما عسى أن يحدث لأسرتي؟ هل كلمة الأسرة شيء مقدس عنده أم قابلة للانهيار؟ هل أغلق باب بيتي في وجه هوي أم أرحب بها عند زيارتها؟ هوي لا أدري ما يمكنني أن أفعل لكي أخفف من على كاهلك الأحزان!

قد يكون الإنسان في بعض الأحيان مفتاحاً لشخصية إنسان آخر، وقد يكون بمنزلة مشكلة إنسان آخر.

وأنا لا هذا ولا ذاك. كل ما بقي لدي أن ألوذ بالصمت، وأدوب في وجدكما، وأكون أكثر رقة وعطفاً وشفقة على لوي.

هوي لم تتزوج مرة أخرى بعد موت زوجها. هل أترك لها بيتي وأشجعها على الزواج من لوي؟ من السهل علي أن أجدر رجلاً آخر، ولكن هل من الممكن له أن ينسى الأعوام العشرين التي قضيتها معه؟ وهل ينسى طفليه؟ مستحيل. كفتا الميزان ليستا متوازنتين.

في الكفة الأولى آمال خابت. مجرد أحلام وأوهام ورؤى لم تتحقق. وفي الكفة الثانية الحقيقة مهما كانت مرة أو كالحة. فهي الواقع الذي لا يعبأ بأوهام الأيفاع. من المسؤول عن هذا الوضع الخاطئ؟ لا أحد.

ولكن إذا وضعتها كلها معاً، ونظرت إليها في وقت واحد قلت: إنها أخطاء الجميع، إنها الأقدار. كان أمام واحد منهما مجموعة من المواقف والارتباطات متشابكة ومتناقضة فتصرف كما ينبغي أو كما لا ينبغي. أية. أيها الحب الخالص النقي الطاهر العميق. سنظل نناديك ونلتاع لفراقك، ونأسو من أجلك.. مدى الحياة.

الموقف من قبل أبداً، ولم أكن أعرف تشينغ أو لوي عاطفياً إلى هذا الحد.

إنني متعاطفة معه في موقفه من هذه المرأة، وأحس بأنه يعرف أنني معه، وأحس أيضاً بأنه يحبني ويثق بي، ولهذا لم يحاول أن يخفي حقيقة مشاعره.

هذه اللآلئ التي تسيل من مدامعه ما أكرمها، وما أنبلها، وما أعزها لولا أنها انسابت من أجل امرأة أخرى غيري!. ولم أحظ منه بمثل هذا الموقف النبيل الكريم الشجاع طوال الفترة التي قضيتها معه.

ما زالت هوي تحب زوجي حباً صادقاً عميقاً نقياً عيناها. صوته، أصابعها، كيانها كله تروي قصة هذا الحب بصدق وطلاقة. هذا الحب الذي توجه اليأس فصار رمزاً للخلود. كانت هوي تعبر عنه بوضوح؛ لأن حب المرأة أكثر صدقاً وإخلاصاً وتفانياً من حب الرجل!!

قلت لهوي ما قاله تشينغ لي منذ ثلاثة أعوام عن حبهما، وقلت لها: إن قطرات الدمع التي سالت من عينيه أو اللؤلؤ الحر من حقها هي وحدها، ولا تخص أحداً سواها. ومضيت في مصارحتها فقلت لها إنني آسفة لأنني عهدت لوي رجلاً قوياً صلباً جباراً، ولم تدمع عيناه دمعة واحدة من أجلي أبداً.

رفعت عينيها وقالت لي:

تيان لين. كم كان جميلاً منك أن تحتفظي بصورتي حتى الآن.

تيان لين. أرجو أن تكتبي عن قصة حبنا يوماً ما. (وهي باستخدامها الضمير «نا» إنما تعبر عن نفسها ولوي معاً وكأنه جزء منها).

تيان لين. أنتما تكونان أسرة موفقة سعيدة، ولن أحاول أبداً أن أغتال هذه السعادة أو أحطمها يوماً ما. جاء دوري الآن لأن أنكلم وأقول شيئاً ما. ولكن من أنا؟ أنا مجرد حائط يفصل بين حبيبين قديمين هل الموقف القائم الآن من صنع الحائط؟





# مدرسة المستقبل

علي عبداللطيف خطيب  
إدلب - سورية

تحديات كثيرة تلك التي تواجه الإنسان العربي الذي يعيش عصر الاكتشافات العجيبة والتطورات النوعية التي أخذت تظهر على شكل انفجارات معرفية، تتشظى متناثرة في مختلف الاتجاهات، مكونة دافعاً للبحث عن الحلول المناسبة، بحيث ينطلق المستقبل من رحم الحاضر، فالعلمانية والتقنيات (إنترنت - المفكرة الإلكترونية - الكمبيوتر الشخصي - التلفاز - الهاتف... إلخ) تشكل حالة دخول حقيقي في صراع مع الواقع المتخلف، ومع الذات المقهورة، التي تنوء بحمل مشاعر التخلف والقهر والعجز عن الفعل.

وعلى الرغم من أن قدرة الكتاب الإلكتروني على منافسة الكتب الورقية مازالت ضعيفة حالياً، لكن التطور السريع، والتحسينات التي يمكن إدخالها عليه خلال العقد المقبل، قد تجعل منه منافساً جديداً للكتاب الورقي، ومن ثم سيؤدي إلى التطور الواقعي للمدرسة التي ستتجاوز التقانة بمعلوماتها أسوارها، لتمتد جسور التواصل الفعال بينها وبين البيت عبر الشبكات الحاسوبية التي تتسم بطابع شمولي، وتسجل حضورها في مناحي الحياة المختلفة مما يدفع بالفعاليات لتطوير النظام التربوي والإدارة المدرسية وتحديثهما، ويعود السؤال الملح يطرح نفسه علينا معشر المربين: ما العمل؟ ما الكيفية التي يجب أن تكون عليها تجربتنا في بناء الإنسان من خلال مدارسنا في المستقبل المنظور أو غير المنظور؟

ويبقى السؤال المطروح يتعينا، لأن الجهود تبذل، والتجارب التطويرية تتواصل، والحلول النظرية تملأ صفحات الكتب، ومستوى التعليم في تدرج مستمر، والصيحات التربوية عبر المؤتمرات التي تعني بالمشكلة غدت مزعجة لا شيء إلا لأنها أخذت تكتفي بطلب الحلول المؤقتة والسريعة التي باتت تخديرية. كل ذلك يدفعنا إلى البحث عن حل واقعي يجعلنا ننطلق من مقعد الدرس في القرية البعيدة بكل ما فيها من فعاليات، إلى التنظير التربوي في أعلى مستوياته. لتكون بذلك المدرسة مركز إشعاع رياضي تربوي وتنموي في البيئة. وإذا كان بحث هذه القضية الشاملة يتجاوز إمكاناتنا فإننا سنقوم من خلال هذه الدراسة بتسليط بقعة ضوء قد تكبر أو

ويتوقع أن تصبح الشبكة الإلكترونية جزءاً أساسياً من أي منزل، وسوف ترتبط الأجهزة كافة بعضها ببعض، سلكياً أو لا سلكياً في معظم الأحيان، وسوف تحل الشاشة المسطحة الكبيرة مكان الشاشات التقليدية الحالية، وعندما يغادر المنزل منسحب معنا (الحاسب المفكرة) لإنجاز بعض الأعمال والاتصال بالإنترنت، وحاسب البيت أيضاً، وسيبرز الكتاب الإلكتروني الذي يشبه الكتاب العادي لكنه يتضمن شاشة عرض بدلاً من الورق، بحيث يمكننا وصل ذلك الكتاب بالحاسوب وشحنه بكتاب أو مجموعة كتب عن طريق مواقع متخصصة في شبكة الإنترنت، ويمكننا بعد ذلك اصطحابه معنا أينما شئنا.



هل يتوارى الكتاب الورقي أمام الكتاب الإلكتروني؟





استخدام الحاسوب من أبجديات مدرسة المستقبل

فضلاً عن الحاجة الملحة إلى رفع مستوى الثقافة والتعليم في المدارس لمواجهة حالة تفجر المعرفة الإنسانية واتساع آفاقها. كل ذلك يدعو معشر المهتمين بالتربية وبناء جوهر الإنسان الداخلي إلى الأخذ بفكرة إطالة العام الدراسي، لأن ما درجت عليه المدارس من إغلاق مبكر لأبوابها خلال أشهر الصيف، أو عدم تحمس الأهل الذين يعملون بالزراعة والأعمال الحرة، قد يكونان من العوامل التي تعيق العمل عن تحقيق هذا الاتجاه، وفي رأي الرابطة الأمريكية لمديري المدارس أن ثمة أسباباً كثيرة تدعونا إلى الاعتقاد أن الدراسة على مدار السنة شيء معقول جداً للأسباب الآتية:

- المدرسة موجودة فعلاً بكل ما فيها من إمكانات، وهي معدة للاستخدام.
- النفقات والأجور الإدارية تكاد تكون ثابتة سواء أكانت المدارس مفتوحة أم مغلقة خلال أشهر الصيف.
- الاعتمادات المالية الثابتة تبقى كما هي.
- هيئات التدريس في مستوياتها المختلفة مجهزة للعمل طوال العام.
- أغلب الأطفال الذين هم في سن التعليم، وخاصة في المدن، لا يجدون أية عناية في أشهر الصيف عندما تغلق مدارسهم

تصغر وفقاً لوضوح الرؤية حول مدرسة المستقبل، وما يجب أن تكون عليه فعاليتها التي ستتصدى لبحث ظلال الجانب التربوي لجداول القمعية العولمية والشخصية الوطنية، بحيث تكون مدرسة المستقبل الحاضن التربوي الذي يتشكل فيه التلميذ وينمو على وفق معايير تربوية تظل الحياة المدرسية، لبناء جوهر الإنسان الداخلي، ليتصدى لواقع الاغتراب في الشخصية العربية المعولة. فعلى الرغم من أننا عاجزون عن التنبؤ - في شيء من الثقة - بما سوف تكون عليه مدرسة المستقبل، فإن النظرة البعيدة للواقع التربوي الذي نعيشه بعمق وأصاله تدفع المربين إلى البحث عن الحلول الواقعية والسريعة لتلك التحديات.. على أن تظل دراستنا هذه مجرد مشروع رؤية لمدرسة المستقبل، تلك المدرسة التي ستلبي الحاجات الملحة للإنسان العربي من خلال ما يتوقع لها أن تمتلك الأسباب لتكون مركز إشعاع رياضي تربوي وتنموي.. ويمكن تصور أهم سمات هذه المدرسة على النحو الذي سنذكره.

#### مدرسة تعمل كل أيام السنة

إن الأعداد الهائلة من الأطفال الذين يغادرون المدرسة، يمضون الصيف بأشهره الثلاثة دون عمل، بالإضافة إلى ازدياد عدد المعلمين الباحثين في هذه الفترة بالذات عن أعمال إضافية،



ثلاثة أشهر.

وحتى ينظر المربون إلى مدرسة المستقبل التي تعمل كل أيام السنة نظرة متفحصة تدفعهم إلى التحمس لهذه الفكرة وتبنيها ووضعها موضع الدراسة ومن ثم التنفيذ، أقول: سوف تستمر المدارس الصيفية في تأدية وظيفتها المحدودة، ولربما تزداد عدداً وأهمية على الرغم من محدودية وظيفتها، فضلاً عن أنها تساعد على محاربة الدروس الخاصة التي غدت ظاهرة مرضية تتحكم فيها عدوى الإلحاح والتقليد التي تربك المعلم والمتعلم.

### التعليم الجيد

في ضوء التطورات التربوية الهادفة إلى مواكبة التدفق المعلوماتي يجب على المدرسة الإلكترونية العناية الفائقة بنوعية التعليم وأدوات توظيفه في ذلك لأن المربين سيقومون بتعليم أعداد ضخمة من التلاميذ تتزايد كل يوم، وفي الوقت ذاته هم ملزمون بتقديم نوع ممتاز من التعليم التقني، على الرغم من بعض الصعوبات التربوية التي تدعو إلى تعليم عدد أكبر من الناس تعليماً أقل نوعاً ودرجة، تمشياً مع ديمقراطية التعليم التي أدت إلى التوسع العرضي، مفضلين بذلك الكم على الكيف، أي (التعليم الهامشي الأثر على التعليم الجيد) نذرعا بالعجز عن فعل الشئيين معاً، لضيق الإمكان. لكن تحديات المسبق الحضاري في ظل العولمة يتطلب التصدي للواقع التربوي العربي بما يحقق قفزة نوعية تعين على اللحاق بركب الحضارة الرقمية، وتحقيق بناء النسيج الفكري للإنسان العربي.

ويصعب الاختيار بين الكم والكيف؛ لأن الفعل التربوي الريادي لا يتحقق إلا بهما؛ والتعليم الجيد لا يتحقق إلا إذا تضافرت عوامل متعددة في صنع ذلك الاختيار، نذكر منها: المعلم الجيد، والمنهج المدروس، والإمكانات والأدوات المناسبة للفعل التربوي، والقيادة التربوية الحكيمة، بالإضافة إلى القيم

الحقيقية الأصيلة التي تتميز بها المادة التعليمية في الكتاب الإلكتروني والأنشطة الداخلة في تكوين المقررات الدراسية؛ ولن يتحقق مثل هذه العوامل إلا في مدرسة المستقبل التي تعمل فيها التقانات مهينة الحاضن التربوي للتعليم الجيد الذي نصبو إليه، والذي يتحول إلى حقيقة ملموسة تتجسد عبر فعل تربوي ريادي وتنموي يحول المدرسة من معطى وظيفي إلى مركز إشعاع تربوي

وريادي في البيئة المحلية.

### مدرسة المستقبل وفعاليات الإرشاد النفسي

تتطلب مدرسة المستقبل من المربي أن يصل إلى القناعة بإمكان عدم استخدام مبدأ العقوبة، مع أنه لا يمكن أن ينتفي بشكل نهائي؛ لأن ذلك أمر مستحيل، ولكن وجود المناخ التعليمي الصحي يساعد على الحد من استخدامه، ويسهم المربي بدور فعال في إيجاد هذا المناخ، إلى أن تصل إلى حد القناعة بأن الطفل (يتعلم ما يعيشه)، والتعليم الجيد يكون تشجيعاً وتنمية لنوع راقٍ من الحياة المتحضرة التي يسهم في إعدادها المعلم في مدرسة المستقبل.

ومما لا شك فيه أن القهر والتسلط ينالان من جوهر التلميذ الإنسان، ويعرضان إرادته أو عقله أو نفسه للاغتصاب والمصادرة، مما يعوق نمو شخصية الطفل بشكل إيجابي. ويمكن القول بأن الضرب والعقاب الجسدي والعنف النفسي كالتحقير والإذلال والمجافة والمحابة والحماية الزائدة وغيرها، هي المكونات الأساسية المثيرة للألم النفسي الذي يعاني منه الطفل العربي. ومن الاتجاهات الحديثة ذات الأهمية البالغة التي سوف تقتحم أسوار مدارسنا الحالية فعاليات الإرشاد النفسي والتوجيه المعنوي اللذين سيعيشان في تضاعيف العمل المدرسي اليومي، إذ سيسهم عدد من العوامل في بلورة هذا الاتجاه إن أجلاً أو عاجلاً نذكر منها:

- لتوجيه النشء في عصر الانتقال السريع والحضارة الرقمية وعسكرة الفضاء طبيعة أخرى وأهمية جديدة، إذ لا يمكن لمدرسة المستقبل أن تؤدي وظيفتها إلا من خلال قنوات الإرشاد النفسي والتوجيه المعنوي.

- الإدراك الواضح لدى المربين ومديري المدارس للحقيقة المتمثلة في أن المختصين في الإرشاد النفسي والتوجيه المعنوي عناصر مهمة في اتجاه البرامج التعليمية المنفذة في المدارس.

- كلما تعقدت المناهج الدراسية، وكلما تغيرت أهداف التعليم

وتشعبت مجالاته، زادت الحاجة إلى الخدمات النفسية.

- الإدارة التربوية في مدرسة

المستقبل ستعترف بالحاجة الملحة

إلى مثل هذه الخدمات.

وستهتم مدرسة المستقبل

بالجوانب النفسية والاجتماعية

تلك التي تعمل على تهئية

المناخات الملائمة لحياة ذات طابع

مستقر يعيشها الطفل ويتعلم من

خلالها ما يعيشه، وفي هذا المناخ

يتعلم الطفل الثقة بنفسه وبمن



تنمية المهارات من سمات مدرسة المستقبل



بالمواد الثقافية وجميع ألوان النشاط فيها.. لكن الصراع سيبقى قائماً بين التربيين الذين تصدوا لنقد النظم التربوية القائمة التي تسمح للتلاميذ باختيار مواد دراسية معينة تتفق وميولهم للحصول على درجات الامتحانات التي ستكون مسجلة على شبكة الإنترنت عبر بنك الأسئلة المعتمد تماماً، كاعتماد العملة النقدية دولياً، علي أن الاتجاه التطويري الذي سوف يتجه - إن أجلاً أو عاجلاً - نحو تطويل اليوم الدراسي والعام الدراسي في مدرسة المستقبل، سوف يفتح الطريق، بل الطرق عريضة أمام الجهود الرامية إلى زيادة الاهتمام بالتحصيل العلمي دون الاتجاه إلى حذف النواحي المهمة الأخرى من العمل المدرسي المرافق أو استبعادها، مثل الأنشطة والفعاليات الخارجة عن



التقنيات الحديثة ستقلل من الجهد الذي يبذله الطالب لفهم دروسه بالطرق التقليدية

المنهج، والدراسات الموسيقية، وممارسة الهوايات الفنية.

### ثورة في برامج التربية الفنية والرياضية

وتهتم مدرسة المستقبل اهتماماً كبيراً بتزويد تلاميذها بمهارات كثيرة وقدرات تكتسبها من خلال العناية بالصحة البدنية والعقلية، إضافة إلى الاهتمامات بترسيخ القيم والاتجاهات، والبحث على دعم سبل التواصل الاجتماعي وفعاليات تكوينها جميعاً، إذ سيتعاون في ذلك رائد الصف «المعلم» والمشرف الاجتماعي المفترض وجوده فيها.

وثمة اتجاه تربوي قوي سوف يفرض وجوده، ينادي بضرورة تقديم الخدمات الإضافية إلى جانب العمل المدرسي، كإهتمام ببرامج اللياقة البدنية، وفعاليات الحس الفني، والتذوق الموسيقي، والاهتمام الكبير بوسائل التواصل الاجتماعي وسبل مد جسور التواصل بين المدرسة والبيت.. كل هذه الأمور لا تلقي الاهتمام المناسب في مدارسنا الحالية.. وعلى هذا، فمن الجائز أن يحدث مثل هذا الاتجاه في مدرسة المستقبل ذات الدوام الطويل ثورة في برامج التربية البدنية والفنية والموسيقية.

### العناية بالمفوقين والمعوقين

سوف يجد رجال التربية الفرص المناسبة في مدرسة المستقبل لتطوير البرامج التعليمية، إذ ستركز جهودها لمواجهة الحاجات الملحة للتلاميذ، على أنهم سوف لا يجدون صعوبات في تعرف الموهوبين من التلاميذ، وكذلك المعوقين منهم في فترات مبكرة من فترات الدراسة، وستتاح لهم الفرص الكبرى والوقت الكافي لشحذ المواهب والتماس سبل دفع التلاميذ إلى التفوق في التحصيل الدراسي؛ وسيجد مدير مدرسة المستقبل أن من واجبه أن يكون

حواله، والتسامح والأناة والصبر، والرضا والقناعة والمساواة والعدالة، والأمانة، فتسرى في نفسه الطمأنينة والإيمان، وحب الناس وحب عالمه.

### الاهتمام بالمواد الدراسية

سوف تظل مدرسة المستقبل على اهتمامها بالتحصيل الدراسي؛ إذ ستتشعب الدراسة النظرية في مجالات متعددة: كالعلوم والرياضيات واللغات الإنسانية والمواد الاجتماعية، بالإضافة إلى بحث المشكلات الاقتصادية والمادية. لكن ثمة بعض الأمور التي سوف تلقى اهتماماً بالغاً فيها كعلاج كل ما يعوق الطفل من الاندماج مع محيطه مثل عيوب النطق وغيرها من الخدمات الخاصة التي لا بد لمدرسة المستقبل أن تؤديها إذا أرادت تحقيق الكفاءة المهنية والعلمية لتلاميذها.

ومن الأمور المهمة التي ستساعد على الارتقاء بمستوى التحصيل المدرسي التوسع المتوقع في توظيف المعينات السمعية البصرية في قيادة العملية التربوية داخل غرفة الصف وخارجها، بالإضافة إلى الاستغلال الأمثل للمخترعات الحديثة التي تتجلى في الشبكة الإلكترونية المنزلية، والفكرة الإلكترونية وغيرها من تقانات المعلوماتية التي يحتاج إليها تعليم الأعداد الكبيرة من الطلاب، لينال أكبر عدد منهم فرصة تلقي العلم على يد أفضل المعلمين، كما لا بد من استخدام التقانة (التكنولوجيا) الحديثة في مجالات التعليم المختلفة، ومن الأهمية إجراء التجارب العلمية معتمدة أفضل الطرائق الحديثة للتعليم الذاتي التي تنادي بتقسيم التلاميذ مجموعات متجانسة أو غير متجانسة.. أما الاهتمام الكبير فيها فسوف يتركز حول العلوم والرياضيات واللغات الإنسانية، على أن يقابلها الاهتمام القليل



للتلاميذ ممارسة النشاطات المختلفة، وتتهيئ فرص تنفيذ البرامج التعليمية المستقبلية في ظل الحضارة الرقمية وفعاليات عصر المعلوماتية، تلك التي سوف تُخطَّط وتُنشأ من خبراء يدركون قيمة السهولة والبسر في الاتصال والتنقل وجمال الشكل والراحة النفسية والأمان في مثل هذه الأبنية العامة، وأثر ذلك كله في نفسيات الأطفال وفي البرامج التعليمية المطبقة فيها.

#### تعليم الكبار

سوف تولي مدارس المستقبل الاهتمام الأكبر لمشكلات التعليم المستمر للكبار الذين فاتهم فرص مواصلة التعليم، وعلى المدى المنظور وغير أفق المستقبل سوف نرى برامج التعليم المستمر للكبار - نشر المعلوماتية - وقد تطورت بحيث تصبح إدارتها جزءاً مهماً من المسؤولية الفنية لمدير المدرسة الثانوية وليس الابتدائية. ولمسوف يكون الاهتمام في مدرسة المستقبل بتعليم الكبار لا يقل أهمية عن مجانية التعليم ذاته.. إن ما سوف تحققه حركة تعليم الكبار داخل مدرسة المستقبل من فوائد للمجتمع الإنساني لابد أن يفوق حد تصورنا الحالي؛ إذ لابد من ذكر تصورنا للأنماط التنظيمية والفنية لبرامج تعليم الكبار وهي:

- وجود موجه تربوي يكون مسؤولاً عن المنطقة التعليمية أمام مدير إنتاج الموارد البشرية «مديرية التربية في المحافظة».

- وجود موجه تربوي في مدرسة المستقبل للإشراف الليلي يكون مسؤولاً أمام مدير المدرسة «وحدة إنتاج الموارد البشرية».

- تخصيص موجه تربوي لأكثر من مدرسة للإشراف على تنفيذ برنامج تعليم الكبار، وبصرف النظر عن أشكال التعليم وكيفيات العمل في برامج تعليم الكبار، فإن مدير المدرسة الثانوية «مدير وحدة إنتاج الموارد البشرية» المستقبلية سيكون له الدور الأساسي في تعليم الكبار مستقبلاً، إذ سيقوم بالعمليات الأساسية الكفيلة بإنجاح البرنامج المعد لتنظيم الصفوف، وتوجيه الدارسين اجتماعياً وتعليمياً، بالإضافة إلى تطوير الإمكانيات اللازمة.

#### البحث العلمي

مدرسة المستقبل ستصبح مخبراً تربوياً تجري فيه الأبحاث التي سيستغلها مديرو المدارس في سبيل الوصول إلى الحلول المناسبة للكثير من المشكلات التي سيواجهونها في عملهم مثل: التدريس لأعداد كبيرة من التلاميذ، والتدريس في فرق متجانسة

على وعي بالخبرات والتجارب الجديدة من خلال تأهيله الخاص، وانتظامه في دورات التدريب المستمر في مجالات التربية الخاصة، وأن يكون على دراية بفعاليات تزويد المهويين من التلاميذ بتعليم جديد، على أنه سوف يجد نفسه في ميسر الحاجة إلى نزع الجهود الرامية إلى وضع برامج تعليمية مبرمجة لأوساط التلاميذ الذين يشكلون الغالبية العظمى.

#### الامتحانات

سوف يجد رجال التربية الفرص المناسبة في مدرسة المستقبل لتطوير الامتحانات، التي تأخذ شكلاً شمولياً ربما يكون أكثر صعوبة للوهلة الأولى، فستتناول الاختبارات مختلف الجوانب النظرية والعملية والاجتماعية والنفسية والجوانب الإبداعية لغرض قياس مستوى التحصيل العلمي، وتبرمج لذلك الغرض القياسي اختبارات متعددة الجوانب والمجالات، تدخل إلى شبكة الإنترنت على شكل بنك الأسئلة، وتعتمد دولياً تماماً كما تعتمد الوحدة النقدية وسيشيد في كل محافظة مبنى للامتحانات يقوم عليه عدد من المربين المختصين، وسيكون بمقدور الطالب دخول هذا المبنى خلال أيام السنة، وسيخضع للاختبارات المقررة. عبر الحاسوب دخولاً إلى



مدرسة المستقبل وبرنامج حافل لا يشعر التلميذ بالملل

شبكة الإنترنت، للإجابة عنها نظرياً، ثم لينتقل إلى قاعة مخصصة للمهارات العملية والنفسية، فبذلك يمكنه التقدم للامتحانات المقررة للحصول على الشهادة الثانوية في عامين بدلاً من ثلاثة أعوام وربما أقل، فلا حساب لعدد السنين التي سيقضيها الطالب في المدرسة، فيقدر ما يحقق من إنتاج تحصيل ونتائج طيبة يستطيع أن يتجاوز المراحل التعليمية، وسيكون بإمكان الطالب العربي في أمريكا - مثلاً - الحصول على الشهادة الثانوية حسب منهج بلده، وذلك عبر شبكة الإنترنت.

#### مدرسة المستقبل وأبنيتها

سوف تقوم مدرسة المستقبل على أساس الملاءمة بين أبنيتها والبرامج التعليمية المطبقة فيها، بحيث يكون البناء كبيراً ليضم إمكانيات أكبر، وتجهيزات أفضل، وبخاصة في العلوم والمواد العملية، متجاوزة في ذلك اعتقاد بعض المربين والمنظرين التربويين أن البيئة المادية للتعليم ليست مهمة للمتعلم، وعلى هذا فإن أبنية مدرسة المستقبل يجب أن تكون جميلة ومريحة تحوي وسائل الأمان اللازمة للمحافظة على أرواح العاملين فيها، ويتيح



في المجتمع اليوم من علاقات إنسانية وحرّك اجتماعي، إلى جانب التميز في فهم فنيات إدارة المدرسة بوصفها وحدة إنتاج للموارد البشرية.

- إعداد الإعداد المتخصص الوافي ليصبح الرائد التربوي في بيئته من الناحية المهنية والثقافية على السواء.

- برامج إعداد المدير سوف تعدّه لتنظيم الأبحاث الإجرائية لتحسين الممارسات الصفية، التي يحرص على تولي تنفيذها بنفسه.

- سوف يوجه توجيهاً خاصاً يتناول الإدارة الديمقراطية من حيث أصولها وآليات «ميكانيزمات» الفعل التربوي، حتى تتولد لديه القناعة الذاتية بأن الإدارة الديمقراطية هي الأفضل، وأن ممارسة فعاليتها هي الأسمى.

- سوف يشترط في مدير مدرسة المستقبل ممارسة التدريس الميداني لأكثر من عشر سنوات على الأقل، بالإضافة إلى دورات متعددة في مجال التدريب المستمر.

- سوف ينظم المدير برنامجاً للعمل المدرسي بحيث تدور الفعاليات حول مكتبة المدرسة.

- إعداده ليعمل على تحسين وتطوير المدرسة الشاملة ذات الأهداف المتعددة والأغراض المختلفة.. بحيث تتوافر فيها شتى أنماط المناهج لإشباع حاجات جميع الشباب.

#### تنظيم الجداول المدرسية

في مدرسة المستقبل سوف يقل كثيراً انتظام الطلاب في حصص دراسية يراوح مدى كل منها بين ٤٥ و ٥٥ دقيقة. فالطالب المستغرق في عمله المثير يرفض التوقف عند سماع دقات الجرس، لأنه يفضل الاستمرار في عمله على الانتقال إلى فعاليات أخرى بعيدة كل البعد عن العمل الذي يؤديه، ومن المتوقع خلو مدرسة المستقبل من الأجراس ورنينها.. فالجداول الدراسية الحالية من شأنها أن تقيد حرية التلاميذ.. إذن لابد من انتقالهم من فصل إلى آخر، ومن قاعة إلى أخرى مرات تبلغ سبعا أو أكثر في اليوم المدرسي الواحد.

وسوف يتكرر هذا البرنامج اليومي ستة أيام، إذن التلاميذ يقضون في المدرسة أكثر من ثلاثين ساعة أسبوعية. أما في مدرسة المستقبل، فسوف يتضمن الجدول المدرسي عملاً يمتد إلى أكثر من ١٨ ساعة في الأسبوع



اهتمام مدرسة المستقبل بالعوامل النفسية يزيد ارتباط الطالب بمحيطه في المدرسة وخارجها

أو غير متجانسة، ووضع الاختبارات، والتحصيل الدراسي، والتدريس عبر شبكة الإنترنت، والكتاب الإلكتروني، وتقويم البرنامج المدرسي المطبق... إلخ. ولسوء الحظ لم يصل البحث العلمي في مجال التعليم إلى نقطة تقرب من حدود الإمكانيات المتوقعة له. ومن ضمن الحقائق الواضحة أن البحث العلمي الذي يمكن أن يجري على مستوى المدرسة لكونها وحدة إنتاج للموارد البشرية، قد أهمل في مدارسنا الحالية إهمالاً تاماً، على أن بدايات

عصر المعلوماتية والسبق الحضاري وفعاليات البحث الإنساني قد أخذت الآن تسير في الطريق الوعر للتغيير المتسارع الذي يستعد فيه الإنسان للدخول في الحضارة الرقمية.

إن البحث العلمي إذن سيصبح من الأمور الممكنة في مدرسة المستقبل، بل حقيقة واقعة في التعليم الثانوي وحتى في الابتدائي، وسوف تمنح مدرسة المستقبل إمكانيات عقد الاتفاقات مع الكليات لتقديم المنح للإشراف على البحوث العلمية، والقيام بأعمال المسح والدراسة في مجالات التعليم، إذ إن الاهتمام بالحصول على الدرجات العلمية العالية، والتخصص في مختلف المجالات الذي ستراه في المستقبل المنظور، تترتب عليهما زيادة الاهتمام بأجراء البحث التربوي الذي سيصبح من الأمور التي يسعى المربون إلى تحقيقها للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه في التربية، بذلك تساهم مدرسة المستقبل في إيجاد جيل من المربين ذوي العقلية العلمية، المدركين لقيمة البحوث والدراسات في ميدان التربية والتعليم، وإيمانهم العميق بالتطور النوعي لمفهوم التربية التي تنظر إلى مدرسة المستقبل على أنها وحدة إنتاج للموارد البشرية.

#### مدير مدرسة المستقبل

إعداد النشء للعيش في مجتمع بالغ التعقيد مثل مجتمع العولمة أمر شاق ومهمة بالغة الصعوبة شائكة المسار.. لهذا لابد لمدير مدرسة المستقبل -وحدة إنتاج الموارد البشرية- أن يعدّ إعداداً تربوياً يهيئه لتولي الإدارة التربوية لمدرسة المستقبل، لأن المشكلات التي ستفرزها مفاهيم العولمة في ظل عصر المعلوماتية، وفعاليات الحضارة الرقمية تمثل تحدياً كبيراً، لذلك نرى أن تتوافر في مدير مدرسة المستقبل الشروط الآتية: -زيادة الحصيلة العلمية وإغناء ثقافته للإحاطة بكل ما يعمل



- تقويم البناء المدرسي لتقرير أكانت مرافقة على ما يرام؟
- دراسة القيم الخلقية التي يتلقاها التلاميذ.
- دراسة ألوان النشاط الترفيهي والاجتماعي التي تعهد بها المدرسة والبيئة للشباب.
- دراسة تشغيل التلاميذ وتنفيذ المشاريع التنموية في البيئة.
- دراسة مشكلات الأحداث المنحرفين في البيئة.
- دراسة أصول تدريب الشباب وإكسابهم العادات النافعة في المجتمع.
- دراسة مشكلات الزواج والطلاق والمشكلات العائلية في البيئة.

### الخاتمة

سوف تصبح مدرسة المستقبل (وحدة إنتاج الموارد البشرية) مركز إشعاع تربوي وريادي تنموي في البيئة المحلية، أو عملاً مثيراً مملوءاً بالتحديات، لأن ما تتوقعه مدرسة المستقبل لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه عمل مذهل، على أن التغيرات المتعددة في برنامج مدرسة المستقبل ستتبلور حول تضمين قدر كبير من المرونة والتكيف لتنفيذ الريادة الحقيقية لمدير المدرسة الذي سوف يصبح على بيئة من المقولة (إن الإدارة يجب أن تخدم البرنامج المطبق في المدرسة) ولا تتحكم فيه فتكون الإدارة الهدف، وبذلك يكون مدير مدرسة المستقبل المحرك الأول للنظام الذي يسير وحدة إنتاج الموارد البشرية، فيكون المدير القائد التربوي والتنموي. على أن إمكانات الريادة الحقيقية في مدرسة المستقبل هي - بلا شك - عظيمة، وإن المسؤوليات التي لابد أن تجلبها هذه الريادة هي - قطعاً - هائلة، والتنبؤ بما سوف يجلبه المستقبل للمنهج وما سوف تكون عليه عملية تنظيم المدرسة (بوصفها وحدة إنتاج للموارد البشرية) وإدارتها لا يمكن أن يتم على أية درجة من الثقة ما لم يكن مدير المستقبل مؤهلاً لعمله خير تأهيل، ومقبلاً على تحمل مسؤولياته بروح طيبة، ولديه الرغبة الذاتية لمواجهة تحديات المستقبل لإقامة دعائم تعليم مدرسي إنتاجي متطور وراقٍ.

### المراجع

١. المدرسة والمجتمع، جوت ديوي، مكتبة الحياة، ١٩٧٨م.
٢. المدرسة الحديثة، فولكية، عدد خاص لمجلة المعلم العربي.
٣. إدارة المدرسة الثانوية الحديثة في أمريكا، بير يوراب، ١٩٦٣م.
٤. محاضرات الدورات التدريبية لمديري المدارس الثانوية، ولمديري المدارس الابتدائية، وزارة التربية، مديرية التدريب.

بدلاً من ٣٠ ساعة، يقضي التلاميذ فيها أكثر من ١٢ ساعة في التعليم الجماعي (١٠٠ تلميذ أو أكثر) أما الساعات الست الباقية فتقضى في مجاميع صغيرة لمناقشة الفعالية. وتتألف المجموعة من ١٢ إلى ١٥ تلميذاً، بالإضافة إلى الساعات الاثنتي عشرة سوف يكون التلميذ منهمكاً في فعاليات الاستذكار مع الحاسوب، وكتابه الإلكتروني الذي سيكون مرتبطاً بشبكة (الإنترنت) بحيث يستطيع تغيير المادة وفق الكيفية أو الحالة التي يريدها. ومعظم التلاميذ سوف يستمرون في قضاء ٢٠ ساعة كل أسبوع في دراسة المواد العادية كما يفعلون الآن، إلا أنهم سيقضون في مدرسة المستقبل وقتاً أطول وأكثر متعة وأجزل عطاء.



القدرة على التعامل مع الحاسوب تميز مدرسة المستقبل

### مجالس الأولياء والبيئة

ليس من السهل تصور قيمة هذا المجلس بالنسبة إلى المدرسة والبيئة المحلية، ولنكون مباغين في تصورنا إذا قلنا: إن التقريب بين المدرسة والبيئة والروابط بينهما في عمل مشترك لحل المشكلات الملحة في عالم التربية، من الأعمال المهمة.

لذا سوف نجد مدير مدرسة المستقبل يستعين بنفوذته ووقته وبراعته لمساعدة هذه المجالس حتى تؤدي المهمة المخصصة لها، وما من جهد يبذله المدير في عمله يكون أكثر نفعاً للتعليم من الجهد الذي يبذله لتحسين العلاقات بين البيئة والمدرسة من خلال مجالس الأسر. ومن المجالات المتوقعة والمفتوحة للدراسة وبلورة الآراء من مجلس الأولياء، والمعلمين في المستقبل ما يأتي:

- تقويم البرنامج المدرسي والتأكد من أنه يرضي حاجات التلاميذ.



# الشاعر الإيراني أحمد شاملو

## أربعة عقود مع الشعر والأدب

جواد مجابي

ترجمة: حيدر نجف

طهران - إيران

فجعت الأوساط الأدبية والثقافية الإيرانية في شهر ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ (تموز/ يوليو الماضي) برحيل الشاعر والأديب أحمد شاملو الذي قضى أربعين عاماً من حياته الأدبية مدافعاً عن الإنسان والإنسانية، وموظفاً قلمه ولسانه للدفاع عن الحقيقة. وتقدم الفيلسوف للقراء الكرام هذه الدراسة التي كتبها بالفارسية الأستاذ جواد مجابي الناقد والأديب الإيراني وزميل الشاعر شاملو، وصاحب كتاب «شناختنامه شاملو»، بالإضافة إلى نبذة مختصرة من حياته. [المترجم]

مدينة بروجرد في الجنوب الغربي لإيران، وكانت مدينة استرآباد (شمال إيران) مسقط رأس والدته.. مر أحمد بفترة طفولة صعبة بسبب نزعة التمرد والثورة لدى والده العسكري التي كانت ترمي به وعائلته منفياً هنا وهناك.. فجاب أحمد وهو طفل صغير مدن رشت وسميرم وأصفهان وآباده وشيراز وخاش وزاهدان وخراسان.. وهذا لم يوفر له ظروف دراسة منتظمة، إذ كانت دراسته متقطعة دائماً بين مدارس المدن المختلفة.. ومن ثم لم يتمكن من إتمام الثانوية الصناعية التي كان يحبها، والحصول على شهادة الدبلوم.. لقد حرم الحل والترحال الصبي من الاستقرار الذي يوفره السكن في مكان واحد، والاستئناس به، وتنظيم علاقات صداقة حميمة فيه.. الوحدة وحياة العسر وعدم الاستقرار

والسياسية في كل حقبة، وذلك بأسلوب وثائقي مقتضب، بعيد عن الميول العاطفية المتسعة.

### الهجرة، الحيوية،

### عدم الاستقرار

شاملو رجل نشط متحرك لا يقر له قرار، وربما كان قد ورث الحركة والفاعلية من عائلته التي تنقلت دائماً بين البلدان والمدن والأقاليم. جده لأمه الميرزا شريف خان عراقي من مواليد مدينة بخارى كان ضليعاً في اللغة الروسية، وذا توجهات يسارية.. تزوج من امرأة أوكرائية أنجبت له والدة الشاعر، فسمّاها «كوكب عراقي». أما جده لأبيه فهو الميرزا محمد علي خان من أهالي كابل، هاجر مع زوجته الهراتية «بي بي شجاعت» إلى إيران واستقر فيها.

ولد أبو الشاعر اللواء حيدر في

منذ أربعة عقود وشاملو حاضر في قلب الساحة الأدبية المعاصرة في إيران، فقد كان اسمه وأعماله ونشاطاته الدائمة في طليعة العمل الثقافي الاجتماعي بإيران، ومثاراً للجدل الساخن في الأوساط الثقافية والأدبية. وقد أفرز هذا الشاعر لنفسه في كل عقد من العقود الأربعة مناصرين ومناهضين على مستوى واسع. أنصاره يرونه شاعراً كبيراً، ومناهضوه لا يستطيعون التنكر لدوره وأهميته.

وفي هذه السطور أحاول تسليط الضوء على سر خلود أحمد شاملو بوصفه ظاهرة ثقافية متحركة فاعلة طوال ما يقارب نصف القرن. وقد بذلت جهدي لمعالجة هذه القضية بحسب المحطات المتسلسلة في حياة الشاعر وتربطها بالأحداث الاجتماعية



صاحب على قطعة خبز يأخذها هذا من صحن ذاك!! وقد كانت تلك التجارب أفضل بالنسبة إلي من الدروس الجامعية.

فقد شاهدت الشخصيات السياسية، والجنرالات وأصحاب الرتب العسكرية العالية، والمديرين، والقريبين من مستوى الوزراء ينحدرون إلى هاوية سحيقة من انعدام الشخصية والانحطاط والخلو من أي معنى (سجن شاملو ٢١ شهراً بتهمة التجسس للألمان) ولم يكن هذا درساً بسيطاً. ثم توالى أحداث أخرى، منها علاقتي بحزب تودة (الحزب الشيوعي الإيراني)، فبعد انقلاب ١٨ آب/أغسطس ١٩٥٣م (١) انضويت رسمياً تحت لواء صفوف حزب توده، لكن عضويتي لم تستمر أكثر من شهرين؛ لأنني اعتقلت بعد الانضمام مباشرة، واكتشفت في السجن أنها مزبلة مدهشة ذلك الذي يسمونه حزب توده. قلت لمسؤولي الحزب في سجن (قصر): إنني لم أقدم استقالة رسمية لكم، لأنني حتى بذلك سألوّث نفسي، وإنما أترككم هكذا من دون أي استقالة».

والحادثة الأخرى وقعت عام ١٩٤٥م، ألقى رجال الحزب الشيوعي الديمقراطي في رضائية (أرومية) القبض على الرائد شاملو وابنه أحمد، ضمن ظروف معينة، وأوقفوهما قبال فرقة الإعدام لإعدامهما رمياً بالرصاص. وقبل إعلان الأمر بإطلاق الرصاص، تردد الضابط لحظات، وذهب لاستشارة أمره.. وبقي الأب وابنه ساعتين أمام فرقة الإعدام في حالة نفسية مخيفة. يروي شاعرنا هذه الحادثة مؤكداً: «أتضح موقفي خلال تلك الساعتين من الموت والحياة، وبعد ذلك لم يساورني الخوف

ليحولوا دون سماع المتفرجين غير المبالين صرخاته المروعة.

الحادثة الثانية، أنه حينما كان يعمل عدة أشهر من عام ١٩٤٢م على الجرارات الزراعية في مزارع التركمن في قره تبه، وقوم جلي، وقره داش، شمال إيران، انخرط في النشاط السياسي، وألقي القبض عليه بعد نحو سنتين في طهران، وأخذته الروس إلى رشت (شمال إيران) وأودعوه السجن. يقول في أحد حواراته: «عام ١٩٤١م



شاملو في مكتبه عام ١٩٧١م

كنت حدثاً في حوالي الخامسة عشرة من العمر.. وبسذاجة المراهق التحقت بحركة مناهضة للحلفاء، وانتهى الأمر بي إلى السجن، كان معي في السجن أكثر من ثلاثين من موظفي الدولة ومرترقتها المعروفين.. ولاحظت أن هؤلاء النفر، على الرغم من أسمائهم المدوية خارج السجن، فقد كانوا في منتهى الحقارة داخل السجن، إذ كان من الطبيعى أن ينشب بينهم عراك

كانت حصيلة سنوات الطفولة والصبا بالنسبة إلى أحمد. فتفلات العائلة الدائمة قتلت في نفسه حب السكون والاستقرار.. لذلك وجد نفسه دوماً إزاء مواقف غير متوقعة من الخطر والهول، وسلوكيات تسلطية متعصية. وهكذا مر طوال حياته بسلسلة مرهقة من الافتقار إلى عمل ثابت ومستقر يبعث السكينة في الروح.. خاض تجرية زواجين خائبيين وطلاقين مقرفين، إضافة إلى تجارب السجن والأسفار القهرية، والصراع مع التقاليد والسلطة الحاكمة.. كل هذا جعل من سني حياته خليطاً عجيباً من المرارة والاضطراب والفرع من الموت. ومع ذلك كان يتحلى بطاقة هائلة لا تعرف النفاق، مبعثها إيمانه بالإنسان المناضل والروح المحمية للمضحين الكبار. لم يشعر بالعجز أبداً.. ولم يتراجع خطوة واحدة عن مثله الإنسانية، وطوال السنين السود لم يتزلزل إيمانه الراسخ بانتصار الحقيقة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، والحريات اللائقة بمكانة الإنسان المعاصر، تشهد على هذا فصول حياته المتمردة والمضامين السامية للكم الهائل من أعماله. وكان هجوم الفجائع تزيده قوة، وطاقته الذاتية تدفعه لاجتياز حتى الطرق المغلقة.

حوادث متفرقة مرت به في طفولته وحدائته، خلقت عواصف عاتية في ذهنه، وتركت أثراً عميقاً في أنماط سلوكه الاجتماعية اللاحقة، لما كانت به من العنف والظلم والسخرية. الحادثة الأولى، أنه شاهد حينما لم يكن يتجاوز السادسة من عمره مراسيم جلد وحشية لأحد الجنود في معسكر حكومي، وقد كان طبالو المعسكر يرفعون من أصوات الطبول والأبواق





## الضباب

الضباب يلف كل أرجاء الصحراء.  
مصباح القرية يخفتي  
وأمواج ساخنة تجري في دم الصحراء  
الصحراء متعبة.  
فمها مغلق  
أنفاسها منكسرة  
وتتصبب عرقاً من كل أنملة بهدوء  
في هذيان الضباب الساخن  
الضباب يلف كل أرجاء الصحراء [تمتم العابر في نفسه]  
كلاب القرية صامتة.  
أصل إلى البيت، مختفياً في خرقه الضباب.  
كل كوا لا تعرف شيئاً.  
وعند المدخل تلقاني فجأة.  
سوف تقول، وقطرة دمع في عينها وبسمة على شفيتها:  
الضباب يلف كل أرجاء الصحراء...  
كنت أفكر في نفسي، لو كان الضباب ينتظر حتى انفلاق الصبح، لعاد الرجال البواسل  
من مخابنهم لزيارة الأعزاء.  
الصحراء متعبة، فمها مغلق، أنفاسها منكسرة، وتتصبب عرقاً من كل أنملة بهدوء في  
هذيان الضباب الساخن...

بمعونة أصدقائه مجلة (سخن نو = الخطاب الجديد) في خمسة أعداد، و(روزنه = النافذة) في سبعة أعداد. وسجن بتهمة رئاسة تحرير صحيفة (آتشبار = الرشاش) المعارضة مدة سنة كاملة طبقاً للمادة (٥) من قوانين الحكومة العسكرية. بعد ذلك حاول عبر نشر مقالاته في مجلتي (خواندنيها = المقروءات) و(بامشاد = اسم فنان) رفع الحواجز بين الشعراء والفنانين الحداثيين من ناحية وجمهورهم من ناحية أخرى، وهي حواجز ترسخت لأسباب مزمنة معروفة. كما سعى في مقالاته إلى تمتين الوشائج بين أصدقاء الفن والأدب الرائد من جهة، والمهدين لأرضيات الإبداع من جهة أخرى. وخلال هذه الفترة تابع مهمته الرئيسية المتمثلة بنظم الشعر بمثابرة وذكاء خاصين، ونقل بعض الروايات إلى

من الأفضل لشاملو من أجل السيطرة على ضروريات الشعر الحر، ألا يترك حالياً الشعر الموزون المقفى بقوالبه الحديثة» (٢).

## شاملو الصحفي

كانت أولى علامات الحيوية في الشاب المتمرد، خروجه من شرنقة الانزواء والتوحد الفني وركوبه أمواج الصحافة بهدف التأثير في الأجواء الاجتماعية - الثقافية الساخنة. فما بين ١٩٤١ و ١٩٥٣م ضعفت الحكومة المركزية في إيران، وأفسح المجال للأحزاب المتطرفة، وظهر إلى السطح نمط من الحرية الصحفية ذات توجهات يسارية وطنية، شارك هو في صناعتها فضلاً عن الصحفيين، وكذلك الأدباء والباحثون. وأخذ شاملو الشاب بالكتابة في المطبوعات ابتداءً من النصف الثاني من عقد الأربعينيات، وأصدر

من الموت طوال حياتي أبداً.. إذ صار موت الجسم بالنسبة إلي غير ذي بال». وفي حوار له مع «حريري» يلخص جميع تجاربه من الطفولة إلى الكهولة في عبارة واحدة: «تتلخص حياتي بالاضطراب والفرع.. فمشاهدة الفاقة وعدم العدل والانحطاط الثقافي كانت طوال عمري كوابيس مفزعة أشاهدها في اليقظة».

في عام ١٩٤٦م انفصل عن عائلته لينتقل من رضائية إلى طهران تاركاً الدراسة. وفي العام اللاحق تزوج من السيدة أشرف إسلامية، وهو لا يزال في الثانية والعشرين من العمر. وهي التي أهداها مجموعته الشعرية الأولى (أهنكهاي فراموش شده = ألحان منسية) التي أصدرها في العام ذاته. وقد أنجب من زوجته هذه أربعة أولاد هم: سیاوش وسيروس وسامان وساقی. وقد انخرط سيروس من بين أولاده في العمل المسرحي.

شاملو هذا الشاب المتمرد الذي جرب التوحد والترحال والحياة المضطربة بأقصى أشكالها، وخاض غمار التحزب والسجون ومواجهة الموت في سبيل الوطن والجماهير، كان يمتكث الشعر الكلاسيكي بشكل ملحوظ، بيد أنه نشر مجموعته الأولى مشتملة على مقطوعات رومانسية دارجة في ذلك الوقت، معرباً فيها عن آماله في مستقبل أفضل عبر تعابير وطنية صادقة.

وقد أصاب الناقد مرتضى كيوان حينما كتب ينقد المجموعة: «إنه لم يكتسب بعد المهارة والقدرة اللازميتين لتنظيم المفردات وهندسة الموسيقى وترتيب الجمل، وهي من خصوصيات الشعر الحر. ونراه يضيع السلسلة البيانية في أشعار كهذه، فينفلت الزمام من يديه. ويمكن القول بصفة عامة: إن





شاملو مع زوجته

## السمكة

إنني أظن  
قلبي لم يكن أبداً  
هكذا  
أحمر ساخناً:  
أشعر  
في أسوأ لحظات هذا الليل المميت  
أن ألوقا من ي نابيع الشمس  
تتفجر في قلبي من اليقين؛  
أشعر  
في كل صقع وزاوية من أرض اليأس السبخة هذه  
تنبت فجأة آلاف الغابات المسرورة.

..  
آه أيها اليقين الضائع، أيها السمك الهارب في أحواض المرايا، المتزحلق من الداخل إلى  
الداخل، إنني - الآن - بركة صافية يسبح العشق،  
فاسلك إلي طريقاً من أحواض المرايا  
إنني أظن  
لم تكن يدي أبداً  
إلى هذه الدرجة كبيرة وسعيدة  
أشعر  
أن شمس اللاغروب تتنفس أنشودة  
في شلال الدمع الأحمر الهادر من عيني  
أشعر  
أن في كل عرق مني  
وفي كل نبضة قلبي  
يدق الجرس - الآن - حادي قافلة  
..  
وجاءني ليل عار من الباب  
في صدره سمان، كروح الماء بيده مرآة  
شعره المبلل برائحة الطحلب، معقود كالطحالب  
فناديت من حظيرة اليأس  
« - آه. أيها الحاصل على اليقين، لا أعيدك مرة أخرى ».

وينشر في مجلته أسمى أنواع النقد الذي  
يوجه إليه. كان يفسح المجال في  
إصداراته أكثر ما يفسحه للشباب  
وللأفكار الشابة. فينشر قصائدهم  
وقصصهم، ويروج لمدارس الرسم  
الحديث. فكانت «أشنا» محطة  
ديمقراطية لمختلف الأذواق الملتزمة  
بالتجديد والمناهضة للابتذال والتكرار.

فهو يطلق العنان لأفكاره وآرائه دون  
ملاحظة الظروف، ولا يحبس كلامه  
في داخله أبداً، ولا يتردد في الإفصاح  
عن الحقيقة التي يؤمن بها مدارة  
لمصالحه الشخصية أو إثارة لسلامة  
جماعته وأصدقائه، إنه يغوص في  
جميع السجلات الثقافية لعصره،  
ويشن أعنف هجوم على التقليديين،

الفارسية لأسباب اقتصادية معيشية.  
وكانت مهنة الصحافة والاشتغال  
بالأدب حين ذاك تستطيع توفير الخبز  
والسجائر لصاحبها. وهذه معلومة  
تاريخية قد تبدو زائدة لأن هذه المهنة لا  
توفر أكثر من هذا حتى في الوقت  
الراهن.

إصدار مجموعة (هواي تازِه =  
الهواء الطلق) في عام ١٩٥٧م ثبت  
لشاملو موقعه الأدبي المتميز، وأكد  
هويته الشعرية أكثر من السابق، مع أنه  
أصدر قبل ذلك ثلاث مجموعات  
شعرية بعنوانين «٢٣» و«القرار»  
و«الحديد والمشايع» ما بين ١٩٥١ و  
١٩٥٣م، مضافاً إلى فقدته أربع  
مجموعات شعرية في عام ١٩٥٤م،  
حينما أعطاها لرجل اسمه «نقاشيان»  
كي يطبعها له، فأخذها ولم يرجعها،  
وربما فقدتها أو أتلفها.

في عام ١٩٥٧م تزوج من السيدة  
طوسي حائري، وترجم معها كتاب  
«الحفاة». ثم بدأ تجربة جديدة في  
الصحافة بإصدار مجلة صغيرة عنوانها  
«أشنا = القريب». وقد حاول من خلال  
مجلته الصغيرة العامة، توفير رأس مال  
لإصدار فصلية ثقافية مختصة بالأدب  
والفنون. ومع العدد الثامن من مجلة  
«أشنا» اكتسبت هذه المجلة شكلها  
النهائي. وقد عمل شاملو في هذا  
الإصدار على عرض نموذج مناسب  
للمطبوعة الأدبية المشتتة على تعريف  
الفنون والأدب المعاصرة في إيران  
ومناقشة قضاياها، وانعكاسات التراث  
الثقافي، إلى جانب الأضواء التي  
يسلطها على الشعر والقصة والمسرح  
والفن العالمي، وكان يجمع كل هذا في  
خليط متجانس من المقالات الأدبية،  
والتحليل الفنية والتقارير والأخبار  
والصور.

لم يكن الشاعر الشاب مبالياً بشيء



التناسق الشعري والأشكال التعبيرية، مضافاً إلى حصوله على عمل مؤقت مشرفاً في الدائرة السمعية - البصرية بوزارة الزراعة.

### شاملو في الستينيات

في عقد الستينيات حقق شاملو مكانته الحقيقية في الثقافة الإيرانية المعاصرة؛ فبعد عشرين عاماً من الجهد الدؤوب في طرح آرائه ونتائجاته على الساحة الثقافية، نراه يلخص وجهات نظره في العدد الخاص به من مجلة (انديشه وهنر = الفكر والفن)، والذي اشتمل على مقالات نقدية تحليلية لأعماله الأدبية، ولا سيما أشعاره في مجموعات المهمة الثلاث «الهواء الطلق» و«بستان المرايا» و«أيذا في المرأة» بالإضافة إلى تبيين المثقفين لدوره، وهو ما أكد موقعه الرائد وتأثيره العميق في أبناء جيله من الآباء، فضلاً عن الأدباء الشباب.

وكان شاملو قد استطاع التحرر بذكاء من العدد المحدود لنسخ مجلات مثل «أشنا» و«بارو» عبر رئاسته لتحرير «كتاب هفتة»، وتمكن بمساعدة أصدقائه الكتاب - الذين اكتسب خلال هذه السنوات ثقتهم بأهدافه وأسلوبه في العمل، وبالا اعتماد علي خدمات مؤسسة نشر كبرى - أن يروج لنمط جديد في الأدب المعاصر، وبضطلع بالدفاع عن خصوصيات الشعر الحديث والآداب والفنون الجديدة أمام أكبر مساحة ممكنة من الرأي العام الثقافي، وأن يكسر حواجز القطيعة بين الجمهور والثقافة والفنون الحديثة بنشره خيرة نماذج الأدب الرائد في إيران والعالم في كتيبات رخيصة الأثمان (تومانان للنسخة الواحدة) (٤) ويعدد نسخ يصل إلى ثلاثين ألفاً، وكان هذا أول خندق يهزم منه الأدباء التقليديون. في بداية الستينيات كان الشاعر

التحرير الشاملة هذه، ويشكرون الشاعر عليها.

بعد ذلك وضع شاملو بنفسه اللمسات الأخيرة لنموذج المجلة الأدبية المهمة بالثقافة الحية الرائدة في إيران والعالم، وذلك من خلال عمله في مجلة «اطلاعات» و«كتاب هفتة»، ومن ثم «كتاب جمعه»، فراح الكثير من أصحاب المجلات الأسبوعية والشهرية والمجاميع الأدبية يقلدون أسلوبه. وأخذ شاملو ينشط على أكثر من صعيد؛

### أغاز

من كان  
به غريت  
به زان في كود در سيبه بود...  
چشم زاده شدم . در سيبه جانوران و سنگت .  
ورضا  
تيدون آواز كرد .

گهواره بخود را بگردانم  
در سر زان می خنده و می بهار .  
نخستین سرم با زادن بود ، از چشم انداز ای امید فرسان با سده و خمار ،  
به آواز که با کشتن قدم این تا آرزوه تو را می فروشان  
به راهی دور رفت با شدم .  
نخستین سرم  
با زادن بود .  
دور دست  
اسم می نمی آرمخت .

شعر بافارسیه بخط يد شاملو

الشعر والقصة والترجمة والصحافة وتحقيق النصوص القديمة والكتابة للأطفال.

وفي السنوات المتبقية من عقد الخمسينيات حاول توسيع دائرة نشاطه، فأخرج فيلماً وثائقياً عن إقليم سيستان وبلوشستان بطلب من شركة ايتال كونسولت. ونشر ديوانه الشعري (باغ آينه = بستان المرايا) الذي فاق (هوای تازہ = الهواء الطلق) في

وكان رئيس التحرير في الغالب يتولى جميع أعمال المجلة وحده، بدءاً من توجيه الكتاب واختيار المواد، حتى إعادة التحرير واختيار الحروف، والمهام الفنية والإخراج والتصحيح، وإعطاء النسخ للموزع. وواضح أن كل هذه المهام لا يستطيع أن ينهض بها شخص واحد، لكن شاملو الشاعر الملتزم لم يكن يعد إصدار مجلته التحديثية ممارسة ترفيحية عابرة، وإنما هي التزام اجتماعي يجب أن يصدر بموعده على الرغم من معوقات الرقابة والضائقة المالية وتخلفات الأصدقاء، وعدم مبالاة المخاطبين، وذلك أداءً للأمانة التي خلفها نيما وهدايت (٣).

لكن مرض رئيس التحرير أوقف «أشنا» عند العدد السابع عشر. وقد اختزن شاملو من هذه المجلة خبرات جيدة استخدمها لاحقاً في إصداراته الأخرى. كان يقوم بجميع المهام التحريرية وحتى الإدارية بكل اندفاع ومثابرة في كل المجلات التي أصدرها بعد «أشنا» كمجلة «اطلاعات» الشهرية، و (بارو = السور) و (كتاب هفتة = كتاب الأسبوع) و (خوشه = العنقود)، وحتى (إيرانشهر = بلاد إيران) و (كتاب جمعه = كتاب الجمعة). فالكثير من المقالات والقصص المنشورة في «كتاب هفتة» وغيرها من المجلات كان شاملو قد أعاد تحريرها.

وحينما كان يشرف على الصفحات الأدبية في «خوشه» أعاد بقلمه تحرير القسم الأعظم من مسلسل «مذكرات رجل مغرور» التي كنت أحررها في تلك المجلة، من دون أن يكون مسؤولاً لشيء مما جاء فيها. وكان الكثير من الشباب والكتاب ممن يتعاونون مع «خوشه» و«كتاب هفتة» في مجال الشعر والقصة والمقال، يرحبون بإعادة



يعيش أجواء حب وهذوء مع رفيقة حياته «أيذا» التي نشر إحدى مجموعاته باسمها «أيذا في المرأة»، فقد استطاع في ظل رعاية هذه المرأة المؤمنة الصابرة، أن يعمد إلى ترتيب أعماله وشؤون، ويواصل إبداعه الأدبي والبحثي ضمن أجواء تسودها السكنينة والاستقرار. وكان قبل هذا الزواج قد عاش فصولاً مأزومة خلقها له تركيب كابوسي من الضائقة المعيشية، والاضطراب الناجم عن قمع الناشطين السياسيين، والحالة المتزلزلة التي عاشها الكثير من المهزومين السياسيين في الانقلاب العسكري لعام ١٩٥٣م. وقد دفعه هذا الواقع إلى الغرق في لجة عاتية من اليأس أدت به إلى كتابة حوار أفلام تافهة مثل «أول الهيكل» و«الهروب من الحقيقة» وتمثيل دور في الفيلم الأخير، مما يعد نقاط ضعف في ملف حياته اليومية، وليس في الملف الفني لشامله. فقد حدث أحياناً أن أحرق وقته وباعه لهذا وذاك، أما ذهنه المتوقد فهيهات. في الستينيات أنجز عدة أعمال

أساسية في حياته، وارتقى فيها إلى الأوج والقمة:  
أولاً: صقل موهبته الشعرية الثرة بتجارب عميقة وقراءات منتظمة خلقت بخياله وأخصبت أفكاره وأدواته التعبيرية. وقد كان الشعر سمته الغالبة، والتي ظهر فيها فارساً لا يشق له غبار. أما باقي النشاطات فواصل عطاءه فيها على هامش شخصيته الشعرية.  
ثانياً: تابع عمله الصحفي عبر «كتاب هفتة» و«خوشه» بأسلوب مبتكر وخصائص عصرية، وبذل جهوداً استثنائية لتمتين الأواصر بين الفنانين والأدباء الحدائين والجمهور. فقد استعمل في مقالاته نثراً خاصاً جمع فيه بين لغة الكتابة ولغة الحوار، وطعمه بعناصر غنائية ومسحة ساخرة، ليخرج جذاباً حتى للقارئ العادي. وكان قد اكتشف مبكراً أن الصياغات الأدبية المعقدة، والإنشاء التخصصي النقدي غير مناسبة للعمل الصحفي، فعلى المثقفين ترجمة المعاني المعقدة إلى لغة سهلة تشد أكبر عدد من القراء.

ثالثاً: اهتم اهتماماً مركزاً بجمع الأدب الشفوي وتنظيمه أو ما يسمى: الثقافة العامة. وكان كتابه الموسوعي (كتاب كوجه = كتاب الزقاق) (٥) عملاً ضخماً في حفظ الثقافة الشعبية وتدوينها. ففي البلد الذي تعد الثقافة المكتوبة فيه قطرة صغيرة بالنسبة إلى بحر الثقافة الشفهية العامة، يبدو تدوين الثقافة الشعبية وتعريفها وحفظها في صورة كتاب جامع في غاية الأهمية، لا مجرد صيانة التراث الثقافي للبلد، وإنما للدور التطبيعي لهذه الثقافة في إبداع أعمال جديدة، وتحريك الذاكرة الوطنية المستدة آلاف السنين في أذهان المعاصرين الناقين إلى معرفة ملامح هويتهم التاريخية.

فالكنز العظيم الذي استثمره الأدباء عدة قرون لا يزال يحمل الكثير للشعراء وكتاب القصة والباحثين الاجتماعيين والمثقفين، وبإمكانهم الاستمداد منه، كل حسب حاجته ولغته وأفكاره. فما نمتلكه في نطاق الفنون الرسمية والكتب المدونة ضئيل جداً بالموازنة مع الفنون الشعبية التي تناقلتها الأجيال عبر آلاف السنين، ويمكن القول: إن عدم الاهتمام به سيعود على أديبنا وفنوننا بالفقر والفاقة والقعود الدائم.

رابعاً: التحقيق في النصوص القديمة كديوان حافظ الشيرازي الذي حقق تنقيطه وتوالي الأبيات فيه، بالإضافة إلى تأملات شاعرية حوله. وحقق أيضاً أساطير (هفت كنبد = القبب السبع) للنظامي الكنجوي، وأناشيد أبي سعيد أبي الخير، وبابا طاهر الهمداني. وعمر الخيام، وأبدى ذوقاً فريداً في نشرها، حاثاً الجيل الصاعد على التواصل مع النصوص التقليدية.

وفي العقد اللاحق سجل قصائد لحافظ ومولوي والخيام ونيما، ونشرها على شكل أشرطة صوتية، ليقدّم

## رثاء التراب

بحثاً عنك  
أبكي على أعتاب الجبل  
في حظيرة البحر والحشيش  
بحثاً عنك  
أبكي في حمر الرياح  
في تقاطع الفصول  
في إطار نافذة مكسور  
يؤطر السماء الغائم بإطار عتيق  
بانتظار صورتك  
كم وكمن أوراق هذا الدفتر  
سوف تتورق؟ ..  
قد أفصح لك عن  
قبول تيار الريح  
والعشق

الذي هو شقيق الموت -  
وخلود السر -  
إذن، صرت على شكل كنز:  
كما ينبغي، ويبعث على الطمع  
كنز من ذلك النموذج  
الذي يجعل امتلاك التراب، والديار  
من هذا النوع  
امراً مستحسنًا!  
اسمك فجر يمر على ناصية السماء  
- وبورك اسمك -  
- ونحن لا نزال  
نكرر  
الليل والنهار  
واللحظة...



وناجاهم بلهجته الإيمانية مفصلاً لهم عن أهدافه الإنسانية الشاملة، وأدواته النضالية من أجل التحرر والعدالة.

### السبعينيات تمدد الأنشطة

في عقد السبعينيات توسعت النشاطات التي خاضها شاملو في الستينيات، وأضاف إليها محاولته إيصال صوته إلى أكبر عدد ممكن من المخاطبين عبر مساهماته في الصفحات الفنية للصحف اليومية «كيهان» و «اطلاعات»، ومجلات مثل «فردوسي». ولابد من التأكيد هنا أن شاملو لم يقطع ارتباطه بالجمهور فترة طويلة أبداً. فقد كان يتواصل باستمرار عبر نشر أشعاره ومقالاته وحواراته في الصحف والمجلات، أو من خلال محاضراته وأمسياته الشعرية. فعندما يُحال دون إصدار مجموعته الشعرية، يوصل أبياته وأبيات غيره من كبار شعراء إيران والعالم عبر أشرطة الكاسيت. وحينما عمل في التدريس «بجامعة شريف الصناعية»، مارس نشاطه أيضاً في قسم الأبحاث بمؤسسة الإذاعة والتلفزيون، وتابع تأليف «كتاب الزقاق» عندما اشتغل عدة سنوات في مجمع اللغة الفارسية وجامعة ابن سينا. وحينما لم تكن تتيسر له أية واحدة من وسائل الإعلام، كان يطلق لأفكاره العنان من خلال لقاءات إذاعية، أو عبر السفر إلى الخارج وارتقاء المناظر الحرة هناك، ليصدع بأرائه حول حرية الفكر والكتابة والتعبير.

وقد أدت الفاعلية العالية لشاملو، وظمؤه الشديد للتواصل مع الجمهور، وحيويته الدائمة، للعمل في المجالات الفنية والثقافية والاجتماعية المختلفة، إلى وضعه في صميم الحركات الاجتماعية في عصره، وجعله نموذجاً يحتذى من قبل المجاهدين السريين



من مؤلفات شاملو

منظومة ومنثورة، فضلاً عن تنظيم أمسيات شعرية باسم «خوشه = العنقود» التي شارك فيها طيف واسع من أصحاب النزعات التجديدية من مختلف مدن إيران. وقد تضمنت هذه الأمسيات، فضلاً عنلقاء القصائد والحوارات النقدية المفتوحة، معارض رسم ومسرحيات حديثة. وفي فرصة أخرى حاول مع أدباء آخرين مثل جلال آل أحمد و غلام حسين ساعدي تشكيل اتحاد الكتاب لمواجهة الرقابة الحكومية على النشر، وفضح الواقع المبتذل للإعلام الرسمي ورجاله، وترسيخ الأجواء الفكرية المعارضة. والخلاصة أنه كان مستنيراً في خضم المعركة بكل ما أوتي من مواهب».

في ذلك العقد كان الفكر الثوري اليساري هو الحاكم، ومادة تلتصق بها الأحجار في جدار التواصل بين النخبة والجمهور، أو بين المستنيرين والعامّة من الناس. وقد أطلق شاملو أنماطاً من الشعر الحماسي الثوري الاجتماعي يتخذ أحياناً طابعاً غزلياً، وتارةً ينحو منحى يفيض بالكراهية والبغض، لكنه في الغالب أكثر تفاؤلاً من شمس الصباح، خاطب عبر كلماته مجتمع المستنيرين والمتقنين، وخصوصاً طبقة الشباب المعارض،

للشباب وهواة الأدب أسلوباً خاصاً في إعادة قراءة الشعر القديم، وقراءة الشعر الحديث بصورة صحيحة. خامساً: كان شاملو ميّالاً لاستعمال لغة فخمة وتعبير ملحمية شامخة في أشعاره، وكان ذلك حصيلة اهتمامه الدائم بالنصوص الفارسية المنتجة في القرنين الخامس والسادس الهجريين. ومن ناحية أخرى قاده التدقيق في لغة الشارع وثقافة العامة إلى اكتشاف رموز جديدة في اللغة الفارسية. وقد كان بإمكان المزج بين هاتين اللغتين إيجاد تحول ملحوظ في الشعر والنثر المعاصر، بيد أن شاملو لم يعمد إلى هذه المزاوجة إلا في ترجمته للروايات والأشعار. وربما لو كان قد جرب هذا التلقيق في قصائده لكان قد ابتكر منهاجاً بيانياً مؤثراً.

كانت مراميه الرئيسة من مجمل هذه الأنشطة اجتماعية بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى أهدافه الإعلامية التي قصد بها أذهان العامة من الناس، فقد أراد بواسطة العمل الصحافي الفعال والمحاضرات والأمسيات الشعرية في المجمع العامة (مثل اتحاد إيران وأمريكا، ومعهد غوته) والحوارات والسجلات في وسائل الإعلام، أن يعمل على تثبيت الآداب والفنون المعاصرة، وإشاعتها بين الناس. لذلك تبوأ موقعه في قلب النشاط الثقافي لعصره.

ويمكن القول: إنه في الستينيات استخدم كل وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية لترويج الشعر الحر والفن الحديث، فأخرج عدة أفلام فلكلورية للتلفاز (٦).

وكتب حوارات بعض الأفلام، وسرد الأقاصيص والحكايات للأطفال في الإذاعة، وحرر لهم عدة كتب



والعلميين الذين كانوا يستمدون الدعم لتحركاتهم الثورية من الوضع الاجتماعي الراسخ لشاملو.

ومما تجدر الإشارة إليه على صعيد السلوك الاجتماعي للشاعر، أنه بصفته أديباً ذا ذهنية متحركة تجمع بين حب المدينة والقرية (مقابل تعصب عشاق القرى والصحراء من الأدباء) كان متفهماً لضروريات العمل في المجتمع الأهلي والمدني، وما يكتنفه من إمكانات ومشكلات. فحينما يلاحظ أن ٣٠٠ نسخة من مجلة «أشنا» التي كان ينشرها شخصياً أعجز من أن تفعل



غلاف أحد كتبه

للأدب الحديث شيئاً، يتخذ من جريدة «اطلاعات» و«كيهان»، ومن التلفاز ومناير الجامعات والمجمعات الثقافية واللغوية، ومن أية وسيلة مؤثرة أخرى جسراً لنقل ما يعتل في ذهنه إلى مخاطبيه غير مبال بالتهم التي كانت توجه إليه بالتعاون مع التلفاز الحكومي، أو صحيفة السناور فلان بن فلان. لأنه لم يكن يتقيد بالظروف والأجواء السائدة فنراه يفصح عن آرائه بكل صدق وصراحة.

وحينما لا يسمح له باستخدام وسيلة الإعلام هذه، يجد من واجبه إيصال صوته إلى الناس عبر وسيلة إعلام

أخرى. وقد كان يتمتع بهذا الذكاء والقدرة على المناورة بفطرته الذاتية، وبما اكتسبه من تجارب عميقة طوال رحلته الأدبية. لقد كانت خلاصة رؤيته: ما دمت على قيد الحياة أبلغ رسالتك إلى أبناء وطنك دون اهتمام بالوسائل والأماكن، المهم فكرتك ورسالتك، فالضروري قبل كل شيء هو أن تنادي بصدق بما تراه صحيحاً في الوقت المناسب.

عندما تتحدت أشعاره، وتشدت وطأة مقالاته، ويرى الأجواء معادية جداً لإبداء وجهات نظره، يحكم على نفسه بالنفي، فيغادر أولاً إلى أمريكا، ثم إلى لندن، ليصدر هناك مجلة «ايرانشهر» السياسية بمساعدة غلام حسين ساعدي التي وازنت على الصدور حتى انتصار الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م. ومع انتصار الشعب الإيراني عاد إلى الوطن وترأس تحرير مجلة «كتاب الجمعة» الاجتماعية الثقافية التي منع إصدارها بعد ٣٦ عدداً. وكانت هذه آخر رئاسة تحرير يتولاها، غير أن نشاطاته الصحفية لم تنقطع، إذ كان ما يزال يخاطب الناس بقصائده ومقالاته التي ينشرها في مجلة (آدینه = الجمعة) ومجلات أخرى.

### الثمانينيات.. هدوء البحر

في السبعينيات، استدار شاملو استدارته الهائلة من الثقافة إلى السياسة. فاكتمت نتاجاته الشعرية طابعاً ثورياً، وسافر إلى خارج البلاد ليصدر هناك مجلة «ايرانشهر» المناهضة للاستبداد معلناً عن مواكبته لحركة الشعب الإيراني. ومع أن تسارع خطا الثورة في الداخل، الغى جزءاً كبيراً من المهمة التي أرادها شاملو لمجته في مواكبة الجماعات الثورية وتوجيهها، لكنه بعودته إلى إيران، وتعاوناته الظاهر والخفي مع

التيارات السياسية، وإصدار «كتاب الجمعة» الذي كان محوراً سياسياً ثقافياً للتيار المستنير، وتحرير المقالات وإجراء اللقاءات الصحفية، شارك بنصيب وافر في الأيام التاريخية من شباط/فبراير عام ١٩٧٩م حتى بدايات عام ١٩٨١م بوصفه شاعراً يرفع راية الحرية أبداً.

ولأسباب واضحة للمهتمين بالسياسة الإيرانية، رأت السياسة الثقافية للحكومة الثورية عزل الفكر الآخر وإلغاءه. وتسببت السلوكيات المتطرفة للقوى المنتصرة في الكثير من الجفاء للشعراء والكتاب الذين اضطروا في ظل غياب المنظمات الحزبية السياسية إلى حمل أعباء أمانة الدفاع عن حقوق المواطنين من دون أي منة أو مكافآت. وحاول شاملو في العقد الجديد، التعويض عن تراجع عملية النشر، بتنظيم الأشرطة الصوتية وتوزيعها. وكان يشعر بتعب الناس، والتسمرات التي منيت بها السياسات المتطرفة، وعدم الاهتمام بالمطبوعات والمنشورات، مما جعله يستنتج أن الناس عادت إلى ترجيح الثقافة الشفهية. لذلك واصل ارتباطه المدرس بالجماهير عن طريق الأشرطة الصوتية ذات المضامين الأدبية - الاجتماعية على نطاق واسع. وكان الشباب هذه المرة أيضاً مخاطبيه الأصليين.

ومن نتاجاته في تلك الفترة ترجمة أعمال كبار الشعراء العالميين مثل «أغاني شرقية وأشعار أخرى» لشاعره المحبوب لوركا، و«أسود كأعماق إفريقية» لنجستون هيوز، و«أناشيد الوطن المر» لريتسوس، و«المسكوت مفعم بما لا يقال»، و«اقتطاف الفجر» لماركوت بيكل بالإضافة إلى أشرطة صوتية للأطفال، وهي نتاجات حظيت بإقبال واسع وشعبية ملحوظة.



## ليلاً

قلعية النجوم هذه  
أبدأ  
ليست مدينة للشمس بشيء.  
والنظرة تطمئن إلى صوتك  
فكم تتغنين أنت - بإيمان - باسمي  
..  
وقلبك  
حماية السلام،  
مضرجة بالدم  
على السطح المر  
مع ذلك..  
كم أنت تطيرين  
عالياً..  
ومرتفعاً..

أنا  
أنت  
وجودك لم يكن بلا سبب  
حقاً  
صوت أي قصيدة  
أي غزل؟  
أشعة النجوم الداخلة من الشباك  
جواب أي تحيات الشمس  
..  
ومن وراء عينك  
يخفي صراخ أي سجين  
يرمي بالحرية  
على الشفاف المتورمة  
لوردة حمراء؟..  
والأ..

الملكية، وشهره الماركسيون والإسلاميون، ووجدوا الفرصة سانحة للطعن في شاعر لم يصنع يوماً من نفسه ولا من الآخرين صنماً يعبد. النماذج والآراء التي ساقها الشاعر نقلاً عن أحد الباحثين لم يكن من السهل الدفاع عنها، وربما لم يكن من المناسب طرحها في ذلك الوقت، فمثل هذه الكلمة كان قد ألقاها قبل سنوات بشكل آخر في إحدى الجامعات، ولم تحدث أية ضجة. مما قاله في كلمته: «قبول الأحكام والتعصب لها إهانة للشرف الإنساني، ويا للأسف يجب القول: إننا سلّمنا بالكثير من الأمور، لمجرد أننا لم نترفع قليلاً لننظر إليها من الأعلى. الحروب والصراعات العقيدية لا تحدث إلا لأن طرفي النزاع لا يريدان الوصول إلى الحقيقة، وإنما يريد كل طرف سيادة عقيدته السخيفة وحسب.. أنتم الشباب أناس شرفاء ولكن طباعكم الخاصة، لا يهتمكم المعاش والرزق، وإنما تفكرون في مصالح المجتمع وسلامته فقط، وتضحون بأنفسكم من أجل عقائدكم،

الأصيل، ألا يؤثر السلامة على الإفصاح عن رأيه عند الضرورات. وهناك الكثير من النماذج لهذا السلوك في ملف شاملو.

في نهاية هذا العقد ألقى كلمة في جامعة بيركلي، صنع منها أعداؤه قميص عثمان، ولم يكن عديم التقصير في رفع هذا القميص. كان عنوان الكلمة «حركة التنوير في إيران خلال القرن العشرين»، وكان المضمون الرئيس لمحاضرتة: «أن تاريخنا عرض على الناس بصورة مغلوبة محرفة وناقصة من حفنة من الكتاب المرتزقة خضعوا لضغط الحكومات الفاسدة. وأنتم أيها الطلبة الجامعيون في الخارج، ممن تستطيعون التعامل مع المصادر الرئيسة بعيداً عن أنواع الرقابة والإلغاء حاولوا أن تفحصوا عن حقيقة التاريخ الإيراني المهددة، كما هي في الواقع». لكنه اختار للتعبير عن هذا الرأي المصيب المخلص، لغة لاذعة خالية من البراهين والأدلة، بأمثلة مثيرة للجدل والشكوك. ولهذا صَفَّقَ له أنصار

واستجاب في هذا العقد لدعوات بعض البلدان الغربية فسافر إليها بهدف المناقشة الحرة لقضايا الثقافة وحرية الإبداع.

في دعوة اينترليت الثاني (في ألمانيا) وعلى الرغم من الاحترام الذي أبداه المؤتمر له ولسائر الضيوف المشاهير، حينما لاحظ شاملو أن البيان الختامي للمؤتمر لم يتجاوز المجلات الدبلوماسية بين الموظفين السياسيين للبلدين، وأن محترفي السياسة والثقافة الأوربيين يحاولون إعطاء أنفسهم وسام القوامه الثقافية على العالم الثالث، أفضل الاجتماع النهائي بإعلانه عن بيانه الختامي المقترح، وحال دون إصدار بيان السيد بلويل الذي تصور أنه يستطيع شراء كتاب العالم الثالث. يقول شاملو في أحد حواراته: «بعد حوار قصير مع بعض الكتاب الذين حضروا المؤتمر اتفقتنا جميعاً على أننا، بوضعنا كتاباً من العالم الثالث، جننا من حدود بلدان تعد المثقف والمستنير فيها عميلاً ظلامياً لأعداء الشعب. لذلك من حقنا احتقار المصالح المحتملة للنظام الألماني في بلداننا وإدانته والتي ارتفعت رائحتها المُرَكَمَة من بيان السيد بلويل. إن لنا قضاياانا ومشكلاتنا الأساسية، ولم نستجب لدعوة الألمان كي يكونوا أصحاب الفضل علينا».

كان، بمجرد أن يشعر بالابتذال والارتباط بالاستبداد في نشاط معين، يعلن ضده معركة ضارية، باندفاع هجومي عارم، يناظر ما كان يفعله أبناء جيله مثل جلال آل أحمد وخلي ملكي. ولم يكن يخشى أن تلحقه الهزيمة في هذه المعركة، أو ينتقص من قدره، أو يخسر معاشه. بل مجرد أن يشعر أن عليه التحدث بشيء من أجل المصلحة العامة، كان يجزيه على لسانه أو قلمه. وهذه واحدة من أهم مميزات المثقف



أين أنتم من الأمور، وما برامجكم؟ ماذا تريدون أن تفعلوا؟ لم يجب أحد عن أسئلتي المؤلة هذه، فيماذا تجيبون أنفسكم؟ إن لم أرح قلوبكم الرقيقة، أقول لكم بنفسى: إن الجواب قد يكون «لا تفكر بالغد إلا في الغد».. لا يحق لنا أن نصنع من نظريتنا فخاً، ونؤمن إيماناً دينياً بآيات كتبنا السياسية، ونتعصب لها تعصباً جاهلاً. فالواجب يحتم علينا إذا أننا بصحة شيء، أن نناقش ما آمن الآخرون بصحته في أجواء ديمقراطية تماماً، وبعبدة عن العصبية السطحية، وبمنتهى الوعي والعقل والمنطق».

مبادراتهم المجنونة ضده، الرد عليه بالأدلة والمنطق.

### خصائص العمل الأدبي

#### عند شاملو

يمتاز العمل الأدبي والصحفي عند شاملو بخصائص معينة، بعضها يرجع إلى أسلوب المثقفين والأدباء بشكل عام، وبعضها خاص بذكائه وتجاربته الخاصة في العمل الاجتماعي والأدبي. وهذه الخصائص هي:

#### الانتقال من السياسة نحو الثقافة:

لقد دخل أكثر الأدباء في الخمسينيات والستينيات في العمل السياسي، أو انضموا إلى الأحزاب

## كانت الصحف والدوريات الأدبية في البداية تكتب بأقلام أدبية وبلاغية ثقيلة وذات أسلوب ونثر خاصين بهم، ولكن عندما دخل جيل شاملو عالم الصحافة بدؤوا بأسلوب جديد وأدب معاصر خارج عن الأساليب الأدبية التقليدية

وبهذه الكلمات استطاع كل من له حسابات عالقة مع «ألف - بإمداد» الاسم الأدبي المستعار لأحمد شاملو أن يمسك بذريعة مناسبة ليطلب ويصرم بكل ما أوتي من قوة أن شاملو أهان مقدساتنا الوطنية بما في ذلك «الفردوسي». والحال أن رسالة الشاعر استهدفت عدم التعصب للمعتقدات، وهذا ما لم يستثن الشاعر نفسه منه، خصوصاً أن مخلصاته لسعدي الشيرازي وأبي القاسم الفردوسي وغيرهما من أساطين الأدب القديم، ليست شيئاً جديداً، لقد قضى عمراً من التمرد والصراع مع التواييت والأصنام ونظريات «السكوت». وسواء أكانت توجهاته صحيحة أم لا فقد كانت هذه عقيدته على كل حال، وبإمكان الآخرين، من دون أن يبادروا

اليسارية والوطنية، وشاملو من أولئك الذين دخلوا السجن عدة مرات لنشاطه السياسي، ثم جرب العمل الأدبي. بعد هذه التجربة انتقل من إطار العمل الأدبي المحلي إلى العمل الأدبي الإنساني والعالمي، وأصبحت اتجاهاته خارج إطار الوطن، تدور في إطار الإنسان والإنسانية والثقافة العالمية، يبحث عن القضايا الاجتماعية للإنسان، وعلى الرغم من أنه كان شديداً ضد الديكتاتورية، إلا أن ميوله الاشتراكية كانت واضحة.

#### تغيير الأسلوب في الكتاب:

لقد كانت الصحف والدوريات الأدبية في البداية تكتب بأقلام أدباء وباحثين كبار من أمثال ملك المتكلمين محمد فروغي، ودهخدا، وسعيد نفسي، وملك الشعراء بهار، وعلي دشتي،

وبأقلام أدبية وبلاغية ثقيلة وذات أسلوب ونثر خاصين بهم، ولكن عندما دخل جيل شاملو عالم الصحافة بدؤوا بأسلوب جديد وأدب معاصر خارج عن الأساليب الأدبية التقليدية، بدأ شاملو بالتلفيق بين العامية والفصحى، نثر الشعر الحر والحديث، إعادة كتابة القصص التراثية، طرح أفكار جديدة بأسلوب جديد، وعدم التقيد بالأساليب القديمة والتقليدية.

#### النزاع الدائم مع الجيل القديم:

لم يترك شاملو طوال حياته الأدبية الوقوف أمام كل ما هو قديم إذا كان عاملاً على الوقوف أمام الإبداع والتغيير والحركة والمسؤولية. إن الحوادث التي وقعت في حياته منذ أن كان طفلاً حتى عهد الشباب، صنعت منه رجلاً شجاعاً لا يخاف من الدخول في المعارك الأدبية أمام الأعلام القديمة التي احتكرت الأدب والقلم لنفسها من دون أن تشعر بالمسؤولية، وأن توظف القلم والفكر لخدمة الإنسان.

بعد أن تجاوز شاملو حاجز الموت الذي جربه عدة مرات، فإنه لم يتهيب الدخول في معارك أمام الأحزاب السياسية، والتهديدات الأمنية، بل الوقوف أمام الأعلام العتيقة ودعاة الشعر التقليدي فقط، بل إنه كان يقاوم كل ما هو غير منطقي وغير عادل. لقد كانت فترة من الفترات تخيم على الحياة الأدبية الإيرانية أسماء تحولت إلى أصنام لا يستطيع أحد تجاوزها، وأصبحت مقاماً لا يمكن الخروج عنها، ولكن شاملو كان الرائد في تجاوز هذه الخطوط بأسلوبه وشجاعته.

#### التنوع في الأسلوب:

ويسبب تنوع الشارع وحاجته إلى أساليب وخطابات مختلفة، فالمثقف والأديب والسياسي والمواطن العادي والتلاميذ، كل واحد منهم بحاجة إلى



### شاملو في سطور

ولد أحمد شاملو في ١١ ديسمبر/كانون الأول ١٩٢٥م في طهران، وترك الدراسة بعد إكمال السنة الرابعة من المرحلة الثانوية في عام ١٩٤٥م، وعمل بالصحافة، فأسس مجلة «سخن نو = الكلام الجديد»، وأصدر منها خمسة أعداد فقط، ثم عمل سكرتيراً لتحرير مجلة «خواندنيها = المقروءات»، وأصدر مجلة بامشاد، وعمل سكرتيراً لتحرير مجلة «كتاب هفتة» الأدبية الأسبوعية، ومن الصحف التي عمل بها مجلة «بارو = السور»، ومجلة «خوشه - العنقود»، ومجلة «إيرانشهر» في لندن.

نشر عدداً كبيراً من المجموعات الشعرية منها: «هواي تازة = الهواء الطلق»، و«باغ - آينه - بستان المرایا»، وترجم قصائد ومجموعات قصصية، ومسرحيات كثيرة، وكتب حوارات أفلام، وعمل في الإذاعة، وفي مركز بحوث جامعة ابن سينا، وأحيا أمسيات شعرية في إيران والولايات المتحدة ولندن وغيرها، وقدم محاضرات في الجامعات العالمية الكبرى. في الستينيات، صقل موهبته الشعرية، وابتكر نشرًا خاصًا للخطاب الصحفي، واهتم بجمع الأدب الشفوي، وحقق نصوصاً تراثية، واكتشف رموزاً جديدة في اللغة الفارسية.

الغربة في الحياة اليومية، والأكثر من كل هذا نزعة الإنسانية المتأصلة في أعماقه وحبّه للناس من كل الطبقات وبكل الأشكال والظواهر. فكان - حتى حينما يغضب على الناس - إنما يغضب حباً لهم وحرصاً عليهم. وكثيراً ما فضل التحدث مع القروي أو العامل العادي على التحوار مع شخصية حكومية مرموقة. وخلال ثلاثين عاماً من صحبتي له أحببت فيه أكثر ما أحببت مزاحه وطبعه الساخر، وصبره في العمل الثقافي الذي أنجز القسم الأكبر من أجل الناس، وعلى أمل تحريرهم وتحسين حالهم.

وفي الختام فإنه غنيمة عظيمة من آخر أجيال الشجعان الذين انطلقوا مع ثورة الدستور بداية القرن، وأخذوا في الأقول خلال الثمانينيات، فقد طمح دائماً إلى عزة أبناء وطنه.

إلى أشعاره الفريدة في جودتها، والتي يمكن مراجعة الكتب النقدية الكثيرة التي صدرت حولها لتعرف أبعادها الجمالية والفنية والمترامية. ولكن سر شخصيته اللامعة لا ينحصر في موهبته الشعرية وحسب، وإنما تتدخل في ذلك عدة عوامل أخرى من قبيل حياته العاصفة، وزواجهات وطلاقاته وأطواره غير المألوفة، وتمرده الجامح، وتجاريه في الحب والبغض المتوهج. وكذلك قامته الفارعة، وهيكله الضخم، ووجهه الجميل، وصوته الجهوري، وشجاعته وتواضعه ومزاحه المحبب، بالإضافة إلى وعيه المدني الذي دلّه على ما يجب أن يفعله في كل حقبة، وأرشده إلى ما هو أصيل ومهم في كل فترة، وتمييزه للأصول من الفروع، والأبعاد المختلفة لشخصيته، ومثابرتة العملية، وتوقده الذهني، ومرونته

خطاب خاص وأسلوب يتناسب مع ثقافته وفهمه، وشاملو كان ابن المدينة الذي استطاع أن يتكيف مع الظروف والأوضاع المختلفة، وأن يعمل مع المؤسسات المدنية المتنوعة، فقد عمل مع الأحزاب والصحافة والإذاعة والحكومة والمؤسسات الخاصة، كتب للكبار وللصغار، أنشد شعراً وكتب مقالات وبحوثاً، أنتج أشرطة بصوته وكتب حواراً للأفلام، أشرف على مؤسسة «كتاب كوجه» الذي يضم جميع أنواع التراث الشعبي من كلمات وحكم وأمثال.

اشتغل مع الإذاعة والتلفاز والسينما والمسرح، قام بالترجمة، وعمل فترة استاذاً في الجامعة، عمل في إطار الأدب الحديث، ولم يترك التحقيق والنقد في التراث الأدبي القديم، نعم لم يترك أسلوباً يمكن أن يوصل خطابه إليه إلا جربه ونجح فيه.

كان ديمقراطياً في التعامل مع أصدقائه، وحرّاً راديكالياً في التعامل مع الأدب والتراث، وعالمياً في التعامل مع القضايا الإنسانية وحتى الأدبية، وعاطفياً في التعامل مع الناس.

وفي كلمة واحدة لقد كان شاملو رجلاً موسوعياً وشخصية متعددة الكفاءات.

والخلاصة هي أن شاملو ظل أربعين عاماً في قلب اهتمام المجتمع المثقف، وفي الصميم من التوجهات المثيرة للجدل. ويعود جزء من هذه الجاذبية

### الهوامش

١. الضباب والسمة، ورائد التراب، وليلاً، قصائد معربة للشاعر شاملو.

٢. الانقلاب الذي نظمته الأمريكان ضد حكومة مصدق الوطنية، وأعادوا بعده الشاه محمد رضا بهلوي إلى السلطة.

٣. جميع المعلومات والآراء المنقولة في هذا المقال، مأخوذة عن كتاب «شختنامه شاملو» نشر قطره (طهران ١٩) بقلم كاتب المقال.

٤. نيماء بوشيج راند الشعر الحر في إيران وصادق هدايت أحد أشهر كتاب القصة الإيرانيين.

٥. بما يعادل ريالاً سعودياً.

٦. طبع حتى الآن ٦ مجلدات من سلسلة «كتاب كوجه» ويشمل الحرفين (أ) و (ب)، ويشمل الكتاب جميع الأمثال الشعبية والعامة والقسم والدعاء والأدب الشفوي للناس، وهو مرجع مهم للكتاب والباحثين في إيران.

٧. وهي فيلم (ون قليج داماد = ون قليج عريساً)، وفيلم (باوه، شهري از سنك = باوه مدينة الحجر).



تعقيباً على:

## مخطوط نادر للفيروز آبادي

مخطوط نادر للفيروز آبادي  
تمتيز الموشن في التعبير بالسين والتشبيه هذه هي عنوان  
الكاتب الذي صدر عن الدار المصرية اللبنانية  
للغزير آبادي (ت: ١٩٧٠هـ) صاحب كتاب القاموس المحيط. قام  
لتحقيقه أحمد عبد الله باجور، وتذكر أنه عثر على مخطوطة  
الكتاب في مكتبة المخطوطات بالسنحة الشريفة، وهو لم ينشر.  
محققاً تحقيقاً علمياً، وإن كان قد طبع مرتين الأولى في عام  
١٩٧٧هـ في القاهرة، والثانية في سنة ١٩٧٧هـ في الجزائر.  
ولد الفيروز آبادي في كازرون قرب شبراخية سنة ١٢٩٩هـ.  
وأحب اهتمامه على علوم اللغة ففرغ فيها، وبعد كتابته  
«القاموس المحيط» من أشهر المصنفات في مجال اللغة، وله

على ذلك الأستاذ سامي سلطاني معلم اللغة الفرنسية.  
فتحت عنوان «مخطوط نادر للفيروز آبادي»، ذكرت  
«الفصل» أنه قد نشر كتاب «تعبير الموشن في التعبير  
بالسين والتشبيه» للفيروز آبادي بتحقيق أحمد عبد الله  
باجور، وقد ذكرت أنه لم ينشر محققاً تحقيقاً علمياً، وإن  
كان قد طبع مرتين الأولى في عام ١٩٧٧هـ بالقاهرة،  
والثانية في سنة ١٣٢٧هـ في الجزائر.

ليست مجلة «الفصل» الغراء، مجرد مساحة للمتعة  
والترفيه الثقافي، بل هي مصدر مهم من مصادر الثقافة  
والفكر والإبداع العربي، لذا يعد ما ينشر فيها مرجعاً  
للباحثين والقراء على السواء؛ من أجل هذا أبعث إليكم  
بهذا التعليق حول الخبر الذي نشر في العدد ٢٨٨  
(سبتمبر ٢٠٠٠م) في الملف الثقافي. وهو رد متأخر  
قليلاً نتيجة لظروف توزيع المجلة بالجزائر، لولا أن نبيها

## التربية البيئية مفصل إسلامي يسائر العصر

التربية البيئية  
صلاح الدين شروخ  
هذا الكتاب  
إذا سلمنا بما للرد إليه الأبحاث العلمية الحديثة التي تقول إن مشكلة التلوث  
البيئي الناتجة عما كسبت أيدي الناس بما أظهروا من قساة في أهر والصحراء، والغلاف  
الجوي المحيط بهما، هي من أكبر مشكلات عصرنا. وبعد العصور القديمة، ينبغي  
النظر في المرواح التي تتفرق في الهواء، فالتلوث البيئي أم بيئية أم بشرية؟  
ولا يخفى على من عاين هذا العالم من التلوث  
البيئي، فالمشكلة لا تقتصر على التلوث  
البيئي، بل هي مشكلة إنسانية، فكل من يتأمل في هذا  
العالم يرى أن التلوث البيئي هو مشكلة إنسانية، فكل من يتأمل في هذا

- الهدف الأساسي الذي يرمي إليه هذا المصطلح في  
المجتمع الإنساني.  
- الرؤية الإسلامية لمضمون التربية البيئية.  
أولاً: الهدف الأساسي الذي يرمي إليه هذا المصطلح  
في المجتمع الإنساني ما يأتي:  
- ضرورة الحد من التدمير البيئي وتلوث الموارد  
الطبيعية.  
- تعميق التفكير في الحفاظ على البيئة لكونها مهمة  
ليست مقصورة على قطاع دون آخر من المجتمع؛  
فالحفاظ على البيئة عمل جماعي متعدد الأطراف  
تشارك فيه جميع قطاعات المجتمع رجالاً ونساءً.

الموضوعات الجيدة التي تنشرها الصحف والمجلات  
تفرض على المطلع قراءتها لكونها تحمل الجديد والمفيد.  
والفصل إحدى المجالات التي تحسن انتقاء الموضوعات  
التي تطرحها بين يدي قرائها في مختلف الأعداد،  
وكانت مقالة الأستاذ صلاح الدين شروخ في عدد شوال  
١٤٢١هـ رقم ٢٩٢ «التربية البيئية» داعية للتقدير أولاً،  
ومثيرة للفكر ثانياً. ولقد أثارت الفكر ليست لأنها تناولت  
موضوعاً عصرياً، بل لأن هذا الموضوع إلى جانب أنه  
قضية إنسانية فهو قضية دينية. وإذا كانت التربية البيئية  
مصطلحاً يتردد في الآونة الأخيرة بين المهتمين  
بالدراسات البيئية، فلنا أن نتوقف أمام ملاحظتين:







# مملكة الكتاب تاريخ الطباعة في المغرب

مراجعة: عبدالعزيز صالح الصقبي  
الرياض - السعودية



## مملكة الكتاب

تاريخ الطباعة في المغرب

فوزي عبدالرزاق

تعريب: خالد بن الصغير

الرباط: منشورات كلية الآداب  
والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة  
محمد الخامس، المغرب. سلسلة:  
نصوص وأعمال مترجمة، رقم ٣.

## بحث دائم

المتتبع لمسيرة حياة الدكتور  
فوزي عبدالرزاق العملية  
والعلمية يلاحظ أن اهتمامه  
بالدراسات المغاربية يعود إلى  
خريف عام ١٩٦٩م حين  
ابتعث من العراق إلى الجزائر  
للتعريب. وفي عام ١٩٧٢م  
هاجر إلى الولايات المتحدة  
الأمريكية، ولم يتخذ اهتمامه  
بالمغرب اتجاهاً عملياً إلا مع  
نهاية عام ١٩٧٧م حين عين  
أميناً للمجموعة العربية بخزانة  
جامعة هارفرد، وأنيطت به  
مهمة اختيار الكتب وفهرستها،  
حينها بدأ اهتمامه بالمصنفات  
المغاربية ومجموعة مطبوعات  
فاس الحجرية. أنجز عدة

بحوث حول تاريخ شمال إفريقيا حصل بموجبها على شهادة الماجستير  
من جامعة بوسطن، بدأ بعد ذلك بالبحث حول التعريب في شمال  
إفريقية، ثم قرر تغيير موضوعه وتسخير طاقاته لدراسة تاريخ الطباعة  
في المغرب، وبعد موافقة إدارة الخزنة من خلال رئيس شعبة دراسات  
الشرق الأوسط شرع في تجميع المعطيات (البibliوغرافية) لمطبوعات  
فاس وتصنيفها، فقد زار عدداً من حوانيت الكتب القديمة في بلدان  
المغرب والجزائر وفرنسا وبريطانيا وأمريكا، وتكللت تلك الجهود بتراكم  
مئات العناوين التي مكنت من توافر التغطية الوثائقية للمرحلة الممتدة من  
عام ١٨٦٤م تاريخ دخول الطباعة إلى المغرب إلى عام ١٩٤٦م التي  
يزعم أنه تم خلالها تحطيم آخر آلات الطباعة الحجرية بفاس على أيدي  
السلطات الفرنسية.

(مملكة الكتاب) عنوان اختاره بوعي مطلق الدكتور فوزي  
عبدالرزاق، فهو في هذا الكتاب لا يرصد حركة الطباعة وتاريخها في  
المغرب بقدر ما يطرح رؤية شاملة للتغيرات الحضارية التي كانت وراء  
بداية صناعة الطباعة بالذات في المغرب العربي. وهذا الكتاب هو  
أطروحة نال بها درجة الدكتوراه من جامعة هارفرد عام ١٩٩٠م تناول  
فيه تاريخ الطباعة في المغرب في الفترة من ١٨٦٥ إلى ١٩١٢م، وقد  
كانت تحت العنوان الآتي:

The Kingdom Of Book: The History Of Printing as an Agency  
of Change In Morocco Between 1865 and 1912, Ph. D.,  
1990, Boston University.

وقد قام بتعريب الكتاب الأستاذ خالد بن الصغير الذي أصدر النسخة  
العربية منه عبر سلسلة نصوص وأعمال مترجمة من ضمن منشورات  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط جامعة محمد الخامس، فقد أوضح  
سبب اختياره لهذا الكتاب والصعوبات التي واجهته خلال تعريب  
الكتاب.

## أسئلة متعددة

طرح خالد بن الصغير في مقدمته للكتاب أسئلة متعددة تمكن فوزي  
عبدالرزاق من تقديم إجابة شاملة عنها، من هذه الأسئلة: لماذا كان  
المغرب آخر الدول التي أقبلت على استعمال الطباعة على الرغم من  
قربه الشديد من الغرب؟، هل كانت لديه رغبة في الانطواء؟ ولماذا قاوم  
المغاربة فكرة التغيير في مجال صناعة الكتاب قروناً عدة؟ ثم ما الظروف  
التي تسببت في تغيير مواقفها للاتجاه صوب الأنظمة الحديثة؟ وما الدور  
الذي قامت به نقابة (تكنولوجيا) الطباعة في تحريك عملية الانتقال إلى  
التحديث في المغرب؟ وما الأطراف التي كانت تستفيد من المساهمة في  
إنتاج الكتاب وصناعته سواء في عصر المخطوطات أم في عصر  
الطباعة؟ وما الأصول الاجتماعية والمناطق الجغرافية التي كان ينحدر  
منها المساهمون في صناعة الكتاب؟ إضافة إلى عدة أسئلة تتعلق بحركة  
الطباعة والأدبيات التي طبع، والتي ربما من أهمها: لماذا غاب الاهتمام  
بإنتاج الأدبيات الإبداعية والعلمية، وتم التركيز على الأدبيات الفقهية  
والصوفية والسياسية؟



### منهجية البحث والتوزيع

ينقسم الكتاب تسعة فصول، وقد قسمها المؤلف من حيث الموضوع ثلاثة أقسام أو محاور، خصص المحور الأول منها لدراسة الظروف المحيطة بصناعة الكتاب في المغرب قبل دخول الطباعة، وقد كانت مصادره في هذه الدراسة المخطوطات غير المنشورة، والمصادر الثانوية، ثم المقابلات المثمرة التي أجراها مع العارفين بأسرار الخط العربي. المحور الثاني قدم فيه دراسة تناولت اختراع الطباعة وانتشارها في العالم الإسلامي، وقد اعتمد في دراسته على هيئة نصوص ووثائق متداولة، ومن أهمها كتاب سونوفيلدر وكتاب راوكوت اللذان تحدثا عن خصوصيات الطباعة الحجرية التي كانت سائدة في فاس إلى حدود عام ١٩١٢م، بالإضافة إلى رسالة إبراهيم متفرقة «وسيلة الطباعة». والمحور الثالث، وهو جوهر الدراسة وموضوعها المركزي - كما يوضح في مقدمته - خصص لتاريخ الطباعة والآثار المترتبة على استعمالها سواء على المخزن والعلماء، أو على الطابعين والناشرين، أو على إنتاج المنشورات الفكرية والعلمية بالمغرب خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٨٦٥ و ١٩٢٠م، وبصورة عامة اعتمد في هذه الدراسة على عدد مهم من المواد والمصادر الرئيسية منها والثانوية، ولاسيما مطبوعات فاس الحجرية التي تتضمن دلالات عميقة ليس بفضل محتوياتها فحسب، بل في الوقت نفسه نتيجة للتفاصيل والمعلومات النفيسة الموجودة على صفحاتها الأخيرة والمتعلقة بالطباعة في المغرب إذ كان لابد من تلك التفاصيل لتوثيق تاريخ الطباعة في المغرب بالنسبة إلى الفترة الممتدة بين عامي ١٨٦٥ و ١٩٢٠م.

### صناعة المخطوطات

يعدّ البحث في مجال صناعة المخطوطات من الأمور الصعبة والمعقدة بسبب ندرة المعطيات وعدم اقتحام الباحثين ذلك المجال، هذا ما دفع المؤلف في دراسته لصناعة المخطوطات قبل دخول الطباعة إلى المغرب إلى الاعتماد على روايات شخصية للناسخين والخطاطين، إضافة إلى المعلومات الواردة في الصفحات الأخيرة للمخطوطات، ومن جانب آخر ما ورد في كتب التراجم المشتملة على معلومات عن حياة العلماء والكتاب، وعن مختلف الأنشطة التي كانوا يزاولونها، ومن هنا انطلق في دراسته للحديث عن أحمد الرفاعي الذي توفي عام ١٨٤٦م وهو من أبرز محترفي الخط والنسخة في زمانه، له مخطوط لم يطبع حتى الآن بعنوان «حلية الكتاب» دون فيه تجربته التعليمية في مرحلة الشباب مع وصف لمراحل الكتابة الخطية، وتكمن أهميته في ما تضمنه

من تفاصيل تتعلق بمجال النسخ، حيث أورد الرفاعي ثلاث نقاط أساسية، أولاها: حول الخط في أشكاله وتجلياته المختلفة ثم الدلالات التي تحملها تلك الأشكال للتعليم والثقافة، فقد عرّف نوع الكتابة السائد في المغرب بالخط المغربي، ويعتقد أنه وصل إلى بلدان شمال إفريقيا عبر مصر والقيروان والأندلس، وإلى الآن لم يوثق الموضوع بما فيه الكفاية، ومن أنواع الخطوط الخط السوسي، والخط الزمامي الذي يستعمل لتحرير الرسائل المخزنية لفائدة السلطان، والخط المبسوط المميز بالسهولة والوضوح ويستعمل لنسخ النصوص القرآنية؛ أما بالنسبة إلى النساخ وهي النقطة الثانية التي أوردتها الرفاعي في المخطوط فقد كان في المغرب في النصف الأول من القرن التاسع عشر قرابة التسعين ناسخا مقسمين ثلاثة أصناف: الأول: عدد من أبناء الأسر السلطانية وكبار موظفي المخزن، والثاني: من أبناء أسر الأعيان بالمراكز الثقافية الرئيسة كفاس وتطوان والرباط وسلا ومراكش ووزان، والصف الثالث نساخ ينتمون إلى أصول ومناطق متباينة، ولا ينتمون إلى الفئات المحظوظة داخل المجتمع العربي. أما النقطة الثالثة التي أوردتها الرفاعي فتدور حول إنتاج الكتاب وهوية العناصر الأكثر استعمالا للكتب؛ فيوجد من النساخ من يحكمون ناحية الصنعة مثل الرفاعي، أو يتميز إنتاجهم بالقلعة، مثل الزهراوي، والبقال، والبصري، والغزوي، فقد حرروا نسخا لفائدة مختلف الأعيان وموظفي المخزن، ولأفراد من الأسرة السلطانية أيضاً، وهناك كتاب وناسخون كانوا في خدمة فئات أكثر ثراء في المجتمع المغربي، ولهم مهارة فنية أرقى مما هو معروف لدى كتاب، مثل الرفاعي، من هؤلاء النساخ القندوسي، أما الجانب الشعبي في صناعة



زخرفة تزيينية تفصل بين مقالات كتاب الطوسي

الكتاب فيمثله المعطي التادلي الذي نسخ ما مجموعه ألف نسخة ما بين كتاب دلائل الخيرات للجزولي والقرآن الكريم.

### أدبيات ما قبل الطباعة

من خلال الجرد الذي قام به المؤلف لما تركه نحو تسعين ناسخاً في الفترة من ١٨٠٠ إلى ١٨٦٥م خلص إلى أن غالبية الكتب التي نسخت كانت تتناول ميادين الحديث والفقه والتصوف وعلوم الشريعة، فمن أدبيات الحديث صحيح البخاري وما يرتبط به من الشروح والحاوashi، ومن أدبيات الفقه الإسلامي الموطأ لمالك بن أنس، والمختصر للشيخ خليل بن إسحق. ويلاحظ أن العلماء المغاربة كانوا خلال القرن التاسع عشر على بيئة من علوم إسلامية متعددة، كاللغة والشعر والنحو والطب والتاريخ وعلم الفلك وغيرها من العلوم، ويأتي في المرتبة الثالثة ضمن



الموضوعات التي تناولتها مؤلفات تلك المرحلة التصوف الذي وصفه الكاتب أحمد الرفاعي أنه علم الحقائق والأسرار، وقد ناقش المؤلف أمور الزوايا: مكانتها وزعامتها وأتباعها ومستوى نفوذها الاجتماعي، والزوايا هي المراكز الرئيسة للنشاط الروحي والاجتماعي في المغرب.

### تاريخ الطباعة

قبل أن يتطرق إلى الحديث عن بدايات الطباعة في المغرب خصص الدكتور فوزي عبدالرزاق الفصلين الثالث والرابع لسرد تاريخ الطباعة وتطورها في أوروبا والعالم الإسلامي، فقد أورد معلومات موثقة ومفيدة، من ذلك أن أول إنجاز عمل مطبوع يعود إلى عام ١٧٥ ميلادية على يد الصينيين الذين توصلوا إلى إنتاج الورق قبل خمس وسبعين سنة من ذلك التاريخ، على الرغم من محاولات الطباعة تلك في الصين ومن ثم في بلدان الشرق الأقصى، تعد الطباعة اختراعاً أوروبياً صرفاً، لأن غوتنبرغ تمكن من صناعة أداة نموذجية تطبع عن طريق الضغط

## منع السلطان العثماني بايزيد وخلفاؤه مدة قرنين من الزمن رعاياهم المسلمين من استعمال الطباعة، وسمح السلطان مراد للأوربيين بتوزيع سلعهم بما فيها الكتب العلمية فقط، وفي عهد محمد الفاتح في الخمسينيات من القرن الخامس عشر أصبحت الطباعة قيد الاستعمال أول مرة

باستعمال حروف طبعة على ورق خاص، مستخدماً حبراً أوروبياً يدخل عنصر الزيت في تركيبه، على عكس الحبر الصيني الذي يستخدم فيه الماء. والذي حقق التميز للطباعة في أوروبا كون النيات التحتية على المستوى الاجتماعي والسياسي والتربوي كانت مساعدة، على عكس الصين وكوريا والعالم الإسلامي، إضافة إلى ملاءمة الظروف الاقتصادية. من جانب آخر احتاج غوتنبرج إلى خمسين ألف قطعة لطباعة الكتاب المقدس، في حين يحتاجون إلى مليون قطعة لطباعته باللغة الصينية أو الكورية، أما بالنسبة إلى اللغة العربية فهي قريبة من اللاتينية فتحتاج إلى مئات الألوف من القطع. وفي عام ١٤٥٧م أتم غوتنبرغ طباعة الكتاب المقدس، وخلال الثلاثينيات من القرن السادس عشر أقدم طابع إيطالي من البندقية - التي أصبحت منذ عام ١٤٦٩م من المراكز الأساسية لسوق الكتاب - يدعى الساندرو باكانيو دي باكانيي على إصدار نسخة مطبوعة من القرآن، وقد كانت تجربة مخففة لوجود عدد من الأخطاء في الرسم الإملائي للكلمات بالإضافة إلى الابتعاد بصفة كلية عن احترام التقليد الإسلامي المعمول به في نسخ القرآن وفقاً لنموذج مصحف عثمان.

ولإعطاء صورة كاملة لإنجاح عملية الطباعة سلط المؤلف الضوء على مفهوم التدبير في معناه المتعلق بالتنظيم وبالقوة البشرية لتسيير أعمال ورشة أو دار للطباعة، وأيضاً بالمهارات التي يتطلبها إنجاز عملية الطباعة.

وتعد الإمبراطورية العثمانية أول دولة إسلامية سمحت بدخول الطباعة إلى أراضيها، ويعتقد أن أحد اليهود المبعدين من إسبانيا يدعى داود نهمة فتح ورشة للطباعة في إستانبول وتمكن من طباعة أول كتاب عام ١٥٠٣م، ومن تلك السنة حتى عام ١٥٩٣م تمكنت بعض الأسر اليهودية أمثال آل جيرسون وباغبير من إصدار مئة عنوان لفائدة يهود إستانبول الذين كان يقدر عددهم بثلاثين ألفاً، ومن الملاحظ قيام السلطان العثماني بايزيد عام ١٤٨١ - ١٥١٢م وخلفائه مدة قرنين من الزمن بمنع رعاياهم المسلمين من استعمال الطباعة مع السماح لغير المسلمين من يهود ونصارى بالطباعة بالعبرية واللاتينية والأرمنية. وقد ناقش المؤلف أسباب موقفهم تجاه الطباعة. وفي عام ١٥٨٨م سمح السلطان مراد للأوربيين بتوزيع سلعهم بما فيها الكتب العلمية فقط سواء أكانت مكتوبة بالعربية أم بالفارسية أم بالتركية. وفي عهد محمد الفاتح في الخمسينيات من القرن الخامس عشر أصبحت الطباعة قيد الاستعمال أول مرة، إذ كان للفاتح ميول للمخترعات والمصنوعات الأوربية، وبعد أول حاكم إسلامي يعتمد على خدمات مهندس مسيحي يوناني في وضع تصميم الجامع الكبير في إستانبول.

ومن رجال الدولة والعلماء العثمانيين خلال القرن السابع عشر عالم يدعى حاجي خليفة، واشتهر باسم كاتب جليل عرف بمطالبتة بالاعتباس من الأوربيين وتبني تقنياتهم، مما أدى إلى دخول الطباعة، فقد أرسله إبراهيم باشا مع ابنه سعيد لعقد تحالف سياسي مع الفرنسيين إضافة إلى معرفة معالم الحضارة، وبناء عليه كتب سعيد جليل التماساً للسلطان بطلب إنشاء دار للطباعة، وخلال عام ١٧٢٥م أو ١٧٢٦م حصل على هيئة رسالة صادق عليها شيخ الإسلام عبدالله أفندي بالسماح له باتخاذ إجراءات إنشاء دار للطباعة، وقد أسندت مهمة الإشراف على تسييرها إلى محترف الطباعة المجري إبراهيم متفرقة، وقد كانت الموافقة مشروطة بعدم طباعة النصوص الإسلامية بما فيها القرآن والأحاديث النبوية والنصوص الفقهية، إضافة إلى كتب علم الكلام؛ لأن تلك الكتب لها علاقة بالألوهية. ولعدم خبرة إبراهيم متفرقة الكافية استعان بأحد اليهود العاملين في إحدى ورش الطباعة في إستانبول، إضافة إلى استقدامه صافين فرنسيين لتشغيل الآلة، وفي عام ١٧٢٨م صدر أول كتاب طبع تحت إشراف متفرقة، وعندما توفي عام ١٧٤٥م توقفت أعمال دار الطباعة.

وخلال الثمانينيات من القرن الثامن عشر أقدم السلطان سليم الثالث على مبادرة إحياء الطباعة مع التزام نهج أسلافه في عدم السماح بطباعة النصوص الإسلامية، وقد بدأ بعض المسلمين مثل عبدالله الأفندي بالتدريب على بعض الأشغال المتعلقة بالطباعة مثل تحضير الحروف.

وبعد العالم العثماني المستعرب محمد حقي أبرز نموذج في إطار الحديث عن المجموعة الأولى التي انتقلت فيها النصوص الإسلامية إلى العربية، فقد وضع عشرة تعاليق أبرز فيها فوائد الطباعة ومزاياها، يعتقد



### الطباعة والتحويلات في المغرب

في القسم الثالث من الكتاب ولمعرفة مدى التأثير أو التحويلات التي أحدثتها الطباعة في المغرب تناول المؤلف المساهمة التي كانت لمختلف عناصر المجتمع المغربي في ميدان الطباعة، فقد بدأ بدراسة المخزن والطباعة موضحاً أن ثمة أربع مراحل تدخل فيها المخزن في ميدان الطباعة وهي:

أولاً: الإشراف المخزني المباشر على الطباعة، فقد تم اختيار موضع لمؤسسة الطباعة الجديدة بزنقة: «جزء برقوق» في فاس، بعد ذلك تم توظيف العمال الضروريين لتشغيلها؛ بالإضافة إلى الخبير المصري القباني تم تعيين القاضي والعالم أبي حفص عمر الرندي مصححاً ومساعداً للطابع محمد بن سليمان الخطاط، إضافة إلى عشرين معاوناً منهم محمد الطيب الأزرق الذي عرف فيما بعد بأنه أول طابع محترف في المغرب، في الفترة بين عامي ١٨٦٥ و ١٨٧١م. لم ينتج المغرب سوى ستة عناوين بمعدل ٣٠٠ نسخة لكل عنوان وهذا يعود للعبء المالي الذي كلفته المؤسسة، إضافة إلى أن المخزن لم يكن لديه الرغبة في إحداث تغيير في طبيعة سوق الكتاب التقليدية، من جانب آخر فقد كان لمساهمة المخزن في الإشراف المباشر على الطباعة جانب إيجابي بسبب الجمع بين تخصصات مختلفة تحت سقف واحد.

ثانياً: الانتقال إلى القطاع الخاص واستخدامه من طريق المخزن كأداة دعائية، وقد أورد المؤلف عدة أمثلة لذلك، منها أمر السلطان المولى الحسن في عام ١٨٨٢م بطبع عدة نسخ من كتاب «إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للغزالي» لمؤلفه مرتضى الزبيدي، ومن المحتمل أن سبب الاهتمام كان نابعاً من نسب الزبيدي وكثرة أتباعه في المغرب.

ثالثاً: التقنين والتنظيم المخزني للطباعة، وقد تمثل ذلك بصور «ظهير ٧ فبراير عام ١٨٩٧م» المنظم لمختلف أنشطة الطباعة، والذي يتكون من ست نقاط رئيسة تعكس ثلاثة اهتمامات أساسية: الأولى: جودة المنتج، والثانية: حماية الناشرين، والثالثة: الحاجة إلى الحصول على رخصة السلطات المخزنية قبل الإقدام على طبع أي كتاب. وقد كان قاضي فاس رئيساً للجهاز الذي يمنح الترخيص لطباعة الكتب، وثمة بعض الملاحظات حول «ظهير ٧ فبراير عام ١٨٩٧م»، ومنها أن الظهير يعد النصوص الإسلامية سلعة يجب أن تخضع لمراقبة المتسبب في فاس، إضافة إلى أنه يعد دليلاً على مخالفة التقليد، بحيث إن السلطان أصبح يتدخل في تنظيم أعمال الطباعة وسوق الكتاب، بينما

أن تأليفها كان في عام ١٨٣٩م، وقد أورد المؤلف موازنة بين متفرقة في مقالته «وسيلة الطباعة» وحقي في المبادئ العشرة، إذ وجد أنه بقدر ما توجد نغمة تشابه كبيرة بينهما، توجد نغمة اختلاف واضحة بين سياق رسالتهما، وإجمالاً لم تحظ الطباعة بالقبول التام إلا مع حلول القرن التاسع عشر.

### الطباعة المبكرة في المغرب

أوضح المؤلف في دراسته عن بواكير الطباعة في المغرب، وهو المحور الرئيس في الكتاب، أنه ربما يعود تاريخ الطباعة في المغرب إلى السنوات الأولى من القرن السادس عشر، إذ يعتقد أن اليهودي صمويل إسحاق أنشأ داراً للطباعة العبرية في فاس، وتمكن من إصدار خمسة عشر عنواناً بين عام ١٥١٦ أو ١٥٢٤م، وهو هنا يمثل حالة الأقليات، وهناك شك حول هذه المطبعة. من جانب آخر أورد عدة إشارات متعلقة بالطباعة في المغرب، منها التقرير الإخباري الذي نشرته جريدة بريد مصر الفرنسية بالقاهرة عام ١٧٩٩م عن محمد القاسي، وإشارة أخرى وردت ضمن رحلة محمد الصفار الذي دون فيها أخبار رحلته إلى فرنسا بين عامي ١٨٤٥ و ١٨٤٦م ووصفه الدقيق لآلة الطباعة وكيف تطبع. ثمة رحلة ثانية جاءت بعد مرور خمسة عشر عاماً، بعد أن تمكن الإسبان من احتلال تطوان عام ١٨٦٠م، فقد وقع الاختيار على إدريس العمراوي ليذهب سفيراً إلى الديار الفرنسية لتلمس وسائل تقوية المغرب وحفظ كيانه، وقد كان إدريس فقيهاً استطاع التدرج في المراتب المخزنية حتى أصبح وزيراً في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، فوجه دعوة مباشرة إلى السلطان لتبني الطباعة؛ هذه الدعوة لم تنفذ بسبب هزيمة تطوان واستنزاف خزينة الدولة، بالمقابل ترك السلطان الباب مفتوحاً للمبادرة الفردية التي اتخذها أحد رعاياه وهو محمد الطيب الورداني الذي جلب أول آلة طباعة إلى المغرب عام ١٨٦٤م، واستقدم خبيراً مصرياً في الطباعة، ويقال: إنه ذهب إلى مكة والمدينة لأداء العمرة وعند عودته عن طريق القاهرة اشترى مطبعة حجرية وتعاقد مع مصري خبير في الطباعة اسمه محمد القياتي، هذه المطبعة لم تذهب إلى مدينة تارودانت كما أراد حيث لم تتجاوز مدينة مكناس مكان إقامة السلطان، لذا فقد انتقلت المطبعة إلى المخزن ربما عن طريق الشراء أو الإهداء، وربما عن طريق المصادرة. ونقلت المطبعة إلى فاس بطلب من الخبير محمد القياتي عام ١٨٦٥م، وبقيت تحت خدمة السلاطين والعلماء حتى أربعينيات القرن العشرين، وقد أدت دوراً طلائعياً في إحياء الإسلام والتربية والتعليم.



خاتمة أرجوزة هدية المبتدئين



في نحو الثمانينيات من القرن التاسع عشر أي بعد عقد من انتقال الطباعة من المخزن إلى القطاع الخاص ارتفع صوت وحيد من العلماء التقليديين يعارض الطباعة هو محمد السباعي من مدينة مراكش، حيث ألف «رسالة في الحض على الاعتناء بالتأليف الخطية والتحذير من الكتب المطبوعة وبيان أنها سبب في تقليل الهمم وعدم حفظ العلم ونسيانها»، وقد عرف السباعي بأنه حاد الطبع له موقف معارض ربما لأن أصوله موريثانية، إضافة إلى سحب البساط منه كمرجع حافظ لتوافر الكتاب المطبوع.

وقد أورد المؤلف الأدوار التي قام بها العلماء في الطباعة:

**أولاً: العلماء وأعمال النسخة:** لقد كانت في المغرب ثلاث فئات من النساخين بين عامي ١٨٧٢ و ١٩١٢م: الفئة الأولى من أمثال أبناء ابن سودة محمد والوافي والفاطمي عرفوا بكونهم نساخين فقط، والفئة الثانية من أمثال عبدالرحمن الكتاني والبوعزاوي اللذين كانا يمارسان النسخة وعملية التصحيح في آن واحد، والفئة الثالثة من أمثال ابن الخياط وابن المواز وكانا يسلمان للطابعين مبيضاتهما التي لم تكن في حاجة إلى التصحيح.

**ثانياً: العلماء وأعمال التصحيح:** من المحتمل أن تكون عملية التصحيح قديمة لدى المسلمين قدم نسخ الكتاب، والهدف من التصحيح إنجاز نسخة سليمة من الأخطاء.

عرفت الفترة ما بين ١٨٦٥ و ١٩١٢م وجود عدد من المصححين البارزين، مثل محمد القادري والصقلي والمهدي الوزاني

وجعفر الكتاني وأحمد البوعزاوي، وهو أنشطهم وأهمهم.

**ثالثاً: العلماء والتأليف:** وجد في الفترة الممتدة ما بين عامي ١٨٦٥ و ١٩١٢م أكثر من سبعين مؤلفاً، وأكثرهم شهرة أحمد البلغيثي وأحمد سكيري وعبدالله بن خضراء ومحمد اكسسوس وأحمد الناصري وعبد السلام الهواري وعبدالرحمن بن زيدان، إضافة إلى عدد من أسرة الكتاني وكنون وماء العينين الذي عرف بأن جزءاً كبيراً من الكتب التي طبعت في المغرب بين عامي ١٨٩١ و ١٩٠٠م كان من مؤلفاته.

**رابعاً: العلماء وأعمال النشر:** كانت عملية النشر تعني تمويل المنشورات وتوزيعها، وفي الفترة ما بين ١٨٧٢ و ١٩١٢م وما بعدها يبدو أن الغالبية العظمى من بين أكثر من سبعين عالماً ومؤلفاً قد مولوا منشوراتهم الخاصة بأنفسهم، باستثناء ماء العينين وعدد من أفراد الأسرة الكتانية الذين نشرت أعمالهم على أيدي أتباعهم، أو على نفقة المحسنين؛ إن غالبية الكتاب والمؤلفين أهملوا الإشارة إلى أنهم هم الذين تحملوا بأنفسهم أعباء نشر أعمالهم ومؤلفاتهم، مثل ابن الخياط وعبدالله

جبرت العادة أن تكون القضايا المتعلقة بالكتب من اهتمامات العلماء. وبصورة عامة فإن أهم ملاحظة على «ظهير ٧ فبراير عام ١٨٩٧» إدخال عنصر الرقابة مع تنظيم المهام التقليدية.

**رابعاً:** عودة المخزن للإشراف على الطباعة، في عهد السلطان مولاي عبدالحيظ (١٩٠٨ - ١٩١٢م) حين حاول فرض مراقبته الكاملة على آلات الطباعة سواء بمصادرتها أو بالإقدام على شرائها بحيث جعلها تحت إشرافه المباشر. في عام ١٩٠٨م كان في كل من مدينتي فاس وطنجة ستة طابعين معروفين يستخدمون أربع آلات للطباعة أو خمساً، وهناك آثان أو ثلاث للطباعة الحجرية. في الفترة بين عامي

١٨٦٥ و ١٨٧١م استعملت الطباعة لإنتاج كتب ذات طابع تعليمي وتربوي، وفي عام ١٨٨٢م ساهم المخزن والقطاع العام في توزيع آفاق الطباعة التي بدأت تشمل النصوص العلمية في مختلف الحقول المعرفية، وبخاصة في الميدان السياسي، وخلال الثمانينيات طبعت كتيبات وكراريس في موضوع الجهاد، مثل كتاب الكرودوي «كشف الغمة»، وفي الفترة بين عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٩م تعرض المغرب لهزة بسبب ثورة بوحمارة الذي رفضه علماء فاس، إذ أصدروا كتيباً بعنوان «بيان علماء فاس»، وقد أثرت تلك الأحداث في حركة الطباعة. وفي عام ١٩٠٤م أنشأت المفوضية الفرنسية جريدة باللغة العربية في مدينة طنجة بعنوان «السعادة»، وهي ضد المخزن، وقد اتضح ذلك من خلال افتتاحيتها، بالمقابل تعد «لسان المغرب» أول جريدة مغربية وكانت رداً

من قبل المخزن في طنجة على جريدة «السعادة»، فقد طلب المخزن من الأخوين اللبنانيين فرج وأرتور نمور بتأسيسها، هذه الجريدة تحولت إلى منبر مفتوح لمناقشة الأفكار الإصلاحية إضافة إلى تعريفها بسياسة المغرب الداخلية، وقد خلص المؤلف إلى مساهمة المخزن وتدخله في ميدان الطباعة الذي بدأ عام ١٨٤٦م وانتهى عام ١٩١٢م، وعند فقدان المغرب استقلاله كان لهما تأثيرات عدة في التحولات التي حدثت في المغرب، مثل إدخال مفهوم جديد يجمع عدداً من المهارات والتقنيات تحت سقف واحد.

### العلماء والطباعة

حينما كانت الطباعة تحت إشراف المخزن المباشر بين عامي ١٨٦٤ و ١٨٧١م لم يعرف وسط العلماء أي اعتراض واضح على الطباعة بسبب تهديد بعض العلماء، مثل الصفا والعمرابي، بل إن بعض العلماء ساهموا في تقديم مساندتهم للطباعة، مثل الرندي اللجائي والعربي المنشرفي.



الصفحة الأولى من كتاب نصير الدين الطوسي



الساحة مائلاً للطباعة الجديدة إلى حدود عام ١٩٠٠م، وبعد ذلك لم يظهر اسم اليملاحي سوى مرتين في عامي ١٩٠٢ و ١٩١٠م، وهو أحد تلامذة العربي الأزرق.

رابعاً: الذويب «الطابع الأيديولوجي»: رابع الطابعين المغاربة البارزين، الرجل الوحيد المدير لأعمال مؤسسته، الذي يحتمل أنه دخل الطباعة بين عامي ١٨٩٥ و ١٨٩٦م في سياق البرنامج الذي وضعه أحمد بن موسى لإضفاء شعبية كبيرة على شخص ماء العينين، ركز الذويب في طباعة الكتب الدينية والأدبيات التعبدية والأشعار في مدح الرسول والأولياء الصالحين، صادر السلطان مولاي عبدالحفيظ مطبعة الذويب خشية من إنشاء دولة دينية، وتوفي في السجن عام ١٩١٠م، وكان قبلها تحول إلى طابع يعمل لمصلحة المخزن بعد مصادرة مطبعته.

خامساً: أحمد يعني: وهل كان عميل العثمانيين في فاس؟ لقد اكتنفت شخصيته وأعماله الغموض، يعتقد أنه من سورية التي كانت في ذلك الوقت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، ربما كان الدليل على ذلك اختباره

مجلة «المقتبس» التي كانت تصدر في سورية للتعريف بأعماله هناك، إضافة إلى أن أشكال الحروف في مطبعته مشرقية شبيهة بالموجود في سورية، وربما كان أحد الذين أنتجتهم المدرسة التبشيرية، مثل جورج زيدان، أو هو مبعوث العثمانيين إلى فاس بهدف التأثير في التوجهات السياسية للبلاد. أنشأ يعني مؤسسة للطباعة تعتمد في إنجاز مطبوعاتها على المطبعة ذات الحروف المتحركة في فاس بين عامي ١٩٠٥ و

١٩٠٦م، وهي آلة حديثة تتجاوز إمكانات الطباعة فيها الطباعة الحجرية أربع أو خمس مرات، وفي عام ١٩٠٩م اشترى السلطان مولاي عبدالحفيظ مطبعته ذات الحروف المتحركة ليضع حداً لنشاطه.

سادساً: الناشرون المنفردون: بسبب الرغبة في تحقيق دخل مادي وأهداف مالية إضافة إلى الأهداف المعنوية على المستوى الاجتماعي، وابتداءً من عام ١٨٧٩م إلى عشرينيات القرن العشرين، ظهرت أسماء نحو عشرين فرداً مرة أو مرات على خواتم المطبوعات الفاسية كمساهمين فرديين في أعمال النشر، وغالبيتهم من أسر شريفة النسب ومن أسر الأعيان.

#### الإنتاج الفكري في المغرب وعلاقته بالطباعة

قسم المؤلف أصناف الأدبيات من عام ١٨٦٥ - ١٩٢٠م، في معرض حديثه عن الإنتاج الفكري في المغرب، أربعة أصناف: الصنف الأول: مواضيع تقليدية في التصوف والشريعة. الصنف الثاني: الأدبيات السياسية، أكثر المواضيع بروزاً ووجوداً. الصنف الثالث: أدبيات الإصلاح. الصنف الرابع: الأدبيات الإبداعية.

بن خضراء والمهدي الوزاني، ربما السبب التواضع أو رغبتهم بالحفاظ على مكانتهم بوصفهم علماء، وليسوا رجال أعمال.

#### الطابعون والناشرون وعلاقتهم بالطباعة

كان في المغرب بين ستينيات القرن ١٩ وعشرينيات القرن العشرين تسعة طابعين مغاربة وأجانب، وعشرون فرداً اهتموا بالنشر، وقد قدم المؤلف عبدالرزاق تعريفاً لخمسة محترفين، وهم:

أولاً: الطيب الأزرق رائد الطباعة في المغرب: بعد رحيل الطابع المصري القبطاني طلبت جماعة أهل العلم أن يكون الأزرق مسؤول الطباعة في سبتمبر/أيلول ١٨٧١م، ولكنه تردد في البداية للظروف المالية، ثم وافق مع شريك يدعى الحسين الدباغ. استمرت هذه الشراكة حتى عام ١٨٧٦م، ومن التجديدات التي أحدثها الأزرق: نظام طباعة الصفحات وترقيمها.

- تحديد وظائف الطباعة والطرائق الخاصة بتدبير شؤونها.

- إقدامه على طبع القرآن الكريم عام ١٨٧٩م، فأصبح أول طابع

مغربي يحقق ذلك الإنجاز.

لم يطبع الأزرق بالألوان لعدم معرفته بذلك على الرغم من توافر إمكانات الطباعة بالألوان في ذلك الوقت.

بلغت النسخ الصادرة عن المؤسسة بين الثمانية آلاف والعشرة آلاف نسخة، ويعد ذلك خطوة جبارة في عصره، وقد كانت مضامين الكتب التي نشرها غالباً تحتوي على مضامين تعليمية أو كتب علمية، ربما لقربه من جامع القرويين.

ثانياً: العربي الأزرق: وهو الأخ الأصغر للطيب والذي تميز عهده بتعزيز مكانة الطباعة الأخيرة وابتناجه الغزير خلال السنوات الطويلة التي احترف فيها الطباعة بين عامي ١٨٧٦ و ١٩١٤م، وسبب نجاحه هو حذقه وطول باعه في صناعة الطباعة، والكتب التي طبعها أعلى جودة من حصيلته المكي بن إدريس، حينما تعاقد مع المخزن لطبع «شرح الخوجة على تحرير أصول الهندسة» لإقليدس في عام ١٨٧٦م. وزوده المخزن بمقادير من الورق ذات الجودة العالية والحبر الرفيع، فأصبح أول منتج بجودة إصدارات الطابع المصري، عرف العربي بحبه للاستطلاع، ورغبته في التعلم، فوفق في تركيب حبر خاص، وتمكن من إصدار أكثر من مئة عنوان بين عامي ١٨٧٦ و ١٩١٤م.

ثالثاً: أحمد اليملاحي ومؤسسته الفردية: سبب ارتفاع حجم الكتب التي طبعها أو نشرها لا يعود إلى جودة منتجاته، بل كان أحد المنتفعين بالحد من هيمنة الأخوين الأزرق على صناعة الطباعة، وقد تمكن من إنشاء مؤسسة للطباعة، وهو فقيه وعدل، بدأ اهتمامه بالطباعة عام ١٨٨٨م حين مول نشر كتاب «الشفاء» للقاضي عياض الذي طبع في مطبعة العربي الأزرق، وفي عام ١٨٩٢م برز اسم اليملاحي على



### أولاً: التصوف والعلوم الفقهية

تناول المؤلف في حديثه عن أدبيات التصوف الفهارس والإحصاءات (البليوغرافيا) حول المطبوعات الفاسية التي نشرها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال مع الباحث الجزائري محمد بنشنب والتي اشتملت على ٤٠٥ عناوين، إذ اتضح أن الكتب ذات العلاقة بالتصوف تتجاوز مقدار الربع بين عامي ١٨٦٥ و ١٩٢٠م، وأدبيات التصوف خمسة أنواع: الأدبيات التقليدية (الكلاسيكية)، وأدبيات المذاهب النبوية، والكتابات المعروفة بالحزب، والأدبيات التسويغية أو الدفاعية، والكتابات السيرية. وقد استطاع المغاربة أن ينتجوا بين عامي ١٨٦٥ و ١٩٢٠م أكثر من ٣٨٠٠٠ نسخة من كتب التصوف، معظمها موجه لعامة الناس، وهذا هو خلاف ما هو معروف سابقاً.

أما علوم الفقه والشرعية فقد احتلت كتب الفقه المالكي الحيز الأكبر ضمن الكتب المطبوعة بين عامي ١٨٦٥ و ١٩٢٠م منها: كتاب «الموطأ» لمالك، و «مدونة سحنون»، و «مختصر الشيخ خليل»، و «شرح الخرشي على مختصر خليل»، وهناك شروح جزئية مثل كتاب القلصاوي «إرشاد المتعلم عن تعليم الميراث»، وهو لعامة الناس، بعد الشروح هنالك الجامعات التي تتميز بضخامة تأليفها وتعد مراجع، مثل «المعيار المغرب» لأحمد الونشريسي ١٢ مجلداً نشرته جماعة علماء فاس عام ١٨٩٦م و «المعيار الجديد» فاس عام ١٩١٠م تأليف المهدي الوزاني، وهي تحوي فتاوى مختلفة للعلماء، وهناك نصوص مقتضبة تتضمن فتاوى لمشاهير العلماء، مثل «الأجوبة الصغرى» لعبد القادر الفاسي...

### ثانياً: الأدبيات السياسية

أوضح المؤلف أن الأدبيات السياسية لم تكن جديدة في حد ذاتها، بل هي قديمة قدم الحضارة الإسلامية، ولكنها بفضل الطباعة أصبحت خطيرة على المخزن، كما هي خادمة لأغراضه لسهولة شيوع الأفكار بواسطتها، وفي المغرب لا يوجد سوى عدد بسيط لا يتجاوز العشرين عنواناً من المؤلفات التي اهتم فيها علماء مغاربة بمعالجة قضايا الساعة السياسية مثل: قضية الجهاد ضد البلدان الأوربية، وقضية الحرية بمفهومها الإسلامي أو بمفهومها الغربي، وقضية التعاون بين المسلمين، وقضية استهلاك المسلمين للسلع الأوربية، كالشاي والسكر والشمع، وقضية الضرائب، وقضية تحديث الجيش.

وتضمن الكتاب عرضاً لكتاب جعفر الكتاني «نصيحة أهل الإسلام»، وتحدث عن الأسرة الكتانية والكتب المنسوبة إليهم.

### ثالثاً: أدبيات الإصلاح

تعد من الأعمال ذات الدلالة الخاصة، وهي ترمي إلى إصلاح أحوال المغرب، وقد أورد المؤلف أمثلة لبعض الكتب التي تدور حول هذا

الموضوع مثل: «أصول أسباب الرقي الحقيقي» لأحمد محمد الصبيحي الذي توقف عند حياته الخاصة والعملية، وأشار إلى أنه أقدم على خطوة جديدة وهي تسجيل حقوق تأليفه حماية له من عبث العابثين، و «الإنصاف» لمحمد بوجندار، و «الداء والدواء» لعبد الحفيظ الفاسي.

### رابعاً: الأدبيات الإبداعية

تضمن الكتاب مثلاً وحيداً وهو قصة القاضي والسارق مؤلف مجهول، وهي شبيهة بحكايات ألف ليلة وليلة. وهذه القصة تقع في كراس صغير من ثماني صفحات ليس هناك إشارات إلى تاريخ النشر ولا إلى الطابع ولا حتى إلى الفنان الذي نجح في وضع رسم معبر عن روح القصة.

### خاتمة واستنتاجات

خرج المؤلف في نهاية هذا البحث المتميز بعدة استنتاجات، فقد أوضح أن ثمة تحولات وتغيرات ذات علاقة مباشرة وغير مباشرة باستعمال الطباعة، وأول التحولات وأكبرها وأهمها التغير التدريجي الذي حصل على مستوى موقف المسلمين من تلك التقنية (التكنولوجيا) وما تمثله من أبعاد مختلفة، وقد خلص إلى أن من الأسباب التي جعلت المغاربة ينتظرون مدة طويلة قبل أن يتبنوا تقنية الطباعة ليست مرتبطة بتثبيث علماء المغرب بتعاليم المذهب المالكي، بل هي مرتبطة أيضاً بغياب الحاجة الملحة إلى خدمات آلة الطباعة.

ومن تأثيرات الطباعة في المستوى الاقتصادي أنها ساهمت في إدخال مفهوم جديد يتعلق بالجمع بين عدد من المتخصصين تحت سقف واحد، وساعدت المؤلفين على ضمان حصولهم على مداخيل إضافية؛ وعلى المستوى السياسي وجد كل من السلاطين والعلماء وزعماء الطرق الصوفية في الطباعة وسيلة دعائية فعالة في الداخل والخارج، إضافة إلى الدعوات الإصلاحية وسن قوانين الرقابة؛ وعلى المستوى التربوي والتعليمي ساعدت الطباعة على إحداث عدد من التحولات في المغرب، فقد شرع كثير من الطلبة في اللجوء إلى الكتب المطبوعة لاستعمالاتهم الخاصة، أما من الناحية العلمية فقد مكنت الطباعة من المساعدة على الرفع من جودة الكتب المعروضة على جمهور المتعلمين، أما على المستوى الفكري فقد أسهمت في تطور طريقة التفكير بالمغرب إضافة إلى استهداف عقول القراء بالأنماط الكتابية الجديدة الذي استحدثت في مجال الكتابة، كما ساعدت الطباعة على إغناء اللغة العربية بمصطلحات جديدة. وأخيراً خرج الدكتور فوزي عبدالرازق برؤية مفادها أن الطباعة لم تكن مجرد عامل مكن من الحفاظ على المعرفة وصيانتها، بل كانت أيضاً من عوامل التغيير التي ساهمت في صناعة التاريخ المغربي خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.



## مسابقة الفيصل

### أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٩١)

رمضان ١٤٢١هـ - نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠٠م

- الفائز الأول: محمد أحمد حجاج - مصر.  
الفائز الثاني: هشام حسن سعيد - تونس.  
الفائز الثالث: عبدالمجيد سيف مقبل ثابت - اليمن.  
الفائز الرابع: شفيق محمد عثمان حمد الله - الأردن.

### حل مسابقة العدد (٢٩١)

- (١) لا يحمل الحقد من تعلو به الرئب ولا ينال العلا من طبعه الغضب  
(٢) كتاب أسرار الكيمياء هو لـ: جابر بن حيان.  
(٣) رمضان مأخوذ من: رمض الصائم يرمض إذا حرّ جوفه من شدة العطش.  
(٤) بني المسجد الحرام قبل المسجد الأقصى بـ: ٤٠ عاماً.  
(٥) تم حذف السؤال الخامس لحدوث خطأ مطبعي فيه.

### أسئلة مسابقة العدد ٢٩٤

ضع علامة ☒ أمام الإجابة الصحيحة

- (١) من قائل هذا البيت: عرفت بما جريت أشياء جمّة ولا يعرف الأشياء إلا المجرب ☐ الشريف الرضي ☐ العباس بن الأحنف.  
(٢) العشر، الزعفرانة، الهجيمة: ☐ أسماء لأحياء قديمة في مكة المكرمة ☐ أسماء لعيون مغذية لمكة المكرمة.  
(٣) الفوتون: ☐ إحدى وحدات الكلام الصغرى ☐ وحدة الكم الضوئي.  
(٤) ابن باجّة: ☐ شاعر عباسي، تميز شعره بالنصاعة والشفافية ☐ فيلسوف عربي أندلسي، شرح عدداً من كتب أرسطو.  
(٥) الكوزموبوليس: ☐ الاسم الفيدرالي (الاتحادي) للشرطة الأمريكية ☐ مدينة يتألف سكانها من عناصر اجتمعت من مختلف أرجاء العالم.

ص.ب:

الاسم:

الرمز البريدي:

العنوان:

هاتف:

المدينة:

ناسوخ:

الدولة:

### الجوائز

### طريقة اختيار الفائزين

### شروط المسابقة

- الجانزة الأولى:  
١٥٠٠ (الف وخمسمئة ريال سعودي).  
الجانزة الثانية:  
٧٠٠ (سبعمئة ريال سعودي).  
الجانزة الثالثة:  
٥٠٠ (خمسمئة ريال سعودي).  
الجانزة الأخيرة:  
(اشترك لمدة عام في مجلة الفيصل).

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.  
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.  
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وقرعة أخيرة للفائز الأخير.  
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.  
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.  
- إرسالها خلال ٥٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.  
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.  
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

### عنوان المجلة:

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - فاكس: ٤٦٤٧٨٥١



صدر حديثاً عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية  
King Faisal Center for Research and Islamic Studies



Mohammed AL-Osaimi

# The Politics of Persuasion

The Islamic Oratory of

King Faisal Ibn Abdul Aziz

KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH  
AND ISLAMIC STUDIES

Riyadh

2000



# أهل التاريخ

تزوير المخطوطات والوثائق في معهد  
القيصل لتنمية الموارد البشرية

الثقافة العربية وتحديات الألفية الجديدة

الصحافة الفرنسية تسترد حريتها

الإلكسو ومواجهة تهويد القدس

معارض للإبداع الأدبي والفني  
وجوائز ثقافية

اختفاء وثائق السد العالي



خاتمة المطاف:

المراصد

الكبرى في

مراغة وسمرقند



## تزوير المخطوطات والوثائق



الأمير تركي الفيصل



الأمير خالد الفيصل

رعى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية في يوم ٢٠ ذي القعدة الماضي حفل توزيع شهادات الدورة التخصصية «التزوير في المخطوطات والوثائق» التي تعد أولى دورات هذا العام التي ينظمها معهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية التابع لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية قد افتتح أعمال الدورة في ٢ ذي القعدة.

وبأتي عقد هذه الدورة للتنبيه على ما للتزوير من خطر على تراث الأمة من المخطوطات والوثائق، وما يتعرض له هذا التراث من هجمة شرسة بدوافع كثيرة عقديّة ومادية وأدبية. وكشف المزورين وطرائقهم والأساليب التي يتبعونها، والكيفية التي تخرج عليها المخطوطات المزورة، وتزويد المتدربين بالمهارات اللازمة للتعرف إلى المخطوطات المزورة، وإطلاعهم على بعض التجهيزات الحديثة التي تساعد على كشف التزوير. وقد التحق بهذه الدورة عدد كبير من المتدربين من المملكة العربية السعودية، وباقي دول مجلس التعاون الخليجي. وشارك في إلقاء المحاضرات نخبة من المتخصصين في هذا المجال منهم: الدكتور عبدالستار الحلوجي أستاذ علم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور عباس طاشكندى عميد شؤون المكتبات بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، والأستاذ الدكتور قاسم السامرائي، والدكتور عابد المشوخي من جامعة الملك سعود، والدكتور عمر الشيخ الأصم، والدكتور محمد وقيع الله من أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، وحسن طاهر داود من كلية الأمير سلطان الأهلية، ونايف الشرعان من مؤسسة النقد العربي السعودي، وعبدالله المنيف من مكتبة الملك فهد الوطنية، وغيرهم.

## شخصيات عربية في نهضة المملكة

في خطوة تكاد تكون الأولى في عالمنا العربي أن تنهض الدولة لترصد وتوثق نتاج الخبرات التي وفدت إليها وخدمتها في سنوات التأسيس، تقوم مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، من أجل هذا الهدف، بوضع موسوعة كبرى في تراجم الأعلام الذين خدموا المملكة العربية السعودية في بدايات النهضة الثقافية والحضارية في جميع القطاعات الأدبية والصناعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، ويسير هذا المشروع على خطين متوازيين: الأول: مهمته جرد الكتب والدوريات العربية التي ترجمت لهؤلاء الرواد.

والثاني: يختص بحصر الأخبار التي توثق كتابياً عن طريق المقابلات الشخصية والحوارات مع من بقي من هؤلاء الرواد أو أبنائهم أو تلامذتهم وحفظها.

ويتناول هذا المشروع الفترة من سنة ١٣١٩ - ١٣٨٤ هـ الموافق ١٩٠٢ - ١٩٦٤ م، وقد جُند له الكثير من الإمكانيات المادية، والفرق العلمية المؤهلة من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ومن أساندة الجامعات، والمهتمين من الباحثين.

ويشتمل هذا المشروع الموسوعي على تراجم مهمة قد تصل إلى ٢٠٠ ترجمة، لأعلام كثير ما سمعنا بهم من أمثال: حافظ وهبة، وخير الدين الزركلي، والقرقي، ورشيد رضا، ومحمد بهجة البيطار، والدكتور رشاد فرعون، ومدحت شيخ الأرض الطبيب الخاص للملك عبدالعزيز، والشيخ علي الطنطاوي، وغير هؤلاء. كما وضعت المكتبة في خطتها أن يكون هذا المشروع - الذي يتوقع بداية صدوره خلال عام ٢٠٠١ م - نواة لقاعدة معلومات كبرى عن الملك عبدالعزيز آل سعود، تكون في متناول المستفيدين والباحثين بعد صدور المشروع.

## نوادير في مزاد خيري



الأمير نواف بن فيصل بن فهد

أقيم في صالة رجال الأعمال التابعة للغرفة التجارية في الرياض معرض ومزاد خيري، لمصلحة لجنة أصدقاء المرضى مدة أسبوع في الفترة من ٢٠ - ٢٧ يناير/ كانون الثاني الماضي، نظمتها مؤسسة «عبر الأقمار للتراث والتحف»، برعاية صاحب السمو الملكي الأمير نواف بن فيصل بن فهد بن



د. الباز بعد ذلك إلى استعراض الواقع العربي. وبعد أن تناول المحاضر «الحوار العربي» في شقيه، فتح المجال للإجابة عن الأسئلة المتنوعة للحضور ومنها: سؤال عن قضية الحوار العربي الإسرائيلي، وسؤال ثانٍ عن دور الجامعة العربية في تأكيد الحوار العربي العربي، وسؤال عن استعدادات الثقافة العربية لقبول الرأي الآخر.

### الثقافة العربية وتحديات الألفية الجديدة



محمود أمين العالم

نظم مركز الدراسات الإستراتيجية في الجامعة الأردنية وجامعة بيرزيت في فلسطين في الفترة بين ١٩ و ٢٢ يناير/ كانون الثاني الماضي، ندوة ثقافية عربية عُقدت في العاصمة الأردنية عمان تحت عنوان «الثقافة في الوطن العربي.. تحديات الألفية الجديدة وآفاق التنمية الثقافية»، بهدف تفعيل الحوار بين الاتجاهات الفكرية العربية المختلفة، بمشاركة ٥٠ باحثاً ومثقفًا. وناقشت الندوة موضوعات حول إشكاليات الثقافة العربية وتحديات الألفية الجديدة والإسقاطات الثقافية للانتفاضة الفلسطينية وأهميتها في صياغة خطاب ووجدان عربيين، كما تناول النقاش في هذه الندوة دور الثقافة العربية في مواجهة تحديات القرن الجديد والعلمانية والتدين في الوطن العربي وقضايا الديمقراطية والتحول الديمقراطي في الدول العربية المعاصرة. ومن أهم الأسماء التي شاركت في الندوة: الدكتور محمود أمين العالم، وفريدة النقاش، والدكتور حسن حنفي، والدكتورة هويدا عدلي، والدكتور عزيز العظمة، والدكتورة دلال البزري، والدكتور فواز طرابلسي، والدكتور مصطفى حمارة، والدكتور هشام شرابي، والدكتور عزمي بشارة، والدكتور مضر قسيس.

### الشخصيات المكرمة في الجنادرية

صدر عن اللجنة التنفيذية للمهرجان الوطني السادس عشر للتراث والثقافة (الجنادرية) كتيب إعلامي بعنوان «الشخصيات السعودية المكرمة»، ضم سيراً ذاتية للشخصيات السعودية التي كرمها مهرجان الجنادرية منذ

عبد العزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب. اشتمل المزداد على تحف وأعمال تراثية، ومجوهرات، وسجاد، وأسلحة فردية قديمة ونموذج للسياح «ذو الفقار» وهو سيف الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أهده للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - الذي صنع منه ٣٠٠ نسخة فقط -، كما احتوى المعرض على مجموعة كاملة من إصدارات الطوابع السعودية التي يرجع بعضها إلى عهد الملك عبدالعزيز، وكذلك المجموعة الكاملة للإصدارات السعودية من العملات المالية الورقية والمعدنية، إضافة إلى بعض الرسائل الملكية.

### الحوار العربي العربي



أسامة الباز

ألقى الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي للرئيس المصري يوم الجمعة ١٩ من يناير/ كانون الثاني الماضي، محاضرة بعنوان «الحوار العربي العربي»، أدارها الأستاذ تركي السديري رئيس تحرير صحيفة الرياض، ضمن فعاليات المهرجان الوطني السادس عشر للتراث والثقافة (الجنادرية)، بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات في الرياض.

انقسمت المحاضرة قسمين:

القسم الأول منها فكري تناول المحاضر فيه قضايا الحوار: تعريفه، وأنواعه، وأهدافه، وآدابه، ومنهجه، وضروراته. وأما في القسم الثاني، وهو القسم السياسي، فقد تناول فيه الموضوع الرئيس في المحاضرة وهو موضوع «الحوار العربي العربي» في سبيل التوصل إلى صيغة من التراضي والتجمع والتكامل الاقتصادي، وقد أكد الباز أهمية هذا الحوار بالقول: «كلما نجحت الأقطار العربية في التوصل إلى بناء توازن قوي يقوم على اجتذاب معظم الدول العربية للتفاعل الطوعي الإرادي في إطار معين، اتجهت العلاقات العربية - العربية نحو التعاون، وعلى العكس عندما تزداد التأثيرات الخارجية في هذه العلاقات، فقد اختلف الناس حول أن يؤدي ذلك قطعاً إلى انكاس الحوار وجعله أكثر صعوبة، وبين أن تكون المؤثرات الخارجية حافزاً لأطراف الحوار على المضي قدماً والإصرار على التوصل لقاسم مشترك واحد»، وانتقل



وقد صرح الدكتور عبدالله بن سعود السعود المدير العام المكلف لوكالة المتاحف السعودية بالوكالة لصحيفة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ ٢٨ يناير/ كانون الثاني الماضي حول هذا الموضوع: «إن هذا المسح والتوثيق يأتيان ضمن أنشطة وكالة الآثار والمتاحف لعام ٢٠٠٠م. واستكمالاً لمشروع مسح وتوثيق «طريق التجارة القديمة» الذي يبدأ في مدينة صنعاء وصولاً إلى مكة المكرمة. وأنجزت أعمال المسح والتوثيق على أربع مراحل، وزع العمل فيها على أربعة أجزاء ابتداءً من صنعاء، واكتمل العمل بالفعل في مكة المكرمة التي خصص لها المسح المرحلة الأخيرة أو الجزء الأخير. وقد بدأت الأولى عام ١٩٨٨م، وتلتها المرحلة الثانية عام ١٩٩٧م، وانطلقت المرحلة الثالثة عام ١٩٩٩م، أما المرحلة الرابعة والأخيرة فقد استكملت هذا العام وتم خلالها تسجيل وتوثيق ٣٤ موقعاً ومحطة على الطريق من محافظة تربة مروراً بمحافظة الطائف ووصولاً إلى مدينة مكة المكرمة».

و المعروف عن هذا الطريق أنه من الطرق المشهورة في الجزيرة العربية منذ القدم، وكان يستخدم في رحلات الحج ورحلات التجارة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وعرفت برحلات الشتاء والصيف، وقد تميز بالأجزاء المرصوفة منه ووجود محطات لاستراحة المسافرين، بالإضافة إلى وجود علامات إرشادية للمسافرين، وقد تناول عدد من الباحثين السعوديين هذا الطريق في كتبهم.

### صدر «كشاف القناع»

أصدرت وزارة العدل السعودية المجلد الأول من كتاب «كشاف القناع عن الإقناع»، الذي حققته لجنة متخصصة في الوزارة لأهميته في الفقه الحنبلي ومجال القضاء والقضاء ولكتاب العدل وطلبة العلم.

كتب الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل مقدمة الكتاب أبرز فيها ما له من أهمية ومكانة عالية بين مؤلفات فقهاء الحنابلة، لكونه أشملها في المسائل والفروع، إذ يُعد بحق الجامع لفقه المذهب وأحد المراجع الرئيسة للقضاة في أحكامهم وإقضيتهم.

وأكد آل الشيخ أن الوزارة أولت الكتاب عنايتها بإخراجه للقضاة وطلبة العلم في صورة محققة تحقيقاً علمياً روعى فيها تخريج الأحاديث وتوثيق النقول ما أمكن، وذلك



الشيخ حمد الجاسر

تنظيمه سنة ١٤٠٥هـ، وهم: الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، والأستاذ محمد بن عيسى العقيلي، والأستاذ حسين عرب، والأستاذ محمد حسن فقي، والفريق يحيى بن عبدالله المعلمي رحمه الله، وشخصية العام الثقافية لدورة (جنادرية ١٦) الأستاذ عبدالكريم الجيمان. يذكر أن اختيار شخصية ثقافية - ليُتم تكريمها في كل عام - تقليد بدأ منذ عام ١٤١٦هـ.

### القوزي في مجمع اللغة العربية في دمشق

تم مؤخراً اختيار الدكتور عوض بن حمد القوزي الأستاذ بجامعة الملك سعود عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق. وقد جاء هذا الترشيح بناءً على نشاط الدكتور القوزي الثقافي الواسع في مجال خدمة اللغة العربية، إذ قدم كثيراً من البحوث والدراسات العلمية شملت تحقيق عدد كبير من كتب التراث اللغوي، كما شارك في عدد كبير من الندوات والمؤتمرات التي تعالج موضوعات اللغة منهجاً وأسلوباً. ويقوم الدكتور القوزي الآن بتحقيق «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨هـ، ويعد هذا الكتاب أكبر أثر لغوي نحوي عرفته اللغة العربية.

### طريق التجارة القديم



نقوش إسلامية في إحدى مراحل الطريق

قام عدد من الباحثين التابعين لوكالة الآثار والمتاحف في وزارة المعارف السعودية بإنجاز أعمال المرحلة الأخيرة من مسح وتوثيق «طريق التجارة القديم» الذي يعود تاريخه إلى ما قبل الإسلام، وكان يربط بين اليمن والحجاز ممتداً من صنعاء إلى مكة المكرمة.



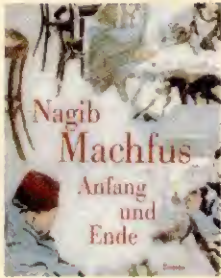


البردوني

وقد انتظمت اللجنة التحضيرية العليا للمؤتمر في اجتماعات متواصلة للإعداد لمؤتمرات فروع الاتحاد الثمانية الموزعة على عدد من محافظات الجمهورية تمهيداً لعقد المؤتمر العام الذي من المتوقع أن يحضره أكثر من مئة مندوب من الفروع، إضافة إلى أعضاء

المجلس التنفيذي والأمانة العامة للاتحاد. ويحيى هذا الاجتماع في ظل غياب كثير من رموز الاتحاد ومؤسسيه التاريخيين الذين رحلوا عن هذه الدنيا في غضون ثلاثة أعوام، أبرزهم الشاعر عبدالله البردوني، الذي رأس الاتحاد في السبعينيات، وعمر الجاوي الذي رأس الاتحاد طوال عقدين كاملين، ثم يوسف الشحاري الذي رأس الاتحاد منذ عام ١٩٩٣م حتى وفاته في شهر سبتمبر/أيلول الماضي. كذلك فقد الاتحاد عدداً من ناشطيه ومؤسسيه أمثال الروائي والقصاص زيد مطيع دماج، وشاعر العامية عبدالله سلام ناجي، والناقد عدنان أبو شادي.

### بداية ونهاية



غلاف الكتاب

«بداية ونهاية» هو عنوان رواية الأديب المصري نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل للآداب، صدرت مؤخراً باللغة الألمانية عن دار النشر السويسرية «أونيونس-فيرلاغ». وتنتمي هذه الرواية إلى ما يسمى بمرحلة الواقعية النقدية، وهي المرحلة التي سبقت تحول الأديب محفوظ إلى الرمزية والمعالجات السياسية المباشرة في «الثلاثية» و«أولاد حارتنا».

وتدور أحداث الرواية في مدينة القاهرة عام ١٩٣٣م تحديداً حول أسرة متواضعة الحال تتكون من ثلاثة أبناء وأهمهم وشقيقتهم الوحيدة، وتعرضت الأسرة لفقد عائلها فعاش أفرادها في سلسلة من المشكلات والمآسي، وقد سبق أن تحولت هذه الرواية إلى فيلم سينمائي نال شهرة واسعة. وقد قامت بنقل الرواية إلى الألمانية دورس كيلياس، التي نقلت معظم أعمال الروائي المصري إلى الألمانية.

بواسطة لجنة من المتخصصين.

واستعرض تحقيق هذا السفر الجليل ذكر ترجمتين مختصرتين لصاحب «القناع» ثم «الكشاف»، مع التنبيه على بعض الكلمات والعبارات التي سقطت من الطباعات المتداولة، والعناية بفرز متن الإقناع عن الكشاف، وتمييز المتن بجعله بين قوسين، والتعليق على المسائل العقدية التي تخالف اعتقاد السلف الصالح. كما يستعرض الكتاب تخريجاً للأحاديث والآثار التي ذكرها المؤلف، مراعيًا في تخريج الأحاديث ذكر من ذكرهم المؤلف ولو كان فيهم من هو أولى بالتقديم، ثم يذكر من رواه زيادة على من ذكرهم المؤلف، والعزو إلى الصحيحين إذا كان الحديث فيهما أو إلى أحدهما. وتعمل وزارة العدل على مواءمة إخراج الكتاب، فقد صدر الجزء الأول ولا يزال الجزء الثاني والثالث تحت الطباعة.

### معرض الإنتاج الفكري النسائي

نظم القسم النسائي بمكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض «المعرض الأول للإنتاج الفكري والعلمي والإبداعي للمرأة السعودية» في الفترة من ٤ إلى ٢٣ فبراير/شباط الماضي.

رمي المعرض إلى التعريف بالإنتاج الفكري والإبداعي للمرأة السعودية، وإبراز دور المرأة السعودية في المشهد الثقافي المحلي والعربي، كما رُمي إلى تسليط الضوء على حركة التأليف والنشر للمرأة السعودية وتتبع نتاجها المطبوع؛ ليتم حصره وتوثيقه.

تضمن البرنامج الثقافي المصاحب لفعاليات المعرض أمسية شعرية شاركت فيها الشاعرة والكاتبة ثريا العريض، ومحاضرة بعنوان «المتغيرات التعليمية والاجتماعية وأثرها في النشر» للدكتورة خيرية السقاف، ومحاضرة بعنوان «المرأة والبحث والإبداع والمعوقات» للدكتورة سعاد المانع. كما عرضت مجموعة من المجسمات النحتية الحجرية للنحاتة التشكيلية حلوة العطوي.

### اتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين

تحدد مطلع مارس/ آذار القادم موعداً لعقد اجتماع المؤتمر الثامن لاتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين، بعد أن تأجل أكثر من ثمانية أشهر لأسباب تمويلية.



وقد سبق لعدد من المثقفين والفنانين الفوز بهذه الجائزة. منهم المسرحي المغربي الطيب الصديقي، والموسيقي العراقي منير بشير، ووزير العدل الأمريكي السابق رامسي كلارك.

### جديد «المعرفة»



غلاف المجلة

صدر العدد الجديد من مجلة «المعرفة» وهو يزخر بكثير من الموضوعات الأدبية والعلمية والثقافية، فجاءت الافتتاحية بقلم محمد بن أحمد الرشيد عن «عرس الثقافة والتراث»، ويقصد به مهرجان الجنادرية، هذا العرس السنوي الذي يزدهم بالندوات وحلقات البحث والمحاضرات والأسميات الشعرية.

وجاء ملف العدد لهذا الشهر عن «الأندلس» في محاولة لاستخلاص الدروس والعبر من تراثنا الحضاري، فتناولت نخبة من الكتاب هم: الفضل شلق، والطاهر مكي، وجمعة شيخة، وأحمد الدعيج، ومحمد العسري، وفريدة عزوز، وحسن الوراكلي، أسباب زوال حضارة عمرها ثمانية قرون انطفأ بريقها وخمد نورها، ولم يبق من معالمها سوى نقوش وزخرفات ونمنمات على سقوف الجدران.

وفي باب رؤى كتب علي القريشي عن «الخطوة الأولى لمواجهة العولمة: عملية جراحية كبرى لواقعنا الثقافي»، وجاء في باب إنترنت، موضوع عن صحيفة الغارديان البريطانية بعنوان «الطلاب البريطانيون لمعلميهم: نحن لا نشبه الخراف التي تساق بالعصا»، وكان الدكتور حمد الماجد مدير المركز الإسلامي الثقافي بلندن (سابقاً) ضيفاً على باب نصف الحقيقة، ورصد عبدالله القفاري في باب منصب في سبعة أيام «جائزة ثمينة لمن يعثر على (العقل العربي)». بالإضافة إلى موضوعات أخرى متنوعة جاءت تحت عدة أبواب.

### الصحافة الفرنسية تسترد حريتها

وافقت محكمة الاستئناف الفرنسية مؤخراً على إلغاء الفقرة ٢ من قانون عام ١٩٣١م بسبب أنها ما عادت منسجمة مع الميثاق الأوربي لحقوق الإنسان. وكانت الفقرة الملغاة تنص على منع الصحفي أو وسائل الإعلام المختلفة من الترويج لمضامين أية دعوى قضائية مازالت قيد الدرس

### جائزة أبي القاسم الشابي



أبو القاسم الشابي

قررت لجنة جائزة الشاعر التونسي الراحل أبي القاسم الشابي للقصة القصيرة لعام ٢٠٠٠م، أن يكون منتصف شهر يونيو/حزيران المقبل آخر يوم للترشيح لنيل هذه الجائزة التي يبلغ مقدارها ثمانية آلاف دينار تونسي مقدمة من البنك التونسي.

واشترطت اللجنة كذلك أن يكون

العمل المرشح لنيل الجائزة محرراً باللغة العربية، وأن يكون مخطوطاً أو مطبوعاً في طبعة أولى بعد الأول من شهر يناير/كانون الثاني عام ٢٠٠٠م، وألا يكون المؤلف قد شارك به أو نال عنه جائزة في دورة سابقة، واشترطت اللجنة كذلك أن يقدم الكاتب تأليفه بنفسه مرفقاً معه طلب ترشيح ولمحة عن حياته الأدبية.

### جائزة ثقافية لمحمد الدرة



محمد الدرة

نال الطفل الفلسطيني محمد جمال الدرة، الذي قتله الجيش الإسرائيلي في سبتمبر/أيلول الماضي بين يدي والده، والمصور طلال أبو رحمة الذي صور مقتله، جائزة التواصل الثقافي بين الشمال والجنوب لعام ٢٠٠١م، «عبارة تقدير لمعركة من أجل الكرامة والعدالة والحرية يخوضها أطفال بالحجارة ضد دبابات وطائرات» كما أعلن مانح الجائزة مهدي المنجرة.

والمعروف أن هذه الجائزة أسست عام ١٩٩١م، وتمول من عوائد حقوق النشر للكاتب المنجرة الذي كان مديراً للمجلة الدولية للاستطلاع «فيتيريل» وألف عدداً من الكتب منها: «الحرب من أجل الحضارة».



العالمي لقطع الطريق أمام القرصنة الإسرائيلية التي تسعى لتسجيل المدينة المقدسة على قائمة التراث العالمي كتراث يهودي، وتأجيل النظر في هذا الملف حتى الانتهاء من وضع القدس بوصفها مدينة محتلة.

### المسابقة الثقافية

#### للنادي الأدبي في جازان

أعلن نادي جازان الأدبي عن مسابقته الثقافية لعام ١٤٢١هـ/١٤٢٢هـ للمثقفين والأدباء من الشباب السعودي من الجنسين من داخل المملكة، وتتمحور حول الموضوعات الآتية:

- مجموعة شعرية لم تنشر من قبل في كتاب لا تقل عن خمس عشرة قصيدة.

- مجموعة قصصية لم تنشر من قبل في كتاب لا تقل عن خمس عشرة قصة.

وأعلن النادي أن الأعمال الفائزة تصبح حقاً من حقوق النادي مدة ثلاث سنوات من تاريخ نشر النتائج، كما أن للنادي حق طباعة الأعمال الفائزة إذا رأى ذلك دون الرجوع إلى الشاعر أو القاص.

وحددت الجائزة الأولى في الشعر أو القصة بمبلغ أربعة آلاف ريال أو شطرها في حالة المناصفة، والثانية بمبلغ ثلاثة آلاف ريال أو شطرها في حالة المناصفة، والثالثة بمبلغ ألفي ريال أو شطرها في حالة المناصفة، كما حدد نهاية شهر ذي الحجة ١٤٢١هـ آخر موعد لتقديم الأعمال.

ترفق المشاركة بصورة من الوثيقة الشخصية مع إيضاح العنوان البريدي ورقم الهاتف، ويقدم العمل من ثلاث نسخ مطبوعة أو بخط مقروء وترسل على صندوق البريد (١٦٠ جازان)، أو تسلم مزاولة لإدارة النادي.

### المؤتمر السنوي السابع

#### لتعريب العلوم

نظمت جامعة عين شمس والجمعية المصرية لتعريب العلوم المؤتمر السنوي السابع بالقاهرة في الفترة من ١ إلى ١٥ يناير/كانون الثاني الماضي، استمرراً لأداء رسالتها في دفع مسيرة التعريب. وقد اهتم المؤتمر هذا العام بقضية التعريب من منظور التنمية القومية على مستوى الأفراد والمؤسسات، وقد جاء ذلك في عدة محاور، منها: تقييم

أو حتى تبني وجهة نظر هذا الطرف أو ذاك. ويعد هذا القرار انتصاراً للصحافة الفرنسية التي كانت تطالب بإلغاء هذه الفقرة منذ ٧٠ عاماً، وكانت فرنسا قد تعرضت بسببها لعدد من المشكلات والقضايا التي رفعتها المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان ضدها بدعوى عدم التزامها ببند الميثاق الأوربي سواء في مجال الصحافة أو المتابعات القضائية وأحكام السجن، وكانت آخر هذه الإدانات في ٣ أكتوبر/تشرين الثاني الماضي بسبب بعض الإجراءات التي اتخذت ضد بعض الصحفيين بسبب نشرهم مقالات عن نوع معين من المرافعات، والذي عدته المحكمة الأوروبية «إساءة حقيقية إلى حق المجتمع بالتعرف على الحقيقة من خلال صحافة حرة وملتزمة في الوقت ذاته».

### الإلكسو ومواجهة تهويد القدس



مدينة القدس

انتخب المشاركون في أعمال الدورة الخامسة عشرة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الإلكسو» التي عقدت بتونس في الثاني والعشرين من يناير/كانون الثاني الماضي المرشح التونسي الدكتور المنجي بوسنيّة مديراً عاماً جديداً للمنظمة خلفاً للجزائري محمد الملي.

كذلك جدد المجلس التنفيذي للمنظمة لوكيل وزارة المعارف للشؤون الثقافية الدكتور إبراهيم الشدي رئاسة المجلس التنفيذي للمرة الثانية على التوالي ولدة عامين قادمين، كما اختار اللبناني هشام نشابة نائباً للرئيس، والموريتاني الحافظ ولد طلبة مقررًا للمجلس. وأقر المؤتمر في ختام اجتماعه ميزانية المنظمة للدورة المالية ٢٠٠١/٢٠٠٢م وحددها بـ ١٧ مليون دولار أمريكي.

وعلى سعيد القدس دعا المؤتمر المدير العام بالتعاون مع رئيس المؤتمر إلى السعي لدى منظمة اليونسكو ولجنة التراث



التعليم بالعربية في الكليات غير المعربة، وتقييم أداء الشعب التي تدرس بغير العربية في الكليات المعربة، وتعريب التعليم والعولة، وغير ذلك من المحاور. كذلك تضمن المؤتمر حلقتي نقاش عالجتا قضيتي «الجدوى الاقتصادية لمنظومة تعريب العلوم»، و«لغة التعليم في المدارس التجريبية والخاصة».

### الروائي الطاهر وطار في منتدى «اليوم»



الطاهر وطار

استضاف المنتدى الأسبوعي «فوروم» الذي تنظمه صحيفة «اليوم» المستقلة التي تصدر باللغة العربية في الجزائر ويحضره رجال الإعلام والشخصيات السياسية والثقافية، استضاف الروائي الجزائري الطاهر وطار الذي فاجأ رواد المنتدى عندما صرح أنه يتمنى

لو وصل الإسلاميون إلى الحكم في الجزائر ولو لعامين، حتى يقف الجزائريون على تجربة أخرى في إدارة الدولة ليست بالضرورة أسوأ من التجارب الأولى التي سبقتها في ممارسة الحكم، وأوضح وطار أنه لا يناصر للإسلاميين كما يصفه خصومه من الكتاب، ولكنه يتمنى حكم الجبهة الإسلامية للإنقاذ حتى يتم تنظيف البلاد، وعد وطار أن قانون الوثام المدني هو الحل الأمثل حالياً، وأنه حليف مرحلي لسياسة الرئيس بوتفليقة.

وتحدث وطار عن ظروف كتاباته ومواقفه منذ الخمسينيات من القرن الماضي حتى الآن، ورد على أسئلة عدد من الصحفيين وكان أغلبها سياسياً، منها سؤال حول «من قتل من؟» أجاب وطار: لماذا لا نرفع أصابع الاتهام نحو فرنسا ونوجهها دوماً للإسلاميين؟ وأشار إلى أن هناك عصابات مختلفة لها يد فيما يحدث في الجزائر.

### جائزة الإيسيسكو للشباب المبدعين

أعلنت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» عن تخصيص جائزة الإيسيسكو للمبدعين الشباب من الدول الأعضاء في مجال الآداب «شعر، قصة، رواية... إلخ» بإحدى اللغات الثلاث: العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية. وحدد يوم أول مايو/أيار ٢٠٠١م، آخر موعد

لقبول الترشيحات. بينما حدد يوم ٣٠ يوليو/تموز، موعداً لوصول الأعمال الأدبية الإبداعية المرشحة للجائزة. وسيقام في شهر أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م في مقر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة حفل تسليم الجائزة. وستحمل المنظمة تكاليف سفر الفائز بالجائزة وإقامته الكاملة، وستخصص للفائز جائزة مالية وتمنح له ميدالية الإيسيسكو.

وباب الترشيح لجائزة الإيسيسكو مفتوح في وجه الشباب الذين تراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٨ عاماً، من الدول الأعضاء المبدعين في أحد الأجناس الأدبية على أن تتوافر في العمل الأدبي المرشح جدة الموضوع، وتوجهه الإسلامي، وأصالة الرؤية ومعاصرتها، وفصاحة اللغة وسلامتها، ويجب أن يقدم العمل مطبوعاً على قرص حاسوب P.C، ولا يكون قد نشر أو أذيع أو رشح لجائزة أخرى.

وتقصد هذه الجائزة إلى تشجيع شباب العالم الإسلامي، وإبراز الكفاءات الأدبية الشابة المتميزة، وترسيخ القيم الحضارية الإسلامية في الإبداع الأدبي لدى الشباب.

وترسل الترشيحات إلى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (مديرية الثقافة والاتصال)، ص.ب: ٢٢٧٥، الرمز البريدي ١٠١٠٤، حي الرياض - الرباط - المملكة المغربية. الناسوخ: ٣٧٧٧٥٠٥٨ - ٣٧٧٧٧٤٠٥ (٢١٢)، البريد الإلكتروني: cid@isesco.org.ma.

### مختارات زكريا تامر



غلاف «عباد الله»

«عباد الله» عنوان مختارات قصصية للكاتب السوري زكريا تامر صدرت في السابع من فبراير/ شباط الحالي، ضمن سلسلة «كتاب في جريدة» وتشارك في إصدارها جريدة الرياض السعودية الصادرة عن مؤسسة اليمامة الصحفية، بالتعاون مع مؤسسة سلطان

العويس الثقافية، ومؤسسة الحريري، ومؤسسة صخر، ومنظمة اليونسكو.

وشملت المختارات عدداً من القصص القصيرة منها: «النمور في اليوم العاشر»، و«ملخص ما جرى لحمد الحمودي»، و«يا أيها الكرز المنسي»، وغيرها.





ناظم حكمت

في الحزب الشيوعي التركي المحظور، ومن ثم هجرته إلى الاتحاد السوفييتي السابق ووفاته هناك منفيًا عام ١٩٦٣م.

وأعربت فيرا تولياكوفا - حكمت أرملة الشاعر عن امتنانها للحكومة التركية التي قررت إعادة الجنسية لزوجها الراحل، وقالت في حديث

صحافي: «إن ناظم حكمت فقد الجنسية التركية حال مجيئه إلى موسكو في زيارة، وكان لديه حلم كبير في أن تزول العقبة بينه وبين تركيا التي أحبها من أعماق قلبه، لكي تعود إليه الجنسية التركية. وكان ناظم لا يتصور نفسه بعيداً عن شعبه الذي أحبه كثيراً وتألم من أجله، وكان في كل صباح ينتظر ورود أنباء من هناك. وفي صباح أحد أيام صيف عام ١٩٦٣م خرج من بيته لإحضار الصحف من صندوق البريد فسقط مفارقاً الحياة».

يذكر أنه قد تقدم في الخامس من نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي نصف مليون شخص بعريضة يطالبون فيها رئيس الوزراء بولند أجاويد بإعادة الجنسية التركية إلى الشاعر، كما طالبت العريضة بدفن رفات الشاعر في تركيا تنفيذاً لطلبه قبل وفاته حين قال: «أريد أن أدفن تحت شجرة حور في قرية صغيرة من قرى الأناضول».

### صدور «المعارف الحديثة» و«الصفوة»

أصدرت دار «عكاظ» في المغرب موسوعة «المعارف الحديثة»، وموسوعة «الصفوة» الموجهة للصغار، بإشراف لجنة من المثقفين والباحثين المغاربة، يأتي في مقدمتهم: الشاعر عبدالقادر وساط، والكاتب والمترجم محمد الشركي، والشاعر مبارك وساط، والقاص إبراهيم زيد.

تقع موسوعة «المعارف الحديثة» في ثلاثة آلاف صفحة موزعة على ٢٠ مجلدًا، وتشتمل على أكثر من ٨٠٠ مادة في شتى حقول المعرفة قديمة وحديثة. وتأتي موسوعة «الصفوة» الموجهة للنشء في ٥٦٢ صفحة بالألوان موزعة على ٧ أجزاء، تتناول في ١٠٠ مادة كل ما هو داخل في صميم اهتمامات الطفل، وقد زودت بالصور والخرائط والجدول والرسومات التوضيحية.

وقد نظم اتحاد كُتّاب المغرب بمدينة الرباط بالتعاون مع دار

ويعد زكريا تامر - المولود في دمشق عام ١٩٣١م - أحد أبرز كتاب القصة القصيرة في العالم العربي، وهو «قصاص يعكف على قصصه بروح صائغ ينكب على جواهره ويجلوها بدأب وأناة»، كما يقول صبري حافظ الذي قدم لهذه المجموعة، لذا لم يصدر عنه حتى الآن سوى ثماني مجموعات قصصية عبر أربعين عاماً من الإبداع المتواصل، وهي: «صهيل الجواد الأبيض» ١٩٦٠م، و«ربيع في الرماد» ١٩٦٣م، و«الرعد» ١٩٧٠م، و«دمشق الحرائق» ١٩٧٣م، و«النمور في اليوم العاشر» ١٩٧٧م، و«نداء نوح» ١٩٩٤م، و«سنضحك» ١٩٩٨م، و«الحصرم» ٢٠٠٠م.

### كتب وشخصيات الألفية الثانية



نيتشه

اختارت صحيفة «نيزاميا» الروسية عشرة كتب وعشر شخصيات هي الأهم - في نظرها - طوال الألفية الثانية، وهذه الكتب هي: «الكوميديا الإلهية» لدانتي، و«الخلاصة اللاهوتية» لتوما الإكويني، و«المدينة الفاضلة: يوتوبيا» لتوماس مور، و«نقد العقل

المحض» لكانط، و«هكذا قال زرادشت» لنيتشه، و«تفسير الأحلام» لسليجموند فرويد، و«كابالا دينوداتا» لكريستيان كنور روزينروت - وهو أحد أهم الكتب التي فضحت الشعوذة اليهودية المرتبطة بتقليعة تفسير تاريخ البشرية على أساس التوراة، وساهم في بناء الفكر الديني المسيحي في أوروبا -، و«رأس المال» لكارل ماركس، و«مطرقة الساحرات» لإنستينوريس وشبرينجر، و«الإخوة كارامازوف» لديستوفسكي.

وأما قائمة الشخصيات العشر فجاءت هكذا: جنكيز خان، ومارتن لوتر، والبابا جريجوري السابع، وفلاديمير لينين، وجان دارك، وأوليفر كرومويل، ونابليون بونابرت، والأمير فلاديمير تسيفتوي، والإمبراطور بطرس الأول، وآية الله الخميني.

### العودة إلى حكمت

أعيدت في مطلع عام ٢٠٠١م الجنسية التركية إلى الشاعر التركي ناظم حكمت أحد أهم شعراء القرن العشرين، بعد مضي نصف قرن على إسقاطها عنه؛ بسبب مواقفه السياسية التي تسببت في سجنه ١٧ عاماً حين كان عضواً





علي فرزات

وأشار فرزات إلى أن صحيفته سوف تكون نصف شهرية، ويعتمد نصفها تقريباً على الكاريكاتير، وربما تكون الصحيفة الخاصة الأولى التي تصدر منذ أكثر من سبعة وثلاثين عاماً، وأكد فرزات أن بعض الأسماء الكاريكاتورية قد قررت فعلاً المشاركة في صحيفة الدومري أمثال: جان بلان تورسام جريدة اللوموند الفرنسية، والرسام المصري جورج بهجوري، والفنان موفق قات، وأكرم رسلان، وخالد قطاع، وملك سليمان، وعصام حسن.. وغيرهم.

وتعود كلمة «الدومري» إلى أصول تركية، وتعني: الشخص الذي كان يوقد فوانيس (الجاز) في شوارع المدينة عندما يخيم الظلام قيل أن يعرف الناس الكهرياء، وفي ذلك إشارة واضحة للدلالة على الدور الذي يمكن أن تقوم به هذه الصحيفة الوليدة، التي سوف تعتمد على رسوم الكاريكاتير بشكل كبير، إضافة إلى بعض المقالات الساخرة.

### خبر البرغوث



عبد الهادي التازي

قام المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي بتحقيق رسالة «الطروث في خبر البرغوث» لمؤلفها جلال الدين السيوطي، اعتماداً على نسخة خطية محفوظة في الخزانة العامة بالرباط، وصدرت عن مجمع اللغة العربية بدمشق.

ذكر السيوطي في هذه الرسالة أخبار نحو سبعين علماً اقتنن ذكرهم في كتب التراث بالبرغوث وذكر أيضاً المدن والبلاد والمواقع المشهورة بكثرة البراغيث فيها مثل بغداد، ثم أورد ما قيل في البرغوث من شعر.

### اختفاء وثائق السد العالي

كشف عبد القوي فهمي أستاذ التاريخ في ندوة أقامتها جمعية بناء السد العالي في القاهرة أن وثائق بناء السد العالي وخزان أسوان التي تشمل: العقود، والخرائط، وصور التنفيذ، والتقارير، والأبحاث، ونتائج المناقشات التي جرت في أثناء التنفيذ قد تمت تعبئتها وتوزيعها على محطات

عكاظ - لقاء احتفائياً بصدور الموسوعتين حضرته شخصيات سياسية وثقافية وفنية، تحدث خلاله الأستاذ الهادي الأسمر مدير دار «عكاظ» للنشر مشيراً إلى أن الموسوعتين اللتين استغرق إعدادهما خمس سنوات، جاءتا لتمكين المهتمين من مواكبة مختلف فروع العلم والمعرفة، وأضاف الهادي: أنه تم الحرص في أثناء هذا العمل على دقة المعلومات، وسلاسة الأسلوب، وجمالية الإخراج؛ لأن تضافر هذه الشروط من شأنه أن يحول عملية القراءة إلى متعة تقرن البحث المفيد بالصورة الجميلة والأداء اللغوي الجيد.

### ذكرى ملكة الجريمة



أجاثا كريستي

احتفلت الأوساط الثقافية الفنية البريطانية في ٢٢ من يناير/ كانون الثاني الماضي، بمرور ربع قرن على وفاة الكاتبة البريطانية أجاثا كريستي تحت عنوان «ملكة الجريمة».

وفي إطار هذه الاحتفالية جرى عرض خمس وعشرين

مسرحية مأخوذة عن روايات أجاثا كريستي بمسرح بالاس بمدينة وست كلييف الساحلية البريطانية، وتم أيضاً عرض مجموعة من الأفلام المأخوذة عن رواياتها في المركز البريطاني للفيلم، وأقيم معرض بعنوان «أجاثا كريستي والشرق» في المتحف القومي البريطاني للفنون؛ وهو يلقي الضوء على عشق الكاتبة لعالم الآثار ورحلاتها مع زوجها عالم الآثار البريطاني ماكس مالوان.

وأوضح ماثيو بريكار - حفيد الكاتبة الراحلة -: أن شعبيتها الباقية حتى الآن في قلوب الملايين من عشاق أدبها لأبلغ دليل على موهبتها الأصيلة الثرة، فقد قدمت روايتها «مصيصة الفران» عملاً مسرحياً استمر أكثر من عشرين ألف ليلة عرض، وهو ما يعد أطول عرض مسرحي قدم في العالم.

### السماح للدومري

صرح رسام الكاريكاتير السوري علي فرزات في تصريحات صحفية في منتصف يناير/ كانون الثاني الماضي، أن الحكومة السورية قد وافقت على طلبه إصدار صحيفة ساخرة اسمها «الدومري».



### ندوة ثقافة الطفل

نظمت دار الجيل الجديد التونسية في منتصف يناير/ كانون الثاني الماضي ندوة حول ثقافة الطفل استمرت ثلاثة أيام؛ وذلك بمناسبة احتفالها بالذكرى ٣٦ لظهور مجلة «عرفان» التي تصدر عنها، وتزامناً مع احتفالات تونس بعيد الطفولة. افتتح الندوة وزير الشباب والطفولة الدكتور رؤوف النجار، الذي أكد أهمية الندوة وحضور التجارب العربية في القطاع بما يخدم مستقبل الطفل العربي وثقافته وإعلامه، وقد شارك في فعاليات الندوة ممثلون عن مجلات «ماجد» من الامارات، و«المزمار» و«مجلتي» من العراق، و«العربي الصغير» من الكويت، و«توتة» و«أحمد» من لبنان، ومجلات تونسية منها «عرفان» و«قوس قزح» و«الرياض». وتدارس الحاضرون أهمية التدقيق في المصطلحات والمفاهيم ضمن إعلام الطفل، وقدمت مداخلات وشهادات، وانتهت التوصيات إلى تأكيد دورية الندوة وتعميق الأسئلة وتبادل الخبرات والتجارب.

### محاورات كونفوشيوس



كونفوشيوس

صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة ترجمة عربية عن الأصل الصيني لـ «محاورات كونفوشيوس» التي جمعها تسنجد شين أحد تلامذة كونفوشيوس في أثناء عصر الدولة المتحاربة بين عامي ٤٧٥ ق.م و ٢٢١ ق.م.

قال مترجم الكتاب محسن سيد فرجاني عن كونفوشيوس الذي شهد

عصر الانتقال من النظام الإقطاعي العشائري إلى نظام الملكية الأوتوقراطية: وقد عرّف كونفوشيوس الفلسفة بطريقة مبسطة؛ فقال: «إن الحكمة هي أن أعرف الناس، وإن الفضيلة هي أن أحب الناس».

### كلمات وأمثال شعبية

تمكنت الباحثة القطرية طيبة سعد السليطي من جمع أكثر من ألف كلمة شعبية، وثلاثمئة مثل شعبي خليجي مما يتداوله الناس بشكل يومي في دولة قطر، مع توضيح أصول هذه الكلمات والأمثال، في عمل استغرق سبع سنوات بذاته عام ١٩٩٣م. وهو جهد يفترض أن تقوم به مؤسسات كبرى.

الكهرباء في الوراق وإمبابة ثم اختفت في ظروف غامضة، وأكد قيامه بتتبع عمليات انتقالها.

وقال: إنها شوهدت آخر مرة بشارع طه حسين بالزمالك حيث مقر وزارة السد العالي سابقاً، ثم تمت تعبئتها وتوزيعها على محطات إمبابة والجيزة واختفت بعد ذلك!

وناشد وزير الري محمود أبو زيد الذي حضر الندوة المهندسين الذين شاركوا في بناء السد العالي الإلقاء بمعلوماتهم عن الوثائق، وتسليم أي أوراق لديهم إلى دار الوثائق القومية.

### أحذية ورمال



من الآثار المصرية

صرح فاروق حسني وزير الثقافة المصري أن مصر ستطالب بإرسال لجنة إسرائيلية للمشاركة في التدقيق في محتويات صناديق آثار سيناء التي أعادتها الدولة العبرية إلى مصر بين عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٦م، وذلك إثر معلومات مضمونها أن ألف صندوق من الآثار المعادة تحتوي على عظام بشرية حديثة، وأكياس معبأة بالرمال، وأحذية عسكرية إسرائيلية!

وقد يادر الوزير إلى الطلب من الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار جاب الله علي جاب الله أن تقوم اللجنة التي استلمت الآثار، بالإشراف على فتح الصناديق بحضور لجنة إسرائيلية يتم طلب مشاركتها عبر القنوات الرسمية للتدقيق في القائمة التي تسلمتها مصر مع محتويات الصناديق.

وأكد حسني أنه إذا اختلفت محتويات الصناديق عن القوائم التي تسلمتها مصر؛ فإننا سنعمد إلى مقاضاة إسرائيل أمام المحافل الدولية المختصة.

وسترسل الصناديق التي تقدر محتوياتها بـ ٢٠ ألف قطعة أثرية عثر عليها في ١٣٠٠ موقع إلى متحف خاص أقيم في العريش لعرضها، إلى جانب الآثار المكتشفة في سيناء بعد إعادتها إلى مصر في عام ١٩٨٢م.



وقد وقف الدكتور أحمد مرسى أستاذ التراث الشعبي بجامعة القاهرة في دراسته حول قضية المصطلح مستعرضاً المصطلحات العربية التي شاعت في الاستخدام إلى جانب مصطلح الفلكلور.

وقدم الأستاذ قاسم عبده قاسم أستاذ التاريخ بجامعة الزقازيق هذا السؤال المحوري المهم حول الموروث والتقنية (التكنولوجيا)؛ هل يبقى المأثور الشعبي في ظل ثورة التكنولوجيا والاتصالات؟.

ثم توالت الأوراق فقدمت دراسة للكشف عن جوانب السلب والإيجاب في الثقافة الشعبية متمثلة في العادات والمعتقدات والفنون الشعبية، واستعرض بعض الباحثين الجهود الحكومية والأهلية التي تهتم بالمأثورات الشعبية، وتناولوا موضوع استلهام المأثورات الشعبية في الإبداع الفردي من شعر ومسرح وفنون قصصية.

### مخطوطة قديمة من «ميكروميغاس»



فولتير

أعلن مؤرخ مدينة أرنهايم الألمانية أدوين فان ميركيرك أنه تم العثور على جزء من مخطوط رواية «ميكروميغاس» للفيلسوف الفرنسي فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) في أرشيف هذه المدينة.

وأوضح ميركيرك أن هذا الجزء الذي كتب قبل عام ١٧٤٠م يدل

على أن «ميكروميغاس» كتبت قبل نشرها عام ١٧٥١م بكثير، مضيفاً أن الأمر يتعلق بالنص الذي سماه فولتير في إحدى رسالاته «رحلات البارون غانغان».

وتروي الوثيقة حكاية ميكروميغاس الرحالة الكبير المتحدر من كوكب سيربيوس الذي ينتقل من كوكب إلى آخر برفقة سكرتير أكاديمية كوكب زحل، ويكتشف لدى وصوله إلى الأرض بشراً يتملكهم الكبرياء إلى حد كبير على الرغم من ضآلتهم في الكون، ولكنهم قادرين عندما يتمكنون من تجنب التآملات الميتافيزيقية من تحسين معرفتهم للطبيعة.

ويلخص كتاب فولتير الموضوعات المحببة لدى فلاسفة قرن التنوير من انتقاد للمؤسسات السياسية والاجتماعية في القرن الثامن عشر، والدفاع عن الألوهية استناداً إلى العقل ومصلحة المجتمع.

تقول الباحثة التي تعمل على إصدار حصىلة ما جمعتها في كتاب: إنها كانت تسجل المفردات باللهجة القطرية المحلية، ثم تبحث في أصولها اللغوية، وهل هي هندية أم فارسية أم عربية؟ ويضم الكتاب إلى جانب الكلمات والأمثال الشعبية العبارات التي تستخدم في التحية والتهاني والمجاملات، وأصول هذه العبارات التي مازالت تستخدم حتى اليوم في قطر.

### عودة المتحف العراقي



نموذج من الأنواع الطينية

عاد المتحف العراقي ليفتح أبوابه لزائريه بعد عشر سنوات من الإغلاق الذي بدأ مع بداية حرب الخليج الثانية، ويعود تاريخ هذا المتحف إلى عام ١٩٢١م عندما خصصت له غرفة في ثكنة الجنود الأتراك في بناية «القشلة» في العاصمة

العراقية بغداد، وفي عام ١٩٦٦م خصص للمتحف مبناه الحالي.

ويضم المتحف أكثر من عشرة آلاف قطعة أثرية منها ما يعود إلى نصف مليون سنة قبل الميلاد، موزعة على ٢١ قاعة منظمة وفق تسلسل تاريخي منذ العصور الحجرية القديمة مروراً بالعصر الأكادي والسومري والبابلي والأشوري وصولاً إلى العصور الإسلامية.

ومن أهم المعروضات الأثرية بالمتحف هيكل عظمي لإنسان نياندرتال، والنسخة الجبسية من مسلة حمورابي منقولة عن الأصل الموجود في متحف اللوفر في فرنسا، إضافة إلى مسكوكات ومنسوجات من العصور الإسلامية.

### المأثور الشعبي في قرن

أقامت لجنة الفنون الشعبية التابعة لوزارة الثقافة في مصر من ١٤ إلى ١٨ يناير/كانون الثاني الماضي، الملتقى القومي الثاني للمأثورات الشعبية، وناقش ستون باحثاً ومتخصصاً في مجال المأثورات الشعبية من مصر ومعظم دول العالم محاور الملتقى المختلفة حول القضايا المتعددة، وفي مقدمتها إشكالية المصطلح «الفلكلور أو التراث أو المأثور الشعبي»





أدونيس

وعرض المعرض ١٢ ديواناً مترجماً إلى الفرنسية تولت ترجمتها آن واد مينكوفسكي، ومن بين المعروضات مذكرات ومجموعة من الدراسات حول الثقافة العربية، واشتمل المعرض على لوحات لفنانين عرب وأجانب، استوحى بعضها من كتابات أدونيس ورسم بعضها خصبى لمرافقة قصائده. ولد الشاعر أدونيس عام ١٩٣٠م في قرية القصابين إحدى قرى الجبل في شمال سورية، واسمه الحقيقي علي أحمد سعيد، واتجه إلى لبنان عام ١٩٥٧م لأسباب سياسية، واستقر هناك وبدأ مشواره الأدبي، وهو يعيش الآن في العاصمة الفرنسية باريس.

### استرجاع رأس المرأة

استرجعت السلطات التونسية تحفة أثرية مسروقة تعود إلى العهد الروماني بمساعدة المنظمة الدولية للشرطة الجنائية «أنتربول» وهيئة الشرطة البريطانية «سكوتلانديارد» وقال بيان حكومي تونسي في ١٩ يناير/ كانون الثاني: إن التحفة الأثرية، وهي تمثال لرأس امرأة من الرخام الأبيض يعود إلى العهد الروماني، سرقها مجهولون منذ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٩٨م من المتحف الأثري بمدينة صفاقس الواقعة على بعد ٢٤٠ كم جنوب العاصمة التونسية، وأضاف أن التحفة الأثرية، تم تهريبها خارج البلاد، وعثر عليها أخيراً خلال عرضها للبيع في إحدى القاعات الفنية بالعاصمة البريطانية لندن، وأوضح أن وزارة الداخلية ووزارة الثقافة ووزارة الخارجية في تونس قامت بالاتصالات بالأنتربول وسكوتلانديارد والهيئات البريطانية المعنية مما ساعد على استرجاع هذه التحفة الأثرية.

### الثقافة الليبية

أقيم في الفترة من ١٠ إلى ١٧ فبراير/ شباط الماضي أسبوع ثقافي ليبي، اختتمت به إدارة النشاطات الثقافية في الرئاسة العامة لرعاية الشباب في الرياض نشاطاتها الثقافية.

تضمنت فعاليات الأسبوع الثقافي الليبي: أمسيات ثقافية، وشعرية، ومعرضاً للفن التشكيلي، ومعرضاً للحرف القديمة. وهو جهد يفترض القيام به من قبل مؤسسات كبرى.

### وفاة عاصم الجندي

توفي الكاتب والصحافي السوري عاصم الجندي في ٢٥ يناير/ كانون الثاني الماضي في العاصمة اللبنانية بيروت عن عمر يناهز ٦٨ عاماً.

ينتمي عاصم الجندي إلى جيل الأدباء والصحافيين الذين برزوا في الستينيات وجمعوا بين النضال الوطني والعمل الصحافي والإبداعي، وقد عمل في التعليم إضافة إلى عمله في الإعلام، وعرف بأسلوبه السلس ولغته البسيطة وأدبه الملتزم.

وللراحل مؤلفات في القصة القصيرة والمقالة والنقد الأدبي والمذكرات، كان آخرها سيرته الذاتية بعنوان «الاعتقال»، كتبها بعد تعرضه لمحاولة اغتيال نجا منها، كما ساهم في كتابة سيناريو فيلم «كفر قاسم» الذي جسّد مقاومة الشعب الفلسطيني للإرهاب الصهيوني.

### بلا حدود



صالح العزاز

هذا هو عنوان «معرض الصور الفوتوغرافية» للكاتب والفنان الفوتوغرافي صالح العزاز الذي أقيم في بهو برج الفيصلية بمدينة الرياض، في الفترة من ٥ إلى ١٢ فبراير/ شباط الحالي، برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان

بن سلمان بن عبدالعزيز الأمين العام للهيئة العليا للسياحة. ضم المعرض ٥٠ صورة فوتوغرافية حديثة تتناول ١٠٠ سنة من تاريخ السعودية، وهي حصيلة جولة كاميرا العزاز خلال السنوات الخمس الأخيرة في عدد من مناطق المملكة، التقط آخرها قبل أربعين يوماً من تنظيم المعرض. ويشار إلى أن الأستاذ العزاز له مشاركات في الكتابة الأدبية والعمل الإعلامي، بالإضافة إلى فن التصوير الفوتوغرافي.

### معرض أدونيس

«أدونيس شاعر في عالم اليوم (١٩٥٠ - ٢٠٠٠م)»، هذا عنوان المعرض الذي أقيم في معهد العالم العربي بباريس في الفترة من ١٢ ديسمبر/ كانون الأول حتى ١٨ من فبراير/ شباط الماضي، وضم أعمال الشاعر أدونيس.



## روز اليوسف



روز اليوسف

بدأ المخرج الدكتور محمد كامل القليوبي مدير المركز القومي للسينما مطلع فبراير/ شباط الحالي، في تصوير أول فيلم تسجيلي عن حياة فاطمة اليوسف «روز اليوسف»، صاحبة أشهر مجلة سياسية في العالم العربي، وبأني هذا الفيلم ضمن سلسلة من الأفلام التي ينتجها المركز القومي عن رائدات العمل النسائي في مصر.

ويتضمن الفيلم شهادات حية من أشخاص عاصروها وبقياء عائلتها، ومنهم ابنتها آمال طليمات، وحفيدها محمد عبدالقدوس، وزوجة محمد التابعي أحد مؤسسي المجلة التي وعدت أن تقدم من خلال الفيلم وثائق نادرة من ضمنها رسائل لم تنشر كتبها التابعي عن روز اليوسف، ومن الكتاب والصحافيين الذين عاصروها وعملوا معها: كامل زهيري، وأحمد عبدالمعطي حجازي، ومديحة عزت.

## مذكرات ماركيز



غابرييل غارثيا ماركيز

صدر ملحقاً مع صحيفة «البابيس» الإسبانية في ٢٨ يناير/ كانون الثاني الماضي الفصل الأول من المجلد الأول من مذكرات الكاتب الكولومبي غابرييل غارثيا ماركيز (نوبل للآداب ١٩٨٢م)، الذي يحوي تاريخ حياة والديه وحياته حتى عام ١٩٥٥م.

يذكر أن ماركيز المولود في ٦ مارس/ آذار عام ١٩٢٧م يعاود نشاطه بإصدار هذه المذكرات بعدما نصحه الأطباء أن يخلد إلى الراحة، نتيجة لمرضه، وأن يلغي كل نشاطاته، وينعزل للكتابة فقط.

## صدور الديوان

من المتوقع صدور مجلة فصلية مزدوجة بالألمانية والعربية خلال الشهر الحالي فبراير/ شباط، تهتم بتقديم الشعر العربي وما يتعلق به إلى القارئ الألماني، وكذا تقديم الشعر الألماني إلى القارئ العربي.

والمجلة التي ستحمل اسم «ديوان» تضم في هيئة تحريرها من الجانب العربي الشاعر أدونيس والشاعرة العراقية المقيمة في ألمانيا أمل الجبوري، ومن الجانب الألماني تضم المستشرق جونتز أورت والشاعر يواخيم سوتاريوس.

صرحت الشاعرة أمل الجبوري لصحيفة الوطن السعودية في عددها الصادر في ٢٣ يناير ٢٠٠١م قائلة: إن العدد الأول من المجلة سيحتوي على ملف عن مؤتمر الشعر العربي الألماني الذي عقد في صنعاء أواخر سبتمبر/ أيلول الماضي. وسيحتوي تبويب المجلة على ملف في كل عدد لشاعر عالمي، بالإضافة إلى ملف تشكيلي لفنان عربي وملف آخر لفنان ألماني.

## معرض للأثار الأندلسية



آثار أندلسية

يقام حالياً وحتى الخامس عشر من أبريل/ نيسان المقبل في معهد العالم العربي في باريس معرض بعنوان «الأندلس من دمشق إلى قرطبة». يحتوي المعرض على عدد كبير من عناصر الهندسة المعمارية،

كتيجان أعمدة المرمر المحفور والمرصع والمزين بأشكال من الأزهار وسعف النخيل، وقطع من الخزاف النباتية الملتفة كالأغصان من الكلس، والجوانب الرخامية التي تحيط بفوهات الآبار.

وتعود هذه المعروضات الأثرية إلى فترة حكم الخلافة الأموية في قرطبة في الفترة من (٩٢٩م إلى ١٠٣١م) إبان ازدهار الحضارة الإسبانية - العربية التي تعد واحدة من أكثر الحضارات انفتاحاً، حيث تعايش في انسجام المسلمون والمسيحيون واليهود.

ومع ما يزرخ به هذا المعرض - الذي استجلبت معروضاته من ٨٠ متحفاً من ٨٠ بلداً - من مقتنيات في غاية الروعة إلا أن مارت برنوس تايلور مفوضة المعرض والحافطة العامة للجناح الإسلامي في متحف اللوفر الباريسي تقول: «إن التحف الفنية التي وصلتنا - ومع أنها تشهد لفن بالغ الفخامة - لا تمثل سوى جزء



والثقافة والعلوم «اليونسكو» تمهيداً لوضع بعضها على لائحة التراث العالمي.

وبحث وزير الثقافة اللبناني غسان سلامة مع مدير مكتب اليونسكو الإقليمي فكتور بله المساهمة التي تقدمها منظمة اليونسكو لتعزيز مواقع التراث العالمي وخصوصاً في المناطق الأثرية اللبنانية في مدن طرابلس وصيدا وصور وجبيل وبلدات دير القمر وعلبك وعنجر، والمشروعات التي تمولها لإعادة بناء جدارياتها وترميمها، إضافة إلى المواقع الأثرية المكتشفة في وسط مدينة بيروت.

### توزيع ٤٠٠٠ كتاب

قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي بتوزيع أكثر من ٤٠٠٠ كتاب إسلامي في اليمن، في إطار جهودها واهتمامها بالكتاب الإسلامي طباعة وتوزيعاً ليصل إلى أيدي القراء والباحثين وطلاب العلم خاصة في الدول التي يعز على سكانها الحصول على هذا الكتاب لأسباب مختلفة من اقتصادية وغيرها.

ترمي هذه المبادرة إلى تعميق الثقافة الإسلامية لدى الشباب المسلم والحفاظ على وحدته الفكرية والدينية وفقاً للكتاب والسنة، ولسد النقص في المرجع الإسلامي وتلبية الطلبات التي ترد للندوة من مكاتبها في الخارج بحثاً عن الكتاب الإسلامي.

وقد شملت الإصدارات الموزعة: «مختصر تفسير الطبري»، و«رياض الصالحين»، و«صور من حياة الصحابة»، و«صور من حياة التابعين»، و«حماية الإسلام»، و«جزء قد سمع (مفسراً)»، و«أركان الإسلام»، و«في أصول الحوار»، و«الفقه الميسر»، و«السيرة النبوية»، و«الحديث والمصطلح»، و«مواضيع وقواعد إسلامية» بالإضافة إلى أذكار ومأثورات ونشرات أخرى صادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي. وكانت الندوة قد قامت في شهر رمضان الماضي بتوزيع أكثر من ٥٠٠٠ كتاب إسلامي في عدد من الدول الإسلامية، وذلك ضمن جهودها المستمرة في هذا الإطار والرامية إلى التوثيق الصلة بالدين الحنيف، ونشر الفكر الإسلامي الصحيح بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

يسير من مجمل نتاج تلك الأيام».

والمعروف أن الآثار الأندلسية تعرضت لكثير من الدمار والخراب والسرقات، وقد أعيد ترميم بعض هذه الآثار وإصلاحها لتبقى شاهداً على صور الحكام العظام، يوم كانت قرطبة بشوارعها المرصوفة بالبلاط والمضاء بالقناديل المعلقة قبلة المدائن الأوربية التي يتوافد إليها العلماء والفنانون والفلاسفة من جميع أرجاء العالم.

### احتجاب جورج



غلاف المجلة

أعلن ناشرو المجلة السياسية «جورج» التي تصدر كل شهر في الولايات المتحدة الأمريكية، أن المجلة سوف تتوقف عن الصدور بعد عام ونصف العام من وفاة مؤسسها جون كيندي الابن، وسيكون شهر مارس/ آذار القادم هو الشهر الأخير من حياة المجلة؛ لأن مستقبل المجلة

يبدو قاتماً، وذلك لضعف سوق الإعلانات. وسيتضمن العدد الأخير حوارات صحفية أجراها كيندي ابن الرئيس الراحل جون إف. كيندي عندما كان محرراً بالمجلة.

وقال جاك كليجر رئيس دار «هاشيت فليباتشي» ومديرها التنفيذي: «مع أنني من المتحمسين للمجلة ولا أزال، إلا أنه لحال سوق المجلات في الوقت الراهن لا يمكننا أن نجعل المجلة مجدية اقتصادياً على الرغم من مقالاتها التي تعد من الدرجة الأولى».

وكان أول ظهور لهذه مجلة التي تجمع بين موضوعات السياسة والترفيه في عام ١٩٩٥ م غير أنه كان من المتوقع أن تغلق بعد وفاة مؤسسها في حادث تحطم طائرة في يوليو/ تموز ١٩٩٩ م.

### آثار الجنوب اللبناني

بأشر لبنان عملية مسح المواقع الأثرية والتراثية المهمة الموجودة بكثرة على أراضيها وخاصة في المناطق المحررة من الجنوب بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية



تفاعل إنسان الإمارات في الماضي مع ظروف بيئته الجغرافية، فأبدع هذه المفردات الحضارية، من مساكن، وقلاع، وحصون، وأدوات، وأساليب حياة مستغلاً ما توافر في البيئة المحلية من موارد، أو مما شاهده أو وصل إليه من خلال تفاعله مع شعوب أخرى وصل إليها أو وصلت إليه

ويركز الكتاب في ضرورة الحفاظ على صور هذا العمران، وفي ضرورة الاستفادة منه في الوقت الحاضر بالقدر الذي تسمح به الظروف الحالية، ودعم الكاتب الحقائق التي أوردها عن «العمارة التقليدية في دولة الإمارات العربية المتحدة» بعدد من الصور الفوتوغرافية والأشكال، كما أورد في آخر الكتاب ثبناً بالألفاظ المحلية في دولة الإمارات العربية المتحدة الخاصة بالعمران التقليدي: مواضعه، ومكوناته، ووظائفه.



**ساعاتي، عبد الإله سيف الدين / مبادئ إدارة المستشفيات وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية.. الرياض: المؤلف، ١٤٢٠هـ، ٣٢٦ص.**

شهدت المستشفيات، بصفة عامة، تطوراً مذهلاً في كل المجالات نتيجة لتقدم العلوم الطبية، وفرضت طبيعة هذا التطور إيجاد أساليب حديثة في إدارتها، فظهر نتيجة لذلك «علم إدارة المستشفيات» الذي شهد مطلع الثلاثينيات من القرن الميلادي الفائت أول ظهوره وتبلوره حقلاً علمياً في عدد من الجامعات الأمريكية.

وخلو المكتبة العربية وافتقارها إلى مؤلفات تتناول هذا الموضوع باللغة العربية من الأسباب التي دعت المؤلف إلى إصدار هذا الكتاب ليكون مرجعاً للدارسين والعاملين في مجال إدارة الخدمات الصحية، وبصفة أساسية في مجال إدارة المستشفيات.

يقع الكتاب في ثلاثة أبواب، جاء بابه الأول بعنوان: «المستشفيات»، وتضمن ثلاثة فصول: «تاريخ ومفاهيم



**فورستر، أ. / الإسكندرية: تاريخ ودليل، ترجمة: حسن بيومي.. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ٣٢٨ص (المشروع القومي للترجمة، ١٤٢).**

كتب فورستر هذا الكتاب - الذي يعد أفضل كتاباته النثرية - عندما كان يعمل متطوعاً في الصليب الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى في أثناء إقامته في الإسكندرية التي وصل إليها في عام ١٩١٥م، وكتب مقدمة الكتاب الأديب الشهير لورنس داريل مؤلف رباعية الإسكندرية.

جاء الكتاب في قسمين: التاريخ والدليل، ففي قسم التاريخ كتب وصفاً لهذه المدينة «منذ الإسكندر حتى العصر الحديث، مستعرضاً حكامها وفنونها وآدابها وفلسفتها وعلومها وأديانها والصراع الدائر على أرضها بين كثير من التيارات الفلسفية والدينية، بل وبين الأعراق الجنسية المختلفة».

أما الدليل فيقدم فيه الكاتب وصفاً دقيقاً للإسكندرية «يشمل الإسكندرية القديمة والحديثة، ويربط بين القديم والحديث، ويظهر الآثار؛ الظاهر منها والباطن، مبرزاً مساح الأحداث التاريخية، وغائصاً في البحر ليرينا ما غطته المياه من آثار».

ودعم الكتاب بعدد من الخرائط والمخططات التي توضح أهم معالم المدينة.



**عبدالجليل، محمد مدحت / العمارة التقليدية في دولة الإمارات العربية المتحدة.. العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٢٠١ص.**

يلقي هذا الكتاب الضوء على «العمارة التقليدية في دولة الإمارات العربية المتحدة» من وجهة النظر الأكاديمية والحضارية، فقد أبرز



المعلوماتي، والأخطار التي تواجه شبكة الإنترنت، والجرائم التي ترتكب من خلالها، وأمن البريد الإلكتروني، ومخاطر تداول النقود الإلكترونية، والفيروسات، والمبرمجين وجرائم نظم المعلومات، وجدران الحماية التي تحمي الشبكات الداخلية من أخطار الإنترنت ومن أخطار الاقتحام والتلصص ومن الفيروسات، ودور وسائل الإعلام، ثم الفراغ التشريعي الحالي الذي لا يحاصر هذا النوع من الجرائم كما ينبغي، وفي الختام التحقيق في جرائم نظم المعلومات، فقد أورد كثيراً من الملاحظات التي تفيد من يتصدى للتحقيق في هذا النوع من الجرائم.



ابن دھيش، عبد الملك بن  
عبدالله / المنهج الفقهي العام  
للعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم  
ومؤلفاتهم.. بيروت: دار  
خضر، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ٦٦٦ ص.

قصد المؤلف من وضع هذا  
الكتاب إلى معرفة الأسس

والقواعد التي قام عليها مذهب الإمام أحمد بن حنبل من حيث ضرورة معرفة كثير من علماء المذهب ومجتهديه، وكتبهم، وأصولهم، ومصطلحاتهم.

وقد حرص المؤلف، من خلال أربعة فصول وتمهيد، أن يكون البحث شاملاً مختلف الموضوعات التي تخص هذا المذهب من جميع جوانبه بادئاً الحديث عن صاحب المذهب الإمام أحمد بن حنبل، ثم نشأة المذهب، وكيفية تطوره وانتشاره والمراحل التي مر بها، وترجم لأهم علمائه ومجتهديه، وأشار إلى أهم الأعمال التي قاموا بها. وتحدث أيضاً عن مصطلحات المذهب الفقهية بجميع أنواعها، وأصول الفقه عند الحنابلة، ثم تحدث عن المنهج الفقهي العام للمذهب، ومناهج المؤلفين في كتبهم بالإضافة إلى التعريف بهم، كذلك أورد مجموعة من كتب المذهب على أساس نوعها سواء أكانت متناً أم شرحاً أم تعليقا، وختم الكتاب بملحق يبين مراحل تطور كتب الفقه الحنبلي.

المستشفيات»، و«وظائف المستشفيات»، و«المستشفيات في المملكة العربية السعودية».

أما الباب الثاني فقد كان بعنوان «إدارة المستشفيات»، وتضمن ثلاثة فصول أيضاً: «مفاهيم وتعريفات»، و«الاتجاهات الحديثة في إدارة المستشفيات»، و«بدائل تمويل المستشفيات العامة».

أما الباب الثالث فقد كان بعنوان «وظائف إدارة المستشفيات»، وقد ناقش فيه - في خمسة فصول - أهم عناصر العملية الإدارية، وهي التخطيط والتنظيم والقيادة والتنسيق والرقابة.

وقد قدم للكتاب الدكتور أسامة بن عبدالمجيد شبكشي وزير الصحة، وقال: «إن في نشر هذا الكتاب أثراً محموداً على كل من الدارس والموظف الحديث التخصص في مجال إدارة المستشفيات».

واستعان المؤلف بعدد من الجداول والأشكال في تدعيم الحقائق التي أوردتها في الكتاب، وختم بعدد من الملاحق.



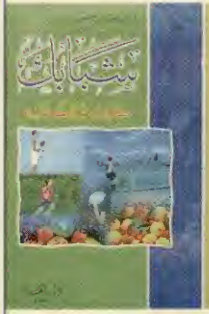
داود، حسن طاهر / جرائم نظم  
المعلومات.. الرياض: أكاديمية  
نايف العربية للعلوم الأمنية،  
١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ٢٤٤ ص.

أدى التطور التقني الذي  
يعيشه العالم اليوم، والمتمثل في  
استخدام الحاسب ونظم

المعلومات إلى بروز جرائم جديدة لم تكن معروفة من قبل، وهي كثيرة، وتعرف بالجرائم المستحدثة، وهي تحتاج إلى تشريعات خاصة، وإلى وسائل إثبات مختلفة عما ألفناه في الماضي، ثم إلى كفاءات مدربة ومؤهلة على نحو يجعلها قادرة على مواجهة هذا النوع من الجرائم ومكافحته.

عالج المؤلف في هذا الكتاب موضوع «جرائم نظم المعلومات»، وهي الجرائم التي يكون الحاسب موضوعها أو وسيلتها، وجاءت المعالجة في خمسة عشر فصلاً شملت خصائص عصر المعلومات، والتعريف بهذا النوع من الجرائم، وأنواع جرائم نظم المعلومات، والتجسس





باشا، حسان شمسي / شبابيك:  
كيف تحافظ عليه؟.. دمشق: دار  
القلم، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ١٥٧ص.

يلمس الكتاب وتراً حساساً  
وحيوياً في الحياة منذ أقدم  
العصور حتى وقتنا الحاضر، وهو  
الشباب وكيفية المحافظة عليه،

فالزمن يصنع في أجسامنا تغيرات لا يمكن محوها، ولكن  
بإمكاننا أن نبطئ هذا السيل الجارف من مظاهر  
الشيخوخة.

تناول المؤلف في هذا الكتاب، الذي يقع في مقدمة و ٢٦  
فصلاً، كثيراً من الأمراض ومسبباتها وأعراضها وكيفية  
الوقاية منها، كما قدم وصفاً طبياً عن كيفية المحافظة على  
الكبد، والكليتين، والمعدة والأمعاء، والرئة، والجلد،  
والشعر، والعظام، والظهر، والرقبة، والأسنان، والبصر،  
والقدمين، وكثير من أعضاء جسمنا الأخرى.

شدد المؤلف على ضرورة إجراء فحص طبي دوري  
للإنسان في أواسط العمر للتأكد من سلامة جسمه.



الصالح، مصلح / النظرية  
الاجتماعية: أصولها التاريخية،  
بناؤها، وظائفها، وخصائصها  
وملامحها.. الرياض: دار  
الفيصل الثقافية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م،  
٥٣٣ص.

يعد هذا الكتاب مقدمة عامة

في فلسفة العلم بالتطبيق على النظرية الاجتماعية، إذ  
يقصد إلى تزويد القارئ بمقدمة واسعة ومتكاملة عن بناء  
النظرية في العلوم الاجتماعية التي تستند إلى التجريب.

وقد سعى المؤلف من خلال عشرة فصول ومدخل إلى  
الإحاطة بالنظرية الاجتماعية من جميع جوانبها  
وعناصرها الأساسية، فقد قام بتعريف النظرية من حيث  
أصولها التاريخية، ثم طبيعة المعرفة العلمية، وطبيعة  
النظرية الاجتماعية وخصائصها وبنائها وأنماذجها  
واختبارها وتقويمها، بالإضافة إلى الإحاطة بالنماذج



الترغري، عبدالله  
المرباط/ فهارس علماء  
المغرب منذ النشأة إلى نهاية  
القرن الثاني عشر للهجرة:  
منهجيتها - تطورها - قيمتها  
العلمية.. تطوان: جامعة عبد  
المالك السعدي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م،

٧٠٤ ص (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
بتطوان، سلسلة الأطروحات؛ ٢).

الفهرسة هي نوع من التأليف يوثق فيه المؤلف مصادر  
العلم الذي استفاد منه في رحلة الطلب، فيترجم لشيوعه  
الذين قرأ عليهم، ويسمي الكتب والمؤلفات والعلوم التي  
أخذها عنهم، ويوثق بالأسانيد مروياته عنهم في هذه  
العلوم والكتب والرسائل والإنشادات والمقتطفات.

يرمي المؤلف من هذه الدراسة إلى التعريف بنشاط  
علماء المغرب في كتابة الفهرسة: بدايتها ورصد  
تطورها، وما ذكر في المصادر عنها، وطرائق تبويبها،  
متعباً نشاط علماء المغرب في هذا المجال من مطلع  
القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن الثاني عشر  
للهجرة.

يقع الكتاب في تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة وملحق،  
تناول في التمهيد معالم البيئة التاريخية والعلمية في  
المغرب، وهي البيئة التي نشطت فيها كتابة الفهرسة،  
وخصص الباب الأول لدراسة الفهرسة تقنياً، وجاء  
الثاني عن بداية الفهرسة، ومرآح تطورها في المغرب،  
وعرض في الثالث طرائق التبريب التي اتبعها المغاربة  
في فهارسهم، وتناول في الرابع قيمة الفهرسة مكتفياً  
بعرض ثلاث واجهات: الواجهة التعليمية، والواجهة  
التوثيقية، والواجهة الأدبية، وذكر في الخاتمة ما حققته  
هذه الدراسة من أهداف، وما تضيفه من جديد في  
دراسة التراث المغربي، وما تفتح من آفاق أخرى في  
حاجة إلى الدرس والتناول، ثم ختم بملحق خصصه  
لأعلام الفهرسة بالمغرب، بلغ عدد المعرف بهم أكثر من  
مئة وخمسين رجلاً، غير الذين وردت تراجمهم في  
صلب الدراسة عند تحليل فهارسهم.



كان هذا الجزء (الجزء الأول) من المعجم رسالة أعدها المحقق لينال بها درجة الماجستير، وسيقوم بالعمل في أجزاء المعجم الباقية بالاشتراك مع كل من الأساتذة: رياض عبد الحميد مراد، ومحمود الأرناؤوط، والدكتور نزار أباطة، تحت إشراف الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.



عليان، سيد سليمان / قواعد اللغة العبرية.. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ، ٤٦٤ص.

يحتوي الكتاب على مجموعة كبيرة من مفردات اللغة العبرية وقواعدها وتفسيراتها، وهي ما يحتاج إليها الدارس العربي لأي لغة خاصة في المراحل الأولى من تعلمه. وقد جاء الكتاب في ستة أقسام:

تناول القسم الأول أصوات اللغة العبرية وقواعد القراءة والكتابة وحركات الشكل التي تهتم الدارس في المراحل الأولى من التعلم، وجاء الثاني عن الوحدات البنائية أو الأدوات المستخدمة في اللغة العبرية وتصنيفاتها وقواعد شكلها واستخداماتها، وخصص الثالث للضمائر وأنواعها. وتناول في الرابع الاسم من حيث العدد والنوع وحالة الإضافة وأنواعها، وما يندرج تحت مصطلح الاسم من أنواع الكلم كالعدد والصفة وأسماء الاستفهام وغيرها، أما الخامس فقد جاء عن الفعل وأوزانه وأزمنته وصيغته، وختم بالسادس الذي تناول فيه بناء الجملة العبرية، ليتعرف من خلاله الدارس كيفية صياغة الجملة العبرية وتركيبها، كما يعرض لأجزاء الجملة وترتيبها وأنواعها وتطابق ركني الجملة، وأسلوب الكلام المباشر وغير المباشر.

ذيل الكتاب بمسرد أبجدي للمصطلحات اللغوية الواردة في الكتاب، كما زود كل قسم من أقسام الكتاب بتدريبات شاملة لتكوين ثروة كلامية، بالإضافة إلى التدريبات الملحقة بكل درس للوقوف على مدى الاستيعاب والتحصيل. وختم الكتاب بعدد من الكشافات.

النظرية والتوجيهات النظرية في علم الاجتماع وما وراء النظرية.

درج المؤلف في عرضه وتحليله أن يسبق كل فصل بتمهيد يبرز موضوعات الفصل وأهميتها والهدف من عرضها، وملخص لأهم محتويات الفصل، ثم قائمة بالمراجع في نهاية كل فصل، كما استعان المؤلف بمجموعة من الرسوم والأشكال بغرض تدعيم العرض والتوضيح، وأورد في آخر الكتاب قائمة بأهم المصطلحات الأجنبية التي وردت في الكتاب ومعانيها باللغة العربية، وختم الكتاب بعدد من الكشافات.



ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي / معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: حسام الدين قرقور - دمشق: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٩٩٩م، مج ١، ٩٢٤ص.

يعد كتاب «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر أحد مآثر التصنيف في الحضارة العربية الإسلامية، وهو - كما يقول الدكتور شاكر الفحام في مقدمته لهذا الكتاب «ليدهش قارئه بكثرة تراجمه، وغزارة مادته وتنوعها» مما جعل الأنظار تتجه إلى استخراج موضوعاته المتعددة، وإفراد كل منها على حدة.

وكان السابق في هذا الباب الدكتور صلاح الدين المنجد الذي استخرج «معجم بني أمية من تاريخ مدينة دمشق»، ثم تلاه الدكتور حسام الدين قرقور صاحب «معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق»، الذي نحن بصدد، فبدأ عمله - في الجزء الأول - بتحقيق تراجم الشعراء الذين تبدأ أسماؤهم بأحد الأحرف الأربعة الأولى (أ - ج) بإسقاط حرف الناء الذي لم يبدأ به اسم لشاعر في تاريخ مدينة دمشق. أوضح المحقق اصطلاحه في تعريف الشاعر بأنه «من غلب عليه الشعر حتى عُرف به، أو غلب عليه وصف الشاعر حتى لم يعرف بوصفٍ سواه، وترجم له ابن عساكر شاعراً».



التعريب

التعريب (س ١٠، ١٩٤٠، ربيع  
الأول ١٤٢١هـ / حزيران  
/ يونيو ٢٠٠٠م)

مجلة نصف سنوية  
محكمة تصدر عن المركز  
العربي للتعريب والترجمة  
والتأليف والنشر بدمشق -

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

صدر هذا العدد حافلاً بكثير من الموضوعات التي  
تهتم بشأن التعريب والترجمة والتأليف بشكل عام،  
والتي جاءت تحت عدة أبواب، ففي باب بحوث  
ودراسات في التعريب والترجمة كتب الدكتور  
محمود أحمد السيد عن «المبادئ الأساسية في  
وضع المصطلح وتوليده»، وتناول الدكتور عدنان  
تكريتي «المصطلح الطبي»، ولفت الدكتور يحيى  
جبر الانتباه إلى أن «الترجمة الآلية هم جديد»،  
وجاء موضوع الدكتور كاسد ياسر الزبيدي بعنوان  
«من جهود المجمع العلمي العراقي في التعريب»،  
وختم بحوث هذا الباب الدكتور ممدوح محمد  
خسارة بحث عن «المعرب والدخيل في المجالات  
المتخصصة».

وفي باب بحوث معربة أو مترجمة أجاب الدكتور  
لطفي الخطيب في بحثه عن سؤال «أيهما يفضل  
الطلبة أن تصحح موضوعاتهم الإنشائية من قبل  
الحاسوب أم المعلم؟»، كذلك أجاب الدكتور نادر  
محمد عبارة عن سؤال «داء السكري: هل هناك  
علاج يلوح في الأفق؟». وتناول الدكتور علي وطفة  
«إشكالية المفهوم في الخطاب العربي المعاصر» في  
باب بحوث ودراسات في التعلم العالي.

بالإضافة إلى ذلك هناك «أنشطة المركز خلال  
النصف الأول من عام ٢٠٠٠م»، و«قواعد النشر  
في المجلة»، و«إصدارات المركز من الكتب  
المعربة».

العنوان: دمشق - ص.ب: ٣٧٥٢ - هاتف:

٣٣٣٤٨٧٦



آل ملحم، محمد بن عبدالله بن حمد  
السلطان / الدر المكنون في شتى  
الفنون، مراجعة: سلطان بن عبدالله  
آل ملحم.. الإحصاء: المؤلف، ١٤٢١هـ،  
٤٤٥ص.

هذا عنوان ديوان الشاعر السعودي

محمد بن عبدالله بن حمد السلطان آل ملحم الذي توفي قبل ثلاث  
عشرة سنة، وترك شعره متفرقاً في كراريس مخطوطة لم تجمع بين  
دفتي كتاب واحد، ثم أصبح أمر جمعه مشكلة تواجه الأسرة، فهو ليس  
ديواناً واحداً بل عدة دواوين مجموعة في ديوان واحد، أقصر قصائده  
تضم عشرات الأبيات، وأطولها زهاء ثلاثة عشر ألف بيت.

تصدى لإنجاز هذا الديوان أولاً الدكتور محمد بن عبداللطيف آل  
ملحم الذي أمضى ثماني سنوات من العمل حتى أنجز جزءاً منه، ثم  
واصل العمل فيه بعد ذلك شقيق الشاعر الشيخ سلطان بن عبدالله آل  
ملحم ليخرج هذا العمل في صورته الحالية.

قدم للديوان الأستاذ عبدالله بن أحمد آل ملحم، وترجم في بدايته  
للشاعر ذاكراً اسمه ونسبه ومولده ونشأته وأخلاقه وشيوخه... إلخ.



القشعري، محمد عبدالرزاق / سادن  
الأساطير والأمثال: عبدالكريم  
الجهيمان قرن من العطاء.. الرياض:  
المؤلف، ١٤٢١هـ، ٢٢٠ص.

الكتاب ملف متكامل يحوي بعض  
ما قيل أو كتب في الصحف والمجلات

من دراسات ومقالات وحوارات مع الأديب عبدالكريم الجهيمان. وقد  
قصر الكاتب جهده على ما جاء في السنوات الثلاث المنصرمة حتى لا  
يتكرر ما قام به الأستاذ ناصر الحميدي في كتابه «من مذكرات كاتب»  
الذي جمع فيه كثيراً من المقالات والدراسات عن الشيخ الجهيمان.

قسم الكتاب سبعة فصول جاءت تحت العناوين الآتية: «عبدالكريم  
الجهيمان: شيء من السيرة الذاتية»، و«عبدالكريم الجهيمان في  
ضيافة إثنيانية عبدالمقصود خوجة»، «عبدالكريم الجهيمان في مجلة  
النص الجديد»، و«عبدالكريم الجهيمان في عنيزة»، و«شهادات»،  
و«حوارات مع الشيخ عبدالكريم الجهيمان»، و«عبدالكريم  
الجهيمان.. الشخصية الأدبية المكرمة خلال المهرجان الوطني للتراث  
والثقافة السادس عشر عام ١٤٢١هـ».





مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س ٢٧، ع ١٠٠، شوال ١٤٢١هـ/ يناير/كانون الثاني ٢٠٠١م)  
مجلة فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، وتعنى بنشر الأبحاث المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية

السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية والعلمية والقانونية.

تنوعت موضوعات هذا العدد من الدورية لتغطي عدة مجالات منها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وقد جاءت تحت عدة أبواب.

ففي باب البحوث، كتب الدكتور وليد محمد كساب الحميدي عن «التنمية السياحية على ساحل خليج العقبة السعودي»، والدكتور عبدالله حمادة الطرزي عن «الطاقة الكهربائية في سلطنة عمان: دراسة في الجغرافيا الكمية»، بينما تناول الدكتور عادل أحمد الكسادي موضوع «التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت ١٩٠٠ - ١٩٦٧م»، وختم البحوث الدكتور بدر محمد الأنصاري متناولاً بالبحث «بعض الحالات الانفعالية لدى الكويتيين والمصريين: دراسة ثقافية مقارنة».

وفي باب عرض ومراجعات الكتب، قدم الدكتور أحمد منير نجار عرضاً ومراجعة لكتاب الدكتور عبد الخالق عبدالله «النظام الإقليمي الخليجي»، وفي باب التقارير قدمت الدكتورة أمل يوسف العذبي الصباح تقريراً عن «ندوة واقع ومستقبل مؤسسات المجتمع المدني في دول مجلس التعاون الخليجي»، ثم قدمت فاطمة السلطان - في باب البليوجرافيا العربية - وصفاً ببليوجرافياً لعدد من الكتب والدوريات التي صدرت في منطقة الخليج والجزيرة العربية.

كذلك جاء في الدورية قسم باللغة الإنجليزية احتوى على بحثين وقائمة ببليوجرافية بالكتب التي صدرت حديثاً باللغة الإنجليزية في منطقة الجزيرة العربية والخليج، أعدتها نبال أحمد يوسف.

## العنوان:

ص.ب ١٧٠٧٣ الخالدية - الرمز ٧٢٤٥١ الكويت

هاتف ٤٨٣٣٢١٥ - ٤٨٣٣٧٠٥



الدرعية (س ٣، ع ١، ربيع الآخر ١٤٢١هـ/ يوليو/ تموز ٢٠٠٠م)

مجلة فصلية محكمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية وتراث العرب.

جاءت موضوعات هذا العدد من الدورية متنوعة، بدأت ببحث للمؤرخ الراحل الشيخ حمد الجاسر عن «الإمام محمد بن علي الشوكاني وموقفه من الدعوة السلفية الإصلاحية [٢]»، وكتب الأستاذ سعد بن عبدالله الجنيديل عن «معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم [٢]»، وجاء بحث الدكتور محمد ثنيان الثنيان عن «إبراهيم بن عيسى - المؤرخ والنسابة (١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ)»، وناقش الدكتور عبدالرحمن الفريح وضع «العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي [٣]»، أما الدكتور إبراهيم بن محمد المزيني فكتب عن «الأسواق والمراكز التجارية عند ابن جبير في رحلته»، وجاء بحث الدكتور محمد بن ناصر العبودي عن «الكناية والمجاز في لغتنا الدارجة»، بينما تناول الدكتور محمد إسماعيل الحداد في بحثه «العلاقة بين الآثار والتاريخ [٢]»، وكتب خالد بن محمد أسكوبي عن «نقش كتابي إسلامي غير مؤرخ كتب من اليسار إلى اليمين في موقع (غيران الحمام) شرق تيماء»، كما كتب عبدالله البسيمي عن «الأسوار التاريخية لبلدة أشيقر»، وختم البحوث الدكتور عبدالرحمن بن علي العريني ببحث عن «قيام الدولة العثمانية وحملات التحالف الصليبي ضدها (٦٩٩ - ٨٠٥هـ/ ١٢٩٩ - ١٤٠٢م)».

## العنوان:

ص.ب (١٥١٨٥٨) الرياض: (١١٧٧٥)

هاتف و ناسوخ: (٤٢٦٤٦٩٢)

المملكة العربية السعودية.



# المرصد الكبير في مراغة وسمرقند

محمد مصطفى الدنيا

حمص - سورية

منذ سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، واستمرت عدة سنوات بكلفة عالية جداً مما اضطر الطوسي لتسويق النفقات أكثر من مرة. وشغلت أبنية المرصد الضخمة، على تل قريب من مدينة مراغة، ساحة بطول ٣٥٠م وعرض ١٥٠م؛ ويشير من وصفها، بإعجاب، إلى قبة مثقوبة في أعلاها من أجل مرور أشعة الشمس، ومكتبة ضمت ٤٠٠٠٠ مجلد جمعتها الجيوش المغولية من إيران وسورية وما بين النهرين.

ونمختضت اثنتا عشرة سنة من عمليات الرصد والحسابات عن تحرير «الأزياج الإبلخانية»، بالفارسية، وقد اكتملت سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م. ولا نعرف جيداً أكانت هذه الأعمال الأولى والأزياج (الداول الفلكية) قد أتيت بأعمال أخرى أم لا. كان عدد كبير من العلماء مرتبطاً بهذا المرصد برئاسة الطوسي حتى وفاته سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٤م، ثم برئاسة أبنائه من بعده. وتقول إحدى الروايات: إن فلكيين صينيين انضموا إلى هؤلاء العلماء، وأحضروا معهم بعض المعارف عن الطرق الصينية في حساب الأعياد. وكان مرصد هولأكو، في الآن نفسه، مع مجموعة علمائه المهمة ومكتبته الضخمة، مؤسسة فلكية بحثية وأكاديمية تتعقد فيها اجتماعات علمية. ومراكز ينهل منها الطلاب العلم والثقافة. ويروى أنه كان لنصير الدين الطوسي مئة طالب. وقيل: إن الأسقف اليعقوبي ابن العبري (٦) علم هذا كتاب «الأصول» لإقليدس سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م، وكتاب «المجسطي» (٧) لبطليموس سنة ٦٧٠هـ/١٢٧٢م.

كان مرصد مراغة أول مرصد في العالم الإسلامي يستفيد من ربوع الأوقاف، مما أثار على ما يبدو بعض الاحتجاجات، من منطلق أنه ليس جهة يرأسها مؤسسة خيرية. وبذلك لم تتأثر هذه المنشأة بموت مؤسسها (٦٦٣هـ/١٢٦٥م). واستمر نشاطها على الأقل حتى بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، إذ أن أحد أبناء الطوسي عين سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤-١٣٠٥م مديراً للمرصد. إلا أن الجغرافي حمد الله القزويني لم ير من هذا المرصد سوى الأطلال بعد ثلاثة عقود لاحقة.

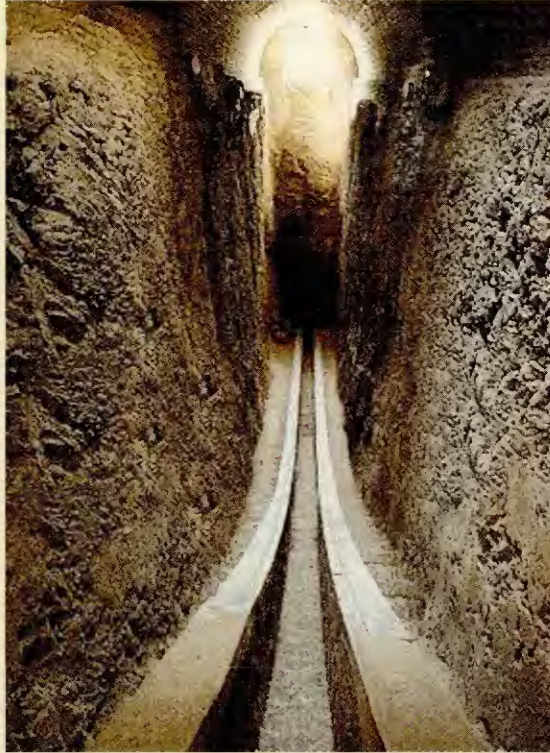
مع ذلك، فإن هذه البقايا كانت مثيرة للإعجاب، إذ أوحى للشباب أولغ بك

شهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ظهور منشآت طموحة ومكلفة في علم الهيئة (الفلك). إلا أن هذه المنشآت بقيت استثنائية. ويستعري الانتباه أولاً مرصد بناء الوزير الفاطمي الأفضل (١) سنة ٥١٣هـ/١١١٩م. وقد ترك لنا القريزي وصفا مفصلاً للتقنيات التي شيدتها هذه المنشأة: إخفاق المحاولات المتكررة لصهر النحاس المطلوب، والعزم غير المكمل بالنجاح لصنع أدوات كبيرة الحجم للحصول على قياسات أدق، والتردد حول موضع الدائرة الكبرى، والتخلي عن المشروع بعد موت الوزير، والعداوة الشعبية (٢). إن في هذه الصعوبات كلها، في وجه مشروع ضخم، ما يتيح الاعتقاد أن المرصد لم يكن في ذلك الزمن منشأة معروفة ومتكاملة.

تعد المرصد الكبير اللاحقة، في مراغة وسمرقند، بالموازنة، نجاحات جاءت تنويعاً لبحوث سابقة مترددة وتطوراً لعلم الفلك الذي اقتصر رعايته على بعض الخلفاء والأمراء والوزراء، بدافع التنجيم أولاً دون شك. في مراغة (٣)، أنشئ مرصد كبير تمكن رؤية بقايا جدرانه حتى اليوم،

وتعود مبادرة تشييد هذه المنشأة إلى هولأكو، حفيد جنكيز خان الذي غزا وقضى على الخلافة العباسية فيها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. ولا شك أن هذا التضاد بين الصورتين مدهش، صورة قائد الجيوش المغولية المدمرة وصورة راعي العلوم. في الواقع، ما إن انقضت موجات التدمير والتخريب وسيطر الغزاة على الشرق الأوسط والشرق الأقصى، حتى تمثل المغول سريعاً ودمجوا لغة الشعوب التي أخضعوها وديانتهم وثقافتهم. وطوروا بدورهم حضارة بقي المؤرخون يجهلون إلى حد كبير وكانوا أكثر ميلاً إلى التنويه بالمراحل العسكرية والسياسية من الملحة المغولية.

مع ذلك، فإن اهتمام هولأكو بالعلوم، وبالأخص التنجيم، دفعه إلى أن يقرب منه أحد أكبر الفلكيين والرياضيين المسلمين: الطوسي (٤). وكان هذا العالم قد التجأ إلى بلاط الحشاشين (٥) في حصن الموت (في فارس). وهنا بحث عنه هولأكو لتكليفه ببناء مرصد. وبدأت الأعمال



مرصد أولغ بك



الذين اشتهروا في سمرقند، دور علمي بارز، لوجوده على رأس إدارة المدرسة، ويبدو أن دروس الرياضيات، والفلك، والطب كانت معفاة في هذه المدرسة. ويروى أن أولغ بك نفسه كان يتردد إليها للمشاركة في النقاشات. إلا أننا لا نعرف جيداً نوع الروابط التي كانت قائمة بين هاتين المؤسستين، المدرسة والمرصد وشكلها، ومن الصعب أن نحدد مهمة الأولى في نشر العلوم الدقيقة.



سمرقند

مع ذلك، يلقي الكاشي (١٢) بعض الضوء على هذا الوسط العلمي الفائق

الحبوية؛ فيعد أن عاش حياة الفقر والتشرد بحثاً عن رعاية مالية، استقر هذا العالم في سمرقند، التي أرسل منها رسالة إلى والده الذي بقي في كاشان (وسط إيران) (١٣). وفيها تحدث الكاشي عن نجاحاته المهنية، ممتدحاً نفسه أنه سرعان ما استحوذ على إعجاب الجميع. ويروي أنه لما وصل إلى سمرقند تبين له أن كل أدوات الرصد التي انجزت للمرصد - وكان بعد في طور البناء - كانت نوعاً بالياً وأنه اضطر إلى إنجاز أخرى غيرها؛ وأن المساعدين الكثيرين المحيطين بأولغ بك أثاروا جميعاً احتقاره، باستثناء قاضي زاده. بالمقابل، كان كل المديح (في الرسالة) للأمير، راعيه الجديد، منوهاً بسعة اطلاعه وغزارة معارفه في الرياضيات والفلك، ودوره في تطور العلوم. ومن قراءة رسالته يتبين أن الحركة الفكرية، في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، كانت على ارتباط مباشر برعاية الأمير وعطاياه. وقد أدت وفاة أولغ بك سنة ٨٥٣هـ/١٤٩٩م إلى توقف نشاط المرصد، الذي كان الكاشي آخر فلكي يعمل فيه، وحينها، ترك سمرقند متوجهاً إلى القسطنطينية.

وهكذا، فإنه إذا كان قد أنجز عمل مهم جداً في ميدان الأرصاد الفلكية، فإن المرصد، كمنشآت متخصصة، كانت قليلة العدد. ذلك، خلافاً للمؤسسات العلمية والثقافية الأخرى، كالمكتبة والمشفى والجامع والمدرسة، لأنه لم يكن لها، إلا في حالات استثنائية، المكانة العالية التي تمتعت بها جهات البر أو المؤسسات الخيرية التي أمنت لها ريع الأوقاف مكانة في المجتمع والحضارة الإسلامية في القرون الوسطى.

بك (٨)، بعد زيارته للمرصد، بناء مرصد مماثل في سمرقند إبان حكمه لبلاد ما وراء النهر (٩). وكانت هذه الحاضرة قد شهدت في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، في ظل حكم الملوك التيموريين، تطوراً ثقافياً وفنياً جعل منها المركز الأكثر ازدهاراً في الشرق الإسلامي كله. وكان أولغ بك نفسه، إن لم نقل، عالماً كبيراً فعلى الأقل كان أميراً مولعاً بالعلوم محباً أن يحيط نفسه بالعلماء وأن يباحثهم في القضايا العلمية. وكي يضع أزياجاً فلكية جديدة، بنى مرصداً في سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م.

وكان عالم الآثار الروسي K.L.VJATKIN قد اكتشف عام ١٩٠٨م أنقاضاً على هضبة في شمال شرق المدينة؛ وعقب الحرب العالمية الثانية، أنجزت حملة تنقيبات أخرى مهمة؛ ونشرت نتائج التنقيبات بالروسية برعاية أكاديمية العلوم الأوزبكستانية، وتمخضت عن ترميم الجزء المتبقى، الذي كان يشكل بعض أقسام مزولة شمسية كانت مستخدمة في تحديد ارتفاع الشمس وفقاً لطول الظل.

وتشاهد على الهضبة أيضاً بقايا بناء أسطواني الشكل، في بعض زخارفه شبه بزخارف مدرسة المدينة التي بنيت خلال الفترة نفسها. ويخبرنا عبد الرزاق (١٠) أنه كانت تشاهد في المرصد تصاوير للأفلاك السماوية العشرة مع درجات، ودقائق، وثوان، وأعشار ثوان، وأفلاك دوران، والكواكب السبع السيارة، والكواكب الثابتة، وفلك الأرض، مع المناخات، والجبال، والبحار، والصحاري.. ويستشف من كلام هذا المؤرخ أنه كان يشير بذلك إلى خرائط ورسوم جدارية. ويمكن أن نعد مرصد سمرقند الأهم بين مرصدين البلاد الإسلامية في القرون الوسطى؛ إذ كان يعمل فيه عدد كبير من العلماء، وأنجزت فيه أرصاد طوال ما يقرب من ثلاثة عقود توجت بتحرير ما سمي أيضاً بـ «الأزياج الإيلخانية» سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م.

وهنا من الصعب أيضاً أن نتصور طريقة عمل هذه المنشأة؛ لعدم توافر المصادر والدراسات الوافية والدقيقة. ونجهل بشكل خاص أسلوب تمويلها، ولا نعرف أكان التعليم فيها معفى أم كانت هناك مكتبة أولغ بك داخل قصره أم أنها كانت ملحقة بالمرصد. وكان لقاضي زاده (١١)، وهو من العلماء

## الهوامش والمراجع

١. الأفضل بن بدر الجمالي، وزير فاطمي في عهدي المستنصر بالله والامر بأحكام الله، اغتيل عام ١١٢١م.
٢. المقرئ، طبع بولاق (١٨٥٣م)، ج١، ص ١٢٥ - ١٢٨.
٣. مدينة إيرانية قرب بحيرة أرمية، عاصمة أذربيجان وعاصمة هولاكو قديماً.
٤. نصير الدين الطوسي (١٢٠١م)، أحد أشهر علماء الفلك والرياضيات والكلام، أسس مرصداً مشهوراً ومكتبة كبيرة في مراغة.
٥. الحشاشون: لقب أطلق على التتاريين الإسماعيليين بقيادة الحسن بن الصباح (ت ٥١٨هـ، ١١٢٤م)، حاربوا السلاجقة واشتد نفوذهم بعد اغتيالهم الوزير نظام الملك. قضى عليهم هولاكو عام ١٢٥٦م في فارس.
٦. ابن الجبري (أبو الفرج غريغوريوس): ولد في مطية عام ١٢٢٦م، وتوفي في مراغة عام ١٢٨٦م. من المع رجال الأدب والعلم عند السريان. كتب بالعربية وبالمرسانية، له «تاريخ مختصر الدول».
٧. «المجسطي»: العنوان الأصلي لهذا الكتاب هو «المجموع الرياضي» أو «المجموع الأكبر» MZGISTE. وبهذا الاسم الأخير عرفه العرب وكان من أوائل الكتب التي ترجمت إلى العربية في عهد الرشيد. ترجمه حنين بن إسحق وراجعه ثابت بن قرة.
٨. أولغ بك (١٢٩٣م - ١٤٤٩م): ابن الإمبراطور المغولي شاه رخ ميرزا وحفيد تيمور. وضع زبداً أسماء «الزيج السلطاني» بعد بناء مرصد سمرقند.
٩. ما وراء النهر: اسم أطلقه العرب قديماً على البلاد الواقعة شمال نهر جيحون التي كانت سمرقند وبخارى وطشقند أهم مدنها.
١٠. عبد الرزاق (كمال الدين السمرقندي) ١٤١٣م - ١٤٨٣م: مؤرخ إيراني، له «مطلع السعدين ومجمع البحرين».
١١. قاضي زاده (موسي)، توفي نحو عام ١٤٣٦م: رياضي وفلكي عثماني. له «شرح الملخص في الهيئة».
١٢. الكاشي (غياث الدين)، توفي نحو عام ١٤٣٦م: فلكي عاش في سمرقند وأدار مرصدها. له «مفتاح الحساب».



صدر حديثاً عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



# المعتقدات الدينية لـ كـدى الغرب

الدكتور

عبد الرحمن بن محمد عبد الحليم



دراسات العالم الغربي

يطلب من : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية  
إدارة التسويق - ص ب ٥١٠٤٩ الرياض هاتف ٤٦٥٢٢٥٥ فاكس ٤٦٥٩٩٩٣